علي فكري

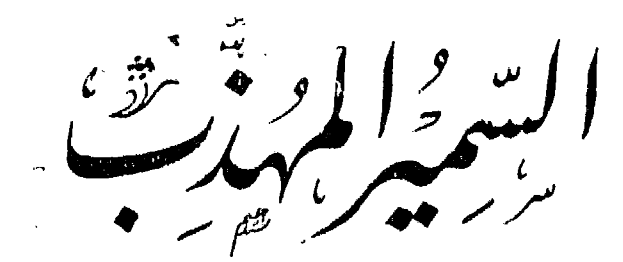


السمير المهذب

الجزء

دار الكتب العلمية
بيروت - لبنان





مجموعة قصص تهذيبية، وحكايات خلقية، وأمثال أدبية

تأليف واختيار وتعريب

السيد

علي فكري

الجزء الرابع

دار الكتب العلمية

«وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ»

قرآن كريم

«إِنَّمَا بُعِثْتُ لِأُتَمِّمَ مَكَارِمَ الْأَخْلَاقِ»

حديث شريف

« وإنما الأمم الأخلاق ما بقيت

فإن همو ذهبت أخلاقهم ذهبوا »

شوقي



و به نستعين

الحمد لله الذى خلق الإنسان فى أحسن تقويم ؛ والصلاة والسلام على سيدنا محمد الموصوف بالخلق الكريم ؛ الذى مدحه الله بقوله : « وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ » وعلى آله وصحبه الذين اتبعوا سنته ، وسلكوا طريقه المستقيم

و بعد فهذا هو الجزء الرابع من كتاب السمير المهذب

وقد اختتمته بنبذة صغيرة فى خلاصة سير عمر بن عبد العزيز ، وهارون الرشيد ، والمأمون ، وصلاح الدين ، ومحمد على باشا

ليكون ذكرهم مثالاً صالحاً للأخلاق الفاضلة يهتدى به ، وقدوة حسنة لشبان اليوم ورجال المستقبل .

هذا وإنى أحمد الله كثيراً على انتشار هذا الكتاب فى مصر والأقطار الإسلامية شرقاً وغرباً حتى نفدت الطبعة الثانية منه وسيقوم حضرات أصحاب دار الكتب العلمية بإعادة طبعه للمرة الثالثة وفقهم الله دائماً لما فيه خدمة الأمة ونشر العلم والدين .

وانه لمن دواعى غبطتى وسرورى أن أزف لحضرات القراء بشرى ترجمة هذا الكتاب إلى بعض اللغات الشرقية وتقرير دراسته فى مدارس تونس والأقطار الإسلامية الأخرى وفى هذا دليل كاف على جودته وحسن فائدته .

وإنى لأرجو أن أكون بعملى هذا قد قمت ببعض الواجب علىّ نحو خدمة أبناء وطنى العزيز الذى آمل أن أراه فى مقدمة الأمم تقدماً وحضارة .

وما أردت إلا الخير والإصلاح ما استطعت ، وما توفيقى إلا بالله عليه توكلت ، وبه استعنت ، فنعم المولى ، ونعم النصير .

والآن أقدمه للطبعة الثالثة ، سائلا المولى أن يعم به النفع ويجزل به الثواب ، إنه سميع مجيب ؟

علي فكرى

رئيس المغيرين

بدار الكتب المصرية

سابقاً

العباسية فى أول يوليو سنة ١٩٥٢

منهج الأخلاق

١ — واجب الإنسان نحو نفسه :

ترقية الإنسان نفسه بنفسه . الاعتماد على النفس (الجد والسعى . قوة العزيمة . الثقة بالنفس . التواكل ومضاره) ـ الكرامة واحترام النفس وعدم التبذل ـ الشجاعة والإقدام ـ الشجاعة الأدبية ـ الاعتدال ـ التوفير والاقتصاد ـ تدبير الوقت .

٢ — واجب الإنسان نحو أسرته

واجبه نحو أبويه ، وإخوته ، ونحو الخدم ، صلة الرحم .

٣ — واجب الإنسان نحو المدرسة :

احترام نظم المدرسة وقوانينها . واجب التلميذ نحو المربين . واجبه نحو رفقائه ، وأصدقائه .

٤ — واجب الإنسان نحو مهنته

الإخلاص ومراعاة الذمة فى العمل . بذل الجهد فيه . محبة العمل والثبات فيه والمثابرة عليه . التضحية فى سبيل المهنة . عناية الإنسان بكل ما يرقى مهنته ويعلى شأنها .

٥ — واجبات وفضائل اجتماعية :

الصدق والأمانة ـ الوفاء بالوعد ـ العدل والإنصاف ـ الحلم وضبط النفس (امتلاك النفس حين الغضب . كبح جماح الشهوات . صيانة اللسان) حسن المعاملة ـ التعاون (التعاون المالى . الشركات والمصارف . الأندية العلمية والأدبية) .

٦ — واجبات المرء نحو الإنسانية :

المواساة . الرحمة والعطف . الرفق بالضعيف . حقوق الحيوان وواجب الرفق به . الملاجئ . المستشفيات .

الباب الأول

واجبات الإنسان نحو نفسه

للإنسان نحو نفسه حقوق وواجبات لحفظ كيانه ، والدفاع عنها ، ولحفظ كرامته وسمعته . وتلك الواجبات تنقسم إلى ثلاثة أقسام : مادية — وصحية وأدبية .

الواجبات المادية — من واجبات الإنسان نحو نفسه أن يكد ويشتغل ، وألّا يتكل فى تحصيل رزقه على أحد ، بل يعتمد على نفسه ليكسب عيشه ، ومادة حياته ، ولكيلا يصير عاطلاً وكَلاًّ على الهيئة الاجتماعية ، ففى العمل ما دام شريفاً فائدة جوهرية للإنسان ، وما اللذة إلاّ بعد التعب ، وأما البطالة والكسل فهما لا يقلان ضرراً عن شرور الرذائل ، واقتحام الشهوات ، وارتكاب الموبقات .

وعليه ألّا يكون مبذراً فى أمر معاشه ، بل يكون معتدلاً ومقتصداً فى نفقاته ليحفظ نفسه من الوقوع فى الدين وذله ومضاره .

وعليه ألا يضيع ماله فى لعب الميسر (القمار) أو المضاربات فى القطن أو الأوراق المالية أو اليانصيب (اللوترية) فإنها نذير الخراب ، فضلا عن أنها حرام .

الواجبات الصحية — أما واجباته الصحية فتكون : باتباع ومراعاة القوانين الصحية ، بمعنى أن يحافظ الإنسان على سلامة جسمه ، بتناول الغذاء الصحى الجيد ، وتعاطى المشروبات النقية الخالية من الغش المفيدة لصحته مع الامتناع عن المشروبات الروحية قاطبةً (المضرة بجسمه وعقله وماله وشرفه) وكذا جميع أنواع المخدرات والمغيبات .

وعليه أن يلبس الملابس الصحية المتينة ، وأن يتحرى النظافة والطهارة فى بدنه وملبسه ، وأن يتجنب الانتقال السريع من الحر إلى البرد ، وألّا يعرض نفسه لتيار الهواء ، وأن يروض جسمه بالمشى والألعاب الرياضية التى تعود عليه بالقوة والعافية ، لأن سعادة الإنسان فى حياته لا تكون إلا بمقدار محافظته على صحته ، وعنايته براحته ، وإن شئت فقل : السعادة هى الصحة .

الواجبات الأدبية — أما واجباته الأدبية فتكون :

أولا — فى الاستمرار على تغذية عقله بالعلوم والمعارف ، لأن الإنسان مهما بلغت قيمته ، وعظمت منزلته لا يزال محتاجاً إلى العلم فى جميع أطوار حياته .

ثانياً — أن يعرف قدر نفسه ، لأن أفضل مزية للإنسان هى أن يعرف نفسه ، ومن عرف نفسه فقد عرف ربه .

وقد جاء فى الأثر : « رحم الله امرأ عرف قدر نفسه » .

أى أن يعرف مبلغ علمه ، ومقدار مواهبه العقلية من ذكاء وفطنة وذاكرة وقريحة ، وقواه الجسدية والمادية ، ومقامه الأدبى ، ونفوذه ، ومركزه فى الهيئة الاجتماعية .

وبالإجمال يعرف كل صفاته ومزاياه ، حتى لا يكون مخدوعاً بحب نفسه ، مغروراً بها ، مدّعياً بما ليس فيه ، ومن يقارن أفعال المرء العارف قدر نفسه ، بأفعال الشخص المغرور المدعى ظهرت له قيمة تلك المزية ؛ فالأول يتكلم بما يعلم فيُحترم ، والثانى يهرف بما لا يعرف فيُحتقر ، وذاك يدعى ما فيه من المزايا فيحسن الظن به ، وهذا يدعى أكثر مما فيه ، فتكذبه شواهد الامتحان ، فيذل ويهان ، وذاك يسعى على قدر علمه وطاقته فينجح ، وهذا يسعى فوق طاقته فيخذل ويفشل .

وذاك يسعى عن علم وخبرة فينال على قدرها ، وهذا يخبط خبط عشواء فيخيب .

وهكذا تكون مساعى الأول فى الغالب صائبة ، ومساعى الثانى خائبة .

والناس يميزون بلا شك بين أفعال الاثنين ، فيمدحون الأول ويذمون الثانى .

ثالثاً — أن يكون محباً لنفسه ، أى مراعياً لخير نفسه ، دافعاً عنها كل ما يضره

ويؤذيه فى حياته ؛ لأنه ليس أعز على الإنسان من نفسه ، ولولا حب النفس لما كان البقاء ، لأنه هو الدافع للمرء على السعى فى طلب الرزق والارتقاء ، وتنازع البقاء .

ولكن يجب أن يقف به ذلك عند حد الاعتدال بحيث لا يدفعه للإساءة إلى الغير ، فإن ذلك رذيلة مكروهة تجر على صاحبها الوبال والخسران؛ بل يجب أن يحب لأخيه ما يحب لنفسه عملاً بقوله ﷺ : « لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه » .

رابعاً — أن يكون محترماً لنفسه ، ملتزماً ما يوجب احترامها عند الغير باتباع أحسن الآداب ، وانتهاج خير السبل فى الأمور الاجتماعية لأن كل ما يبدو منه شائناً فى كلامه أو زيه أو حركاته أو مخالفة جنسه أو خشونة طبعه، أو شراسة خلقه ، ينقص من قدره ، ويحط من منزلته بقدر ما عنده من الرذائل مهما كانت ثروته أو رتبته أو جاهه .

خامساً — أن يقاوم نفسه وهواه ، وأن يحافظ على نفسه من الوقوع فى بؤرة الشهوات والموبقات ؛ لأن الرجل الذى يدمن الخمر ، ويطرق بيوت الخنا والدعارة ، ويتعاطى الحشيش وغيره من أنواع السموم ، ليس فى حكم الشرع والأدب برجل الهيئة الاجتماعية الذى يرجى خيره ؛ بل هو شر على المجتمع الإنسانى لكثرة ذنوبه ومساويه ومثل هذا يجب تجنبه تفادياً من ضرر أخلاقه المعدية كما يتجنب السليم الأجرب .

فواجب الإنسان نحو نفسه يقضي عليه ، حيال شرفه ، و إزاء فائدته ، ونفع أهله ومصلحة هيئته ، ألا يكون سكيراً ، ولا حشاشاً ، ولا محباً للفساد ؛ بل يكون رجلاً مستقيماً شريفاً .

الخلاصة

واجبات الإنسان نحو نفسه ، أى نحو جسمه وروحه .

واجباته نحو جسمه تكون بمراعاة القوانين الصحية من حيث جودة الغذاء، وجودة الهواء ، ونظافه البدن ، والرياضة وغيرها .

واجباته نحو روحه تكون باستمراره على تغذية عقله بالمعارف وتعلم العلوم ، والابتعاد عن البطالة والكسل وأن يكد ويشتغل ، وألا يتكل على أحد فى تحصيل رزقه ، بل يعتمد على نفسه .

وأن يعرف لنفسه قدرها ، فلا يكون مغروراً ، ولا مدعياً فخوراً ، وأن يكون محباً لذاته ، والدفاع عن كيانه ؛ بحيث لا يضر أحداً غيره فى جسمه أو ماله أو عرضه ، وأن يكون محترماً لنفسه ليكون محترماً عند غيره ، وأن يتغلب على نفسه وهواه ، ويبتعد عن ارتكاب المحرمات ، والوقوع فى بؤرة الفساد والشهوات ، ليكون رجلاً مستقيماً شريفاً .

التربية الاجتماعية
لعلى فكرى

ترقية الإنسان نفسه بنفسه

يجب على الإنسان أن يرقى نفسه بنفسه ، لأن الرجل إذا صغرت نفسه لم يرض لها من أحواله وأطواره إلا ما يشاكل منزلتها عنده ، فتراه صغيراً فى علمه ، صغيراً فى أدبه ، صغيراً فى مروءته وهمته ، صغيراً فى ميوله وأهوائه ، صغيراً فى جميع شؤونه وأعماله ، فإن عظمت نفسه عظم فى جانبها كل ما كان صغيراً فى جانب النفس الصغيرة .

ولقد سأل أحد الأئمة العظماء ولده وكان نجيباً : يا بنى ، أى غاية تطلب فى حياتك ؟ وأى رجل من عظماء الرجال تحب أن تكون ؟

فأجابه : أحب أن أكون مثلك يا أبت .

فقال : ويحك يا بنى ! لقد صغرت نفسك ، وسقطت همتك ، فلتبك على عقلك البواكى ، لقد قدرت لنفسى يا بنى فى مبدأ نشأتى أن أكون كعلى بن أبى طالب ، فما زلت أجدُّ وأكدح حتى بلغت المنزلة التى تراها ، و بينى و بين على ما تعلم من الشأو البعيد ، والمدى المستطيل ، فهل يسرك وقد طلبت منزلتى، أن يكون ما بينك و بينى من المدى مثل ما بينى و بين على ؟

وجاء فى المأثور عن معاوية رضى الله عنه أنه قال : هِمُّوا بمعالى الأمور لتنالوها ، فإنى لم أكن للخلافة أهلاً فهممت بها فنلتها .

وجاء فى التاريخ أن الرجل العظيم (برناروت) رأس الأسرة الحاكمة على السويد لم يكن فى إبان أمره إلا عاملا صغيراً فى مصنع وكان يخيل إليه أثناء العمل أن هاتفاً يهتف فى أذنه بكلمة (ستكون ملكاً) فطفق من حينه يعمل لتحقيق هذه النبوءة حتى صار ملكاً .

وكذا (نابليون بونابرت) وصل بنفسه من ضابط صغير إلى امبراطور فرنسا . وجاء أخيراً فى الأخبار عن أمريكا : أن المستر هوفر (رئيس الولايات المتحدة) كان فى بدء حياته بائعاً للصحف فجدّ وسعى وارتقى بنفسه حتى وصل إلى أعظم مركز فى بلاده .

وكذا محمد على باشا (رأس الأسرة المالكة) وصل بجده من رتبة صغيرة فى الجيش إلى مركز والى مصر الأكبر ، ومؤسس دعائم نهضتها الحديثة .

وكان المرحوم عبد الله باشا فكرى (وزير المعارف سابقاً) طالباً بالأزهر الشريف ، ثم كان كاتباً ، ولم يزل يطلب العلم فى وقت فراغه ويرقى من منصب إلى منصب حتى ولى وزارة المعارف العمومية .

ونشأ رفاعة بك رافع الطهطاوى فقيراً ، ثم غدا علماً خفاقاً من أعلام النهضة المصرية الحديثة بجده وقوة عزيمته ، وارتقى بنفسه .

ومن أعظم الرجال المعدودين فى نهضة مصر العلمية المرحوم على باشا مبارك . وكان فقيراً وعهد إليه أبوه برعى الماشية ، ولكنه هرب وذهب إلى مدرسة (الخانقاه) وأخذ فى طلب العلوم والمعارف حتى وصل به الأمر إلى

التربع فى دست الوزارة فكان وزيراً للأشغال والأوقاف والمعارف ، وحياة هذا الرجل أفخر وأعلى مثال لترقية النفس بالنفس .

فيا طالب العلم كن عالى الهمة ، ولا يكن نظرك فى تاريخ عظماء الرجال نظراً يبعث فى قلبك الرهبة والهيبة ، فتتضاءل وتتصاغر ، كما يفعل الجبان المستطار ، حينما يسمع قصة من قصص الحروب ، أو خرافة من خرافات الجن ، وحذارِ أن يملك اليأس عليك قوتك وشجاعتك ، فتستسلم استسلام العاجز الضعيف وتقول : مَن لى بسلم أصعد به إلى السماء حتى أصل إلى قبة الفلك فأجالس فيها عظماء الرجال .

يا طالب العلم أنت لا تحتاج فى بلوغك الغاية التى بلغها المتقدمون الراقون النابغون من قبلك إلى خلق غير خلقك ، وجوّ غير جوّك ، وسماء وأرض غير سمائك وأرضك ، وعقل وأداة غير عقلك وأداتك ، ولكنك فى حاجة إلى نفس راقية كنفوسهم ، وهمة عالية كهممهم ، وأمل أوسع من رقعة الأرض ، وأرحب من صدر الحليم ، ولا يثبطنك ما يهمس به حاسدوك فى خلواتهم من وصفك بالسماجة ، فنعم الخلق هى إن كانت السبيل إلى بلوغ الغاية ، فامض فى وجهك ، ودعهم فى غيهم يعمهون .

جناحان عظيمان يطير بهما المتعلم إلى سماء المجد والشرف : علو الهمة ، والاعتماد على النفس ، والجد والسعى .

فلترقية الإنسان نفسه بنفسه ، يجب أن يكون قوى الإرادة والعزيمة يجد

ويسعى لما فيه نفعه وتقدمه ، واثقاً بنفسه ، معتمداً عليها ، محترماً لها ، حافظاً لكرامتها ، شجاعاً مقداماً ، معتدلاً ، مدبراً فى ماله ووقته .

المرء حيث يجعل نفسه

كان (كافور الإخشيدى) وصاحبه عبدين أسودين ، فجىء بهما إلى قطائع ابن طولون صاحب الديار المصرية وقتئذ ليباعا فى أسواقها ، فتمنى صاحبه أن يباع لطباخ حتى يملأ بطنه بما شاء ، وتمنى كافور أن يملك هذه المدينة ليحكم وينهى ويأمر .

وقد بلغ كل منباه ، فبيع صاحب كافور لطباخ ، وبيع كافور لأحد قواد المصريين فأظهر كفاءة واقتداراً .

ولما مات مولاه قام مقامه واشتهر بذكائه وكمال فطنته حتى صار رأس القواد ، وصاحب الكلمة عند الولاة ، وما زال يجد ويجتهد حتى ملك مصر والشام والحرمين .

ثم مر يوماً بصاحبه فرآه عند الطباخ بحالة سيئة فقال لمن معه :

لقد قعدت بهذا همته ، فكان كما ترون ، وطارت بى همتى فكنت كما ترون ، ولو جمعتنى وإياه همة واحدة لجمعنا عمل واحد .

ولله در عمرو بن العاص حيث يقول : المرء حيث يجعل نفسه ، إن رفعها ارتفعت ، وإن وضعها اتضعت .

وقال الشاعر :

وما المرء إلا حيث يجعل نفســـه   فكن طالباً فى الناس أعلى المراتب

الاعتماد على النفس

الحياة جهاد وكفاح ، ولا يفوز فى معتركها إلاّ من ثابر على أداء عمله ؛ معتمداً على نفسه ، والاعتماد على النفس هو أن يباشر الإنسان أعماله بنفسه ، وينظر فى أحواله وحده ، فلا يحتاج إلى معين يعينـه ، أو شريك يشاركه ، ما لم تكن تلك الأعمال ، وهذه الأحوال ، ممـا تجب فيه المساعدة والإعانة ، فإن الإنسان محتاج إلى التعاون فى أشياء كثيرة ، لا تبعث فيه خلق التواكل ، ولا تجعله من أهل الكسل إن اعتمد فيها على غيره .

والاعتماد على النفس أصل كل نجاح ، وأساس الرقى والفلاح ، يدعو صاحبـه إلى الجد ، ويسوقه إلى النشاط ، ويقتل من نفسه خلق التواكل ، الذى أخر الناس كثيراً ، وحط من قدرهم ، ووضع من شأنهم .

فالواجب على المرء أن يتولى جميع أموره ، وألا يعول على غيره ، وأن يعتمد على نفسه ، كما قال الشاعر :

« ما حكّ جلدك مثل ظفرك   فتول أنت جميع أمرك »

وكما قال الطغرائى :

« فإنما رجل الدنيـــــا وواحدها   من لا يعول فى الدنيا على رجل »
« وقلّ من عاش فى الدنيا على أمل   واستنجد الجد إلا فاز بالأمل »

وليس من حرج فى الاسترشاد بذوى العقول الراجحة ، والآراء الصائبة، ممن يعتقد فيهم الصدق فى القول ، والإخلاص فى العمل ، فبذلك يضيف المرء عقولاً إلى عقله ، ويجمع آراء إلى رأيه ، غير أنه لا ينبغى أن يبلغ ذلك منه مبلغ الكسالى العجزة ، فيفقد شخصيته ، ويذهب بقوته ونشاطه ، والاعتماد على النفس من أسباب رقى الأمم وتقدمها ، فإذا وجد فى الأمة أفراد يعتمدون على أنفسهم ، ولا يحتاجون إلى مشاركة غيرهم ، تقدموا وتقدمت بلادهم ، بكدهم واجتهادهم ، وارتقوا وارتقت أوطانهم ، وعزوا وعزت أمتهم .

فرقى البلاد وانحطاطها ، وتقدمها وتأخرها ، كل ذلك مرتبط بالأفراد ، وارتباطهم بقوة الاعتماد ، وما الأمة إلاّ جسم أعضاؤه الأفراد ، فالعامل المجد النشيط ينشطه ، والخامل يضعفه ، فلو استؤصل الجهلاء ، وقطع دابر الكسالى، نما ذلك الجسم ، وترعرع وقوى واشتد ، وقدر على أن يرتفع بنفسه إلى ذروة العلا والكمال .

فكل واحد من أفراد الأمة العاملين يعمل لنجاحها وتقدمها ، ورقيها وفلاحها ، ينفعه ما ينفعها ، ويضره ما يضرها ، لا فرق فى ذلك بين الصانع الصغير ، والأمير الكبير ، فلولا الصغير ما كان الأمير ، ولولاهما ما كانت الأمة .

وإن كثيراً من العظماء والكبراء اكتسبوا عزهم هذا ، باعتمادهم على أنفسهم ، وجدهم ونشاطهم ، ولم يكونوا من أولاد الأغنياء ، وأهل الثراء ، فرب عامل فقير معتمد على نفسه، سبق الغنى الخامل المعتمد على غيره ، وكان نوراً يهتدى به مفاخروه ، ومن يخلفهم جيلاً بعد جيل .

فالغِنىٰ ليس شرطاً لنيل السعادة والمجد ، بل قد يكون سبباً فى التأخر ، وعدم النجاح والسقوط فى مهاوى الجهل ، لأن صاحبه قد يعتمد على ثروته ، فلا يعمل لمستقبله ، حتى إذا ذهبت تلك الثروة ، وبددت تلك الأموال ، ساءت حاله ، فكان من الخاسرين . وذلك جزاء من لم يعتمد على نفسه .

ومما يبعث هذا الخلق الطيب ، (الاعتماد على النفس) فى نفوس الأفراد اطلاعهم على من اجتهدوا وجدوا ، معتمدين على أنفسهم ، غير مبالين بالشدائد ، ولا مكترثين بالنوائب ، حتى نالوا أعلى الرتب والألقاب ، واستحقوا غاية الإعجاب .

فالعاقل من اقتدى بالفضلاء والعظماء ، واعتمد على نفسه ، حتى يكون مثلهم ، وينال شرفهم .

عزيز النفس يعتمد على نفسه

دخل عمرو بن سعيد على معاوية بعد موت أبيه وعمرو يومئذ غلام فقال له معاوية : إلى من أوصى بك أبوك يا عمرو ؟

قال : إن أبى أوصى إلىّ ، ولم يوص بى

قال : وبأى شىء أوصاك ؟

قال : أوصانى ألّا يفقد إخوانه إلّا شخصه

فقال معاوية لأصحابه : إن ابن سعيد هذا سيكون نعم الخلف لأبيه .

ذكر بعض من نبغوا من العرب
باعتمادهم على أنفسهم

إن تاريخ العرب حافل بالأمثلة والشواهد على أن الاعتماد على النفس قد يصل بالإنسان إلى ما يقصر عنه جاهه وحسبه . وإليك ذكر بعض من نبغوا من العرب ، وأمم الشرق ، وداسوا الفقر الذى ولدوا فيه ، وجعلوه سلماً لبلوغ ذرا المجد :

١ — أبو الطيب المتنبى كان أبوه سقاء ؛ ولكنه رقى بتوقد ذهنه ، وبلاغة شعره ، أسمى المراتب ، وجمعت حكمه فكانت مثل حكم أرسطاطاليس كبير الفلاسفة فى اليونان

٢ — جرير الشاعر المشهور — كان أبوه فقيراً معدماً ، ولقد سأله رجل: من أشعر الناس ؟

فقال له : قم حتى أعرفك الجواب

فأخذ بيده وجاء به إلى أبيه (عطية) وقد أخذ عنزاً فاعتقلها وجعل يمص ضرعها ، فصاح به : اخرج يا أبتِ

فخرج شيخ دميم الخلقة ، رث الهيئة ، وقد سال ابن العنز على لحيته

فقال جرير للسائل : أشعر الناس ، من فاخر بمثل هذا الأب ثمانين شاعراً ، وقارعهم به فغلبهم جميعاً

٣ — أبو تمام حبيب الطائى — نشأ بمصر ، وكان يسقى الناس ماء بالجرة فى جامع عمرو وقيل : إنه كان يخدم حائكاً ، ويعمل عنده بدمشق وكان أبوه خمّاراً بها

ثم قال الشعر البايغ ، وجمع الكتب النفيسة ، وكان واحد عصره فى ديباجة لفظه ، وصناعة شعره ، وحسن أسلوبه ، وله كتاب الحماسة الذى دل على إتقان معرفته بحسن اختياره

٤ — أبو بكر الرازى الطبيب المشهور — كان فى شبيبته يضرب بالعود ، ثم أقبل على دراسة كتب الطب والفلسفة ، فقرأها قراءة رجل متعقب على مؤلفيها ، فصار إمام عصره فى علم الطب ، وصنف فيه الكتب النافعة كالحاوى ، والجامع ، وغيرهما

٥ — ياقوت الحموى — المؤرخ المشهور صاحب كتاب معجم البلدان — أسر من بلاده صغيراً واشتراه تاجر ببغداد اسمه ابراهيم الحموى ، فلما كبر شغله بالأسفار فى متاجره فأحرز أشتات الفوائد التى دوّنها فى مصنفاته الجليلة . ومعجم البلدان من أجلّ الكتب الموضوعة فى علم تقويم البلدان (الجغرافية)

٦ — المعز لدين الله — أول خلفاء الفاطميين ومؤسس القاهرة . يقال : انه لما دخل مصر قام له عالم جرىء من العلماء يسمى ابن طباطبا وقال له : إلى من ينتسب مولانا الأمير ؟ فقال له المعز : سنعقد مجلساً يجمعكم ، ونقص عليكم نسبنا ، ولما استقر له الأمر جمع الناس بقصره وقام بينهم وجرد سيفه من غمده

ورفعه قائلا : هذا نسبي ، ثم نثر عليهم بدَراً من الذهب قائلا : وهذا حسبي

٧ ـ الأمير أبو شجاع ـ أسر صغيراً من بلاد الروم ، ثم اشتهر بالشجاعة والإقدام ، وصار من الأمراء العظام ، وهو الذى مدحه أبو الطيب المتنبي فى قصيدته المشهورة التى فى مطلعها :

« لا خيل عندك تهديها ولا مال   فليسعد النطق إن لم تسعد الحال »

٨ ـ ابن الزيات وزير المعتصم ـ كان أبوه زياتاً وكان هو كاتباً بباب المعتصم فاستوزره لأدبه وعلو همته وهو الذى مدحه البحترى بقوله :

« وأرى الخلق مجمعين على   فضلك من سيد ومسود »

الجد والسعى

إن نظام الحياة يتطلب السعى والجد ، ومصالح الحياة لا تقوم إلا باشتراك الأفراد ، حيث يقوم كل واحد بعمله ، فيجب على كل مخلوق أن يكد ويشتغل ولا يتكل فى تحصيل رزقه على أحد ، بل يعتمد بعد اعتماده على الله ، على نفسه وقوته ، ليكسب عيشه ، ومادة حياته بعرق جبينه ، ولكيلا يصير عاطلا ، وعالة على الهيئة الاجتماعية ، عملا بقوله تعالى : « هُوَ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ ذَلُولاً فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ »

وقوله ﷺ :

« ما أكل أحد طعاماً قط خيراً من أن يأكل من عمل يده ، وإن نبي الله داود كان يأكل من عمل يده »

الرزق وإن كان مقسوماً ، ولكن السعي في طلبه أمر محتم على كل فرد ، والناس في ميدان الحياة يتسابقون إلى الرزق ، فأقواهم أسبقهم ، وأكثرهم سعياً أرقاهم ، وأسعدهم حالاً ، وأهدأهم بالاً ، وقد جاء في الأثر : « إن الله كتب عليكم السعي فاسعوا »

وبعض الناس يغلو في التوكل ، والتسليم إلى القضاء والقدر ، حتى يكفر بنعمة الله ، فيعتقد أن لكل إنسان ما قسم له من سعادة أو شقاء ومن سعد أو نحس ، وأن المساعي والوسائط كلها عبث وباطل ، مع أن الله سبحانه وتعالى جلت قدرته تنزه عن الأغراض ، حث على السعي في طلب الرزق ، فقال تعالى « وَأَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ، وَأَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرَىٰ ، ثُمَّ يُجْزَاهُ الْجَزَاءَ الْأَوْفَىٰ » وقال عز وجل : « وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ » كما أن رسول الله ﷺ روى عن ربه ، أن الله يقول : يا عبدي حرك يدك أضمن لك الرزق

ودعا الرسول عليه الصلاة والسلام إلى العمل وطلب الرزق ، كما روى في بعض الآثار : اطلبوا الرزق في خبايا الأرض

وقال عليه الصلاة والسلام : « اعملوا فكل ميسر لما خلق له » وقال عمرو بن العاص : « اعمل لدنياك كأنك تعيش أبداً واعمل لآخرتك كأنك تموت غداً »

وجاء فى الأثر : « إن الله يحب المؤمن المحترف »

وجاء أيضاً : « إن من الذنوب ذنوباً لا يكفرها الصلاة ولا الصيام ولا الحج ولا العمرة، ويكفرها الهموم فى طلب المعيشة »

وجاء فى بعض الكتب السماوية « ابن آدم امدد يدك إلى باب من العمل أفتح لك باباً من الرزق » وجميع الشرائع تحتم السعى للرزق ، وتأمر بالكسب مع الرفق فى الطلب ، والتوكل على الله فى السعى ، ليكون الرجاء بالكسب أقوى ، ولاستئصال جرثومة اليأس أقطع ، والعزيمة على السعى أمضى

وكان عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، يحض الناس على السعى ، ويحثهم على العمل والكسب فما يؤثر عنه أنه مرّ بأناس من أهل اليمن فقال لهم : من أنتم ؟ فقالوا : متوكلون ، فقال : كذبتم ، ما أنتم متوكلون ؛ إنما المتوكل رجل ألقى حبه فى الأرض وتوكل على الله ، وقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه : يا معشر القوم ارفعوا رءوسكم فقد وضح الطريق واستبقوا الخيرات ولا تكونوا عيالاً على المسلمين

وقال أيضاً : تعلموا المهنة فإنه يوشك أن يحتاج أحدكم إلى مهنة

وقال أيضاً : لولا هذه البيوع لصرتم عالة على الناس

وقال أيضاً : مكسبة فيها بعض الدناءة خير من مسئلة الناس (أى سؤال الناس) وكان رضى الله عنه إذا رأى فتى فأعجبه حاله سأل عنه هل له حرفة ، فإن قيل : لا . سقط من عينه

وكان يقول : لا يقعد أحدكم عن طلب الرزق و يقول اللهم ارزقنى وقد

علم أن السماء لا تمطر ذهباً ولا فضةً ، والله تعالى إنما يرزق الناس بعضهم من بعض

وقال أيضاً : يامعشر القوم التمسوا الرزق ولا تكونوا عالةً على الناس وقال بزرجمهر : إن يكن الشغل مجهدة ، فإن الفراغ مفسدة

وقال بعض الحكماء : اجعل الاجتهاد غنيمة صحتك ، والعمل فرصة فراغك ، فليس كل الزمان مؤاتياً لك ، ولا ما فات مستدركاً

وقال بعض السلف : إن الله تعالى جعل طلب الرزق مقصوراً على الخلق كله ، وأهل التحصيل والنظر يطلبونه بأحسن وجوهه من التصرف والتحرز وأهل العجز والكسل يطلبونه بأقبح وجوهه من السؤال والاتكال والخلابة (الخديعة) والاحتيال

وقال بعض العقلاء : لا تمض يومك فى غير منفعة ، ولا تضع مالك فى غير مصنعة ، فالعمر أقصر من أن ينفد فى غير المنافع ، والمال أقصر من أن يصرف فى غير الصنائع ، والعاقل أجل من أن يفنى أيامه فيما لا يعود عليه نفعه وخيره ، وينفق أمواله فيما لا يحصل له ثوابه وأجره

وقال الشاعر :

« وما طلب المعيشة بالتمنى ولكن ألق دلوك فى الدلاء »
« تجىء بملئها طوراً وطوراً تجىء بحمأة وقليل ماء »
« ولا تقعد على كسل التمنى تحيل على المقدر والقضاء »

« فإن مقادر الرحمن تجرى بأرزاق الرجال من السماء »
« ومقدور بقبض أو ببسط وعجز المرء أسباب البلاء »

وقال آخر :

« إذا أنت لم تزرع وأبصرت حاصداً ندمت على التفريط فى زمن البذر »

وقال آخر :

« على المرء أن يسعى ويبذل جهده ويقضى إله الخلق ما كان قاضياً »

وقال :

« دع التكاسل فى الخيرات تطلبها فليس يسعد بالخيرات كسلان »

وجاء فى الحكم : العاقل من يعتمد على عمله ، والجاهل من يعتمد على أمله .

والنتيجة : أن حظ الإنسان من المكافأة والنجح فى الدنيا والآخرة سيكون على قدر ما يبذله من العمل والسعى ، خيراً أو شراً ، قليلا أو كثيراً ، وجاء هذا المعنى أيضاً : إن الله يعطى العبد على قدر همته ونهمته

ومما ورد فى السنة النبوية من التنويه بشأن العمل : أن النبى ﷺ كان جالساً مع أصحابه ذات يوم فنظروا إلى شاب ذى جَلَدٍ وقوة قد بكر يسعى فقالوا : ويح هذا ! لو كان شبابه وجلده فى سبيل الله أى فى الطاعات البدنية من صلاة وصيام وجهاد

فقال ﷺ « لا تقولوا هذا ، فإنه إن كان خرج يسعى على ولده صغاراً فهو فى سبيل الله ، وإن كان خرج يسعى على أبوين شيخين كبيرين فهو فى سبيل الله ، وإن كان خرج يسعى على نفسه ليُعفّها فهو فى سبيل الله ، وإن كان خرج يسعى رياءً ومفاخرةً فهو فى سبيل الشيطان »

وسبيل الله كما يفهم من هذا الحديث ـ كل طريق يسلكه الإنسان فى تحصيل ما به خيره وسعادته وهناؤه ، بشرط أن يكون سعيه مرتكزاً على نية صالحة ، وقصد كريم .

حكاية الراعي جان

مثال الجد والاجتهاد

جان فتى صغير ، كان أبوه راعياً يرعى قطعان بلده وخراف الأغنياء فيها ، فمات ، وجان يكاد يكون طفلاً لا يملك سوى كوخ صغير حقير ونعجتين ضعيفتين فلم يسلمه الأغنياء نعاجهم ليرعاها ، ولكنه رزق شيخاً شابت في الحروب ناصيته فكفله بعض الكفالة ومرنه على رعى الخراف وتربيتها حتى جاء موعد معرض المقاطعة ، فذهب جان الصغير بنعجته إلى ذلك المعرض الذي يتسابق فيه الكبراء والأغنياء والعلماء و يعد الجمهور الفوز فى هذا المعرض فوزاً كبيراً يزف إلى صاحبه التهانى و يحتفون به الحفاوة الكبرى .

عرضت الخراف المسمنة فى ذاك المعرض ، فحكم لجان بالجائزة ، وحكم لنعجته بالتفوق على سواها ، وعلق مدير المعرض على صدره المدالية ، ووصل الخبر إلى قريته ، فنهض أهلها نهضة الرجل الواحد للحفاوة بجان و إكرامه و إجلاله ، وأعدت الفتيات له الهدايا وعمل الغلمان له الأزاهير والتحف ، وقرع الشبان ناقوس الكنيسة ، وخرج رجال القرية وأمامهم عمدتها وشيوخها لمقابلة جان الراعى فخر القرية ، ولمقابلة نعجة جان التى كللت بالأزاهير والرياحين وسار جان الراعى الصغير فى هذا الجمع إلى كوخه و ربط نعجته كما يسير البطل المغوار فى عاصمة الملك ومقر الغزاة الظافرين .

وصل جان إلى ذاك الكوخ الذى غادره خالياً خاوياً فإذا به ملآن بهدايا أهل القرية جزاء له على جده واجتهاده . فقد أهدى له كل رجل وكل امرأة شيئاً يروقه . فالمشروب والمأكول والأزاهير والملابس حتى الحذاء أهدته إلى جان إحدى السيدات لأن جان لم يكن يملك حذاء .

وهناك أمام كوخ جان وقفت الموسيقى تعزف بأطيب الألحان وأخذت فتيان القرية وفتياتها يرقصون ويطربون إكراماً للراعى الصغير فخر قريته ، وجاء لزيارته طائفة من كبار القرية الذين تقدموا إلى جان فهنأوه وعرضوا عليه رعاية أغنامهم بأجور عالية بعد أن كان يطلب منهم ذلك فيردونه ولا يصغون إلى طلبه .

هكذا كوفئت الفضيلة ، فضيلة العمل ، وبمثل هذا يحتفى أولئك القوم الذين تقدموا كثيراً بالمتعلمين من أبنائهم ، وليس الاطلاع عندهم بالشعر والنثر فقط ، بل هو بالإجادة فى كل عمل من الأعمال ، ولا يحتقر العمل لذاته ؛ بل يعظم كل عمل لنفعه وفائدته .

الأهرام

حسن نتيجة السعى والعمل

يحكى : أن أحد الأغنياء كان له أرض دخلها خمسمائة جنيه فى السنة فكثرت عليه الديون بسبب إسرافه وتبذيره حتى التزم أن يبيع نصفها لأحد الفلاحين المجتهدين المدبرين ويرهن النصف الآخر .

وبعد مضى مدة أتى الفلاح إلى الغنى صاحب الأرض وسأله إذا كان يريد أن يبيعه بقية الأرض فدهش الغنى من سؤاله وقال له : هل تقدر أن تشتريها ؟ فقال الفلاح : أقدر إذا اتفقنا على الثمن . فقال الغنى : عجباً ! أخبرنى لماذا لم يكن إيراد هذه الأرض يكفينى ولم أدفع منه شيئاً ؟ وأما أنت تدفع لى مائة جنيه سنوياً ضماناً وقد صرت قادراً على مشترى الأرض كلها وليس لك مدة طويلة .

فأجابه الفلاح : السبب واضح يا سيدى . وهو أنك تجلس فى قصرك على بساط الراحة معتمداً على ثروتك وإيرادك وتقول لعمالك : اذهبوا للعمل ، ولكن أنا أقوم مبكراً من بيتى وأقول لولدى :

هيا بنا نسعى إلى الغيط نحرث الأرض ونزرعها ونحصدها ونجنى ثمرها .

أنت تنام على سرير الراحة ، وتصرف أموالك فى بحبوحتك ومسرتك ، وأنا أقوم صباحاً وأشتغل بنفسى وأدير حركة أعمالى معتمداً على الله فى كل الأمور ، ولا أصرف أموالى إلا فى تحسين أحوالى ، فخجل الغنى من كلامه ، وعرف أن السعادة لا تنال إلا بالسعى والعمل وترك البطالة والكسل .

البطالة والكسل

أما البطالة والكسل فهما لا يقلان ضرراً عن شرور الرذائل واقتحام الشهوات ، وارتكاب الموبقات ، كما قال الشاعر :

« إن الشباب والفراغ والجده مفســـدة للمرء أى مفسده »

وقال أحد العلماء : البطالة شر من الرذيلة ؛ بل هى أم الرذائل والشرور ، ومصدر الانحلال والاختلال ، كما أن الكسل سبب الاعتلال والذل والشقاء ، فقد يضع الرفيع ، ويذل العزيز ، وكم من غنى أصبح معدماً بكسله ، وكم من فقير انتقل من الفقر إلى الغنى بعمله وكده .

وقد نظم أحد الشعراء قصيدة فى وصف أحوال الشبان الكسالى نقتطف منها ما يأتى :

« لقد تجثم فى شـبابنا الكسل وفى ملاهى الهوى أمسى لهم عمل »
« أراهم فى القهاوى يصرفون سدًى وقتاً ثميـناً سواهم فيه يشتغل »
« سواهم أدركوا فيه العلا وهُمُ لولا الجهاد إلى العلياء ما وصلوا »
« تُحيا لياليهم بالمنكرات وفى إحياء تلك الليالى يقتل الأمل »
« إلى الملاهى صرفتم كل همكم شبابنا ليس هذا شأن من عقلوا »
« قصف ولهو وسكر ميسر وزنا تصيب أجسامكم من بعده العلل »
« أنتم أصحاء فى الأبدان لا عوج فيكم ولا عرج كلا ولا شلل »
« عن النبوغ ترى ماذا يعوقكم ؟ وفى البطالة كل منكم بطل »

« أنتم تريدون أن ترقوا بلا تعب   وأن يخر لديكم صاغراً زحل »
« وسائر الناس يقضون الحياة على   جد وكد ولا شكوى ولا ملل »

وفى الحقيقة أن الإنسان فى هذه الحياة لا يرقى ولا يسعد إلا بالكد والعمل لا بالاستسلام إلى البطالة والكسل .

سوء عاقبة الكسل

كان لرجل غنى ولد وحيد اسمه (موسى) وعنده وكيل على أملاكه له ولد اسمه يوسف ، وكلا الولدين فى عمر واحد وأحب بعضهما بعضاً محبة شديدة ، لأنهما ربيا معاً ، وأحب أبو موسى ابن وكيله يوسف وأدخله المدارس على نفقته الخاصة .

وموسى هذا لم يكن يرغب فى الدرس كثيراً ؛ أما يوسف فلم ينقطع عن الدرس حتى فى أوقات الفراغ فاجتذب قلوب معلميه ورفقائه إليه .

وباجتهاده نبغ فى دروسه ، وفاق أقرانه ، بخلاف موسى فإنه كان لا يدرس ولا يصغى إلى إرشاد معلميه ، بل يصرف أوقاته فى اللعب واللهو ، ومتى حثه أحد على الدرس أجاب : إن لأبى أملاكاً واسعة ، وفى عزمى أن أكون فلاحاً ، وزد على ذلك فإنى الآن فى أول الحياة وأمامى سنون طويلة أستطيع فيها تحصيل العلوم بأسرها فى أى وقت اعتكفت فيه على المطالعة والدرس .

وكان أبوه يشجعه على هذا الفكر ، ولم يشأ أن يزعجه أو يكدره وهكذا مضت عليه سنوات عديدة فى المدرسة بلا فائدة ، ثم أخرجه والده من المدرسة وأراد أن يقيمه وكيلاً على أملاكه ، ولكن موسى اتخذ له أصحاباً من السفلة الأشقياء ، وتعلم لعب القمار ، وصار يلهو عن الأشغال بالملاهى والطرب والبذخ ، فاجتهد أبوه أن يهذب أخلاقه فلم يقدر ، لأنه مضى عليه الوقت

وأخيراً مات الأب وفى قلبه من الندامة والحسرة والأسف على تركه ابنه فى الصغر بدون تعليم وتأديب ، مالا يوصف

وتوغل موسى فى الشرور والإسراف بعد موت أبيه إلى درجة أوصلته إلى بيع أملاكه كلها حتى أمسى بلا مأوى . وكانت عاقبته وبالا وخسرانا

أما يوسف رفيقه بالمدرسة فقد نجح وتقدم ، فالتفت إليه وساعده كثيراً ، وقبله فى بيته طول حياته ، وأصبح السيد المسود بفضل جده واجتهاده ، وحقيقة : إن من جدّ وجد ، وإن من كسل خاب وندم .

قوة العزيمة

هى القوة التى تدفع الإنسان إلى الإقبال على الأعمال بلا تردد

ينظر الإنسان إلى العمل فى أول الأمر فيراه صعباً يستلزم جهداً ووقتاً طويلا ، فيخاف منه قبل الشروع فيه ، ولذلك يتردد فى الإقدام عليه ، وكلما طال تردده استصعبه ووهن عزمه فيرجع عنه

على أن هذه الصعوبة تزول عند مزاولة العمل ، والاستمرار فيه والثبات عليه ، حيث يألفه ويعتاده ، ويهتدى إلى طريقه القويم

فإذا أقدمت يابنى على عمل فلا تتردد فيه ، واعمل بقول الشاعر الحكيم :

إذا كنت ذا رأى فكن ذا عزيمة   فإن فساد الرأى أن تترددا
وإن كنت ذا عزم فأنفذه عاجلاً   فإن فساد العزم أن تتقيدا

فبذلك يسهل عليك كل صعب ، وتبلغ كل طلب

ولقد حث الدين على الثبات فى الأمور ، وقوة العزيمة فيها ، فى قوله تعالى :

« فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ »

لأنه كثيراً ما تعرض بعض العوائق فتخور همم ضعاف العزائم ، فلا يتمّون أمراً ، ولا يصلون إلى غاية ، بخلاف أرباب العزائم القوية فإنهم

يقابلونها بصدر رحب ، وعزيمة لا تفلّ ، وكلما عرض لهم عائق بذلوا النفس والنفيس فى تذليله حتى يتغلبوا عليه ، وينالوا بغيتهم ، علماً منهم أنه لا صعب مع الإجتهاد ، وتوجه النفس والرغبة فى العمل ، والدأب عليه ، والتدبر فى كل شيء بوضعه الموضع اللائق به ، كما قال الشاعر :

لأستسهلن الصعب أو أدرك المنى   فما انقادت الآمال إلا لصابر

وما حال الأمم إلاّ كحال الأفراد ، فلا تسمو أمة ولا تعلو كلمتها إلاّ بالإنتاج والعمل المتواصل ، والاختراع والابتكار . ولن تجد مظهراً أجلى ولا برهاناً أوضح ، تفرق به بين أمة راقية وأخرى منحطة ، بمقدار ما تجده من قوة الثبات ومضاء العزيمة ، فتجد الأفراد فى الأولى يكدون ويجدون ، دون أن يلحقهم فتور أو خور فى العزيمة ، وبذا يتم لهم الظفر والفوز أخيراً ، بعد سهر الليالى والكدح والنَّصَب ، ويغمرون أسواق العالم بمبتكراتهم ومخترعاتهم ، بينما أفراد الثانية يتحمسون ويصيحون مع الصائحين ، ثم لا تزال تفتر عزائمهم رويداً رويداً حتى تنتهى الأعمال بالفشل ، وتصبح أثراً بعد عين ، ولله در القائل :

وقلّ من جدّ فى أمر يحاوله   واستصحب الصبر إلا فاز بالظفر

أما اليأس ، فحالة تعترى النفس فتثنيها عن عزمها ، وتثبط همتها ، وتحول بينها وبين النجاح ، وإذا تسرب اليأس إلى فؤاد شخص ، وتملك القنوط من قلبه ، قعد عن العمل ، وكفّ عن السير فى سبل الحياة ، حتى تضيق به

الأرض بما رحبت ، كما قال الحكيم : لا حياة مع اليأس ، ولا يأس مع الحياة ، وربما طلب الفرار من الحياة ، وأهلك نفسه تخلصاً منها فيذهب غير مأسوف عليه .

وقد حذر الله تعالى من هذه الخصلة الذميمة فقال : « وَلَا تَيْأَسُوا مِنْ رَوْحِ اللهِ إِنَّهُ لَا يَيْأَسُ مِنْ رَوْحِ اللهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ »

وقال جل شأنه : « وَمَنْ يَقْنَطُ مِنْ رَحْمَةِ رَبِّهِ إِلَّا الضَّالُّونَ »

وقيل : قتل القنوط صاحبه

وقال الطغرائى :

« ولا تيأسن من صنع ربك إنّه ضمين بأن الله سوف يُديل »
« فإن الليالى إذ يزول نعيمها تبشر أن النائبات تزول »

وقال آخر :

« لا خير فى اليأس كل الخير فى الأمل أصل الشجاعة والإقدام فى الرجل »

قوة عزيمة الإسكندر

لقد أمر (الإسكندر المقدونى) أحد قواده بالإغارة على حصن أمنع من عقاب الجو ، فخالفه القائد قائلا : يا سيدى إن ذلك مما لا يستطاع .

فصاح الإسكندر فى وجهه مغضباً : لا شىء فى العالم محال على من يبذل

جهداً ، و يمضى عزماً ، ولم يمض غير يسير حتى قهر الإسكندر عدوّه ، ودمر حصنه ، وأذل حُماته

نابليون وعزمه الماضى

يحكى أن (نابليون بونابرت) امبراطور فرنسا ، كان يكره من الكلمات ثلاثاً : لا أقدر ـ لا أعرف ـ مستحيل

فكان جوابه للأولى : حاول ، وللثانية : تعلم ، وللثالثة : جرّب، ولم يرض (نابليون) لنفسه أن يكون عبداً حتى للعوارض الطبيعية التى لا قِبَلَ للإنسان بمقاومتها ومغالبتها

فلقد قيل له وهو يكتسح الممالك بجيشه الجرار : إن جبال الألب الشاهقة تعوقك عن المسير ، وتحول دون أمانيك

فأجاب على الفور : يجب أن تمحى من الأرض

فهكذا كان (نابليون) وهكذا كانت إرادته وعزيمته التى عنت لها وجوه الجبابرة ، ودانت لها رقاب القياصرة

الثقة بالنفس

الثقة بالنفس أول شرط للفوز فى معترك الحياة ، وتيقن الظفر بالمراد منه.

الثقة بالنفس فضيلة إذا أتيحت لصاحب العزيمة الصادقة كانت عوناً له فى تذليل ما يعترضه من المصاعب

الثقة بالنفس تستدعى وجود الأمل ، والأمل يدفع الإنسان إلى العمل ، والإخلاص فيه ، والتفانى فى إنجاحه

وإذا كانت ثقة الإنسان بنفسه ضعيفة لم يجترئ على بذل مجهود ، أو صرف نقود ، وكانت نتيجته الخيبة والخسران

فجدير بالطامح إلى إحراز السبق فى معترك الحياة ، أن يأخذ نفسه بالثقة بمستقبله ، وتحقق مراده فيه ، وإلا عاد من جهاده فى الحياة بما هو مقدر من الفشل للضعيف خائر العزيمة ، ذلك الذى إذا عبس الزمان فى وجهه وبسر ، داخله الوهم بأنه شقى ، وأن الشقاء ملازم له ما دام حياً ، فإذا تحرك لعمل مّا وهو فى أسر هذا الوهم الجائر آل جهده حتماً إلى الفشل والبوار

وخليق به أن يتدبر الحقيقة الآتية وهى : ان المرء إذا انحرفت أعماله عن الغاية التى يتطلع إليها ، لا يحسن به أن يتهم الحظ والطالع ويقول : ماذا أعمل وحظى سيئ ؟ لأن الناس رجلان : رجل يضرب فى الغرض الذى يسعى إليه بسهم همته غير هياب ولا وجل ، لمضاء عزمه ، واطمئنان نفسه ، وثقته بها

ورجل يتردد فيفشل ، ثم يتهم الحظ والبخت

فيجمل بهذا الأخير ألا يمهد لليأس سبيلا إلى نفسه ، إذا جاءت جهوده بما لم يجر فى ظنه من الفشل ، ولا يجزع إذا مسته خيبة ، بل يتعزى عنها بالمقابلة بين حاله وما يقع فى الكون من الحوادث والعبر

فيقول مثلا : إن الرياح لا تهب من مهب واحد ، ولا تأتى دواماً بما تشتهى السفن ، وإن المرء إذا أخطأه التوفيق مرةً ، كثيراً ما يصيبه مرات أخرى ، إذا استأنف العمل عينه غير يائس ، واقتدى بالربان اليقظ فى السلوك بسفينته إلى المرسى الأمين بين الرياح المختلفة ، إلى غير هذا من التعزى المنشط للهمة المثبت للإيمان

إن الثقة بالنفس للفوز فى معترك الحياة المحفوفة بالمتاعب والعقبات فضيلة اختص بها أهل الإيمان وأصحاب العزيمة ، وهى يستفز صاحبها إلى الثقة بأهليته والاعتماد على قوته ، فقد قال أحد الحكماء : من الخطإ إخماد جذوة الثقة بالنفس فى أفئدة الشبيبة ؛ لأنها من أقوم الشيم فى المرء وأشرفها ، ولأن الاعتداد بالنفس خير مظهر لثقة الإنسان بأهليته ، الثقة التى يترتب عليها النجاح فى الحياة والظفر بمطالبها العديدة .

حقاً ، إن اعتقاد المرء النجاح فى عمله ضرب من الخيلاء ؛ ولكن ماذا يضره إذا كان هو الذى يستفزه إلى الخطوة الأولى التى إذا جاءت بشىء

من النجاح ، حملته على الأخذ بالثقة فى نفسه والاعتماد على مواهبه الذاتية .

يستنتج من هذا كله أن بث روح الهمة لا يكون إلا بإنماء الثقة فى النفس ، والاعتماد على القوى النفسية .

مثال الثقة بالنفس

محمد طلعت حرب ــ مدير ومؤسس بنك مصر ــ هو المثل الأعلى للثقة بالنفس .

نعم ، إن الثقة بالنفس هى أكبر مزية لهذا الرجل العظيم ، لهذه الشخصية الكبيرة البارزة التى وضعت الحجر الأول فى بناء حرية مصر الاقتصادية .

فهو فى الحق أكبر اقتصادى ، وأكبر رجل مالى فى مصر ؛ بل هو من الرجال الأفذاذ الذين يعيشون لأمتهم أكثر مما يعيشون لأنفسهم .

وهو المصرى الأول الذى اتخذ المال فناً ، فإذا لم تصدق فزيارة واحدة إلى (بنك مصر) كفيلة بتصديق ما نقول ، حيث تجد شبان مصر العاملين فى سبيل حرية مصر من الوجهة الاقتصادية قائمين بأعمالهم خير قيام ، بكل دقة وأمانة وحسن نظام .

عرف طلعت حرب أن المال أعظم قوة على الاستقلال وسند للحرية ،

وقوام للوحدة ، ونظام للجماعة ، فلم ينتظر حتى تسنح الفرص وإنما جاء بالفرص التى كانت فى انتظاره ، ولم يتكلم أولا ليعمل ثانياً وإنما عمل أولا ، ثم لم يتكلم وجعل العمل يتحدث عن نفسه ، وجعل النفس تعمل لتزيد الناس حديثاً .

وقد فهم حقيقة الحال وعرف السبب والمآل ، فكان الرجل الحكيم ، الصادق لنفسه وللناس ، عامل الناس كباراً عقلاء ، فعاملوه كبيراً عاقلا ، أدخل الناس فى ثقته ، فأدخلوه فى ثقتهم ، وأقاموه أول رجل فيهم ، موثوق به منهم ولولا ثقته بنفسه ، وقوة عزيمته ، وحسن إدارته ، لما وصل إلى تنفيذ هذا المشروع الخطير ، ولما وصل البنك والشركات التابعة له إلى التقدم والنجاح

التواكل ومضاره

لكل امرئ فى هذه الحياة عمل يقوم به على قدر طاقته ، وهو مكلف بأدائه ؛ فإذا اتكل زيد على عمرو ، فكأنه أضاف عمله إلى عمل عمرو ، وهذا لا يستطيع أن يحمل أكثر من حمله ، ولا يؤدى عملين فى وقت واحد ، فإذا اتكل كل شخص على الآخر أصبح الجميع متواكلين ، ووقفت حركة الأعمال ، واختل النظام ، وساءت الحال .

فاعلم يا بنى ، أنه ليس من أحد غيرك يقضى واجبك ، ويقوم بحاجتك مهما كانت زهيدة لا تكلف عناء ، وإن قضاها صاحبك فلا يحسن قضاءها مثلك .

وما من أحد يفرغ من أعماله ومساعيه الخاصة ليسعى ويعمل لغيره . فلا تتكل يا بنى فى تحصيل علومك ورزقك على أحد ؛ بل اسع إلى رزقك ، ولا تعتمد إلا على نفسك ، فتأكل العيش هنيئاً لذيذاً ، وترشف الشراب سائغاً ، وتنام على فراش الراحة والمسرة والهناء .

قال سيدنا على بن أبى طالب : إياك والاتكال على المنى فإنها بضائع الموتى .

وبالجملة فإن أعدى أعداء العمل التواكل الكاذب ، المقرون بالإهمال والتقاعد ، وترك السعى والحركة والنشاط ، واتخاذ الأسباب الظاهرة التى أمرنا الله ونبيه ﷺ بمراعاتها والسير على سنتها .

ويوضح ذلك ما كان من إرشاده ﷺ لذلك الأعرابى الذى أراد أن يسرح ناقته فلا يعقلها ، ولا يوثقها ، اتكالاً على الله مذ سمع ما للمتوكلين من الفضل ، فقال له ﷺ مفسراً معنى هذا الاتكال بأوجز عبارة ، وألطف إشارة : « اعقلها وتوكل » أى اجمع بين الأمرين بين اتخاذ السبب ، وبين الاتكال عليه سبحانه وتعالى فى أن يجعل ذلك السبب مؤدياً إلى حفظ الناقة ، فلا يعمد إليها لص يسرقها أو غلام عارم يحل وثاقها ويطلقها .

هذا هو التوكل الشرعى الصحيح : أن توجد أيها الإنسان عملك باتخاذ أسبابه ، ثم تنفخ فيه روح التوكل على الله فلا تقنط من توفيقه ، وكريم عنايته ، وخفى لطفه .

فإذا فعلت هذا شعرت إذ ذاك ببرد الأمل فى قلبك ، ولذة العمل فى نفسك .

أما التوكل من دون عمل ، والعمل من دون توكل ، فكلاهما ناقص التركيب ، ليس له من الفائدة والقيمة الشرعية أدنى نصيب ، بدليل قوله ﷺ : « لو توكلتم على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير ، تغدو خماصاً وتروح بطاناً » تغدو أى تذهب مبكرةً ، وخماصاً جائعةً ، وتروح أى ترجع بطاناً ، ممتلئة البطن ، فقد جعل الله للطير عملاً ، ولم يجعلها تكتفى بالتوكل فقط .

سوء عاقبة التواكل

كان لرجل من أغنياء التجار ولد نجيب ، مرّنه من صغره على التجارة ببلده ، حتى عرفها جيداً ، ولما بلغ أشده أراد أن يعوده على الأسفار ، فجهزه تجهيزاً يليق بأمثاله ، وأرسله حتى إذا كان على مسيرة أيام من بيت أبيه ، نزل ببعض المروج فى ليلة مقمرة ، فأبصر ثعلباً طريحاً قد أخذه الهرم وضعف عن الحركة ، فجعل يفكر فى أمره ، وهو يقول : كيف يرزق هذا الحيوان

المسكين ؟ لا أظن إلا أنه يموت جوعاً ؛ و بينما هو كذلك ، إذ أقبل أسد و بفمه صيد ، ووقف قريباً من الثعلب ، وأكل مما معه إلى أن شبع وذهب ، ولم يرَ الغلام ولا الثعلب ، فعند ذلك طفق الثعلب يزحف زحف الكبير ، حتى انتهى إلى ما تركه الأسد ، فأكل منه كفايتسه ، والغلام يعجب من صنع الله فى خلقه ، وما ساق إلى هذا الحيوان العاجز من الرزق ، وقال فى نفسه : إذا كان المولى سبحانه وتعالى قد تكفل لخلقه بالأرزاق ، فلأى شيء احتمال المشاق وركوب البحار ، واقتحام الأخطار ، ثم انثنى إلى والده ، وأخبره بما رآه ، وأنه بسببه قد عدل عن السفر .

فقال له أبوه : يا بنى ، لقد أخطأت النظر ، فإنما أردت أن تكون أسداً يأكل من فضلاتك الضعاف الكسالى الجياع ، لا أن تكون ثعلباً جائعاً ، تنتظر قوتك من فضلات غيرك . فقبل الولد نصيحة والده ، وعاد إلى ما كان فيه ، وعلم أن الرجل الحازم هو الذى يعمل ويكد ، و يعتمد فى كل أموره على نفسه ، لا على بنى جنسه ، وأنشد يقول :

« فإنما رجل الدنيــا وواحدها   من لا يعول فى الدنيا على رجل »
« وقلّ من عاش فى الدنيا على أمل   واستنجد الجد إلا فاز بالأمل »

حقاً ، ما من شيء ينهض بالمرء من حضيض الفقر والخسة إلى أوج الغنى والمجد مثل جده وسعيه وراء خير نفسه .

انظروا رحمكم الله إلى فئة العاطلين من العمل تجدوا أن هذه الفئة هى إحدى سيئات النظام الاجتماعى ، بل هى شر على ذلك المجتمع ، وهى لا تزال إحدى المعضلات التى يحاول المصلحون فى كل وقت حلها وعلاجها .

و بالحرى إن فئة العاطلين من الأعمال الذين حرموا من وسائل الكسب قوة ضائعة سدى ؛ لأن المجتمع الإنسانى لا يعرف كيف يستخدمها وكيف يفيدها ؟

فأى نفس لا يزعجها أن تجد فى أغلب المدن والقرى جمهوراً كبيراً من العاطلين ؟ وأى قلب لا يتفجع لمنظر الشاب عاطلاً من لذة العمل محروماً من نعمة الكسب ؟

الكرامة

لكل إنسان فى هذه الحياة كرامة ، يجب عليه صيانتها ، والمحافظة عليها ، وعدم التساهل فيها ؛ لأنه بها يعيش مكرماً معززاً ، وإلا عاش ذليلاً محتقراً .

وكرامة الإنسان ، هى عزة نفسه ، أى إكرامها ووضعها فى المقام اللائق بها ، وهذا يستلزم أن يعرف الإنسان قدر نفسه عملاً بالأثر :

« رحم الله امرأ عرف قدر نفسه » .

وهى وسط بين الكبرياء والضعة ، وهى ضرورية لاكتساب مودة الناس .

ولا تكتسب مودة الصديق إلا إذا تجلت له محاسنك ومحامدك التى هى «أنت» فيستحبها فيك ، ويميل بسببها إليك .

وهى لا تتجلى له كما هى إلا إذا لاءمت المقام الذى أنت فيه ، وملأته تماماً ، ولم تزد عليه ، لأنك إن كنت متكبراً كنت فى مقام من هو أعظم منك ، وإذ ذاك يرى صاحبك أن تلك المحامد والمحاسن قليلة عليك فيحتقرك لهذا النقص أو بالحرى يكرهك لادعاء الرفعة الباطلة .

وإن كنت متضعاً ، كنت فى مقام من هو أدنى منك ، وإذ ذاك توهم محاسنك ومحامدك وهمية لا حقيقية ، لأنها تظهر كثيرة عليك ، وأليق بمن هو فوقك منك ، فيكرهك لما يتوهمه من ريائك ، وبالحرى يسخر بك لابتذالك .

وللمحافظة على كرامتك ومكانتك لنفسك ، يجب أولاً : المحافظة على حقوقك كلها ، فلا تفقد منها شيئاً ، إلا ما يقضى التسامح أن تهبه لصديقك عن طيب خاطر ، فإن تركت حقاً لك لا يحسب لك ولا يعرف تسامحاً منك ، حتى إذا تكرر ذلك منك كنت مبتذلاً مستهاناً . وإن ادعيت أكثر من حقوقك حسبت طماعاً فتبغض .

ثانياً ـ أن تقوم بما يجب عليك لغيرك ، وأن تعتذر عما لم تستطع القيام به من واجباتك ، فإن قمت بأكثر مما يجب عليك حسبت متزلفاً ، وإن لم تقم بكل ما يجب عليك حسبت مقصراً .

فلا يرضيك أيها الإنسان أن تضع نفسك فى موضع ينزلك من عيون إخوانك ، فينظرون إليك نظر امتهـــان ، ويعاملونك معاملة تنطوى على الاحتقار .

ذلك لأنك لك كرامة تربأ بها أن تهينها ، ونفساً عزيزة تنزهها عن أن تشينها .

وليس هناك شىء أذهب بالكرامة من النقص والتسفل .

فمن النقص والتسفل مخالطة السفهاء ، ومعاشرة الأدنياء ، فإن الطبع يسرق من الطبع ، والمرء لا يعرف إلا بقرينه ، كما جاء فى الأمثـال : قل لى مَن تعاشر ؟ أقل لك من أنت .

وكما قال الشاعر :

« إذا كنت فى قوم فصاحب خيـــــــارهم
ولا تصـــــحب الأردى فتردى مع الردى »

« عن المرء لا تسأل وسل عن قريـــــــنه
فكل قرين بالمقارن يقتدى »

وقد تكون بريئاً ، ولكنك باختلاطك بقرناء السوء تضع نفسك موضع الشبهات ، وتكون متهماً بأنك منهم ، والعاقل من يربأ بنفسه عن موضع الزلل .

ومن الأشياء التي تذهب بالكرامة كثرة المزاح ، فإنه يدعو إلى التطرف في الكلام ، والهجر في القول ، والخروج عن حد الأدب ، وهو من العيوب الاجتماعية الكبيرة ، المزرية بالكرامة ، المضيعة للهيبة والشرف ، كما قال أحد الحكماء :

المزاح يأكل الهيبة كما تأكل النار الحطب ، وقول آخر : من قلّ عقله ، كثر هزله ، ومن كثر ضحكه ، قلّت هيبته .

احترام النفس

إن احترام النفس من أهم الفروض التي يجب على الإنسان أداؤها ، لأنه كما يحب المرء نفسه ويحافظ عليها ، ويتقي البرد والحر لأجلها ، ويسعى ويجد ليضمن رفاهيتها وتنعمها ، ويخرج إلى المتنزهات والخلوات لرياضتها ونزهتها ، ويذهب إلى محال الأنس والطرب لسرورها وانشراحها ، فإنه يجب عليه أن يحترمها ، ويعطيها حقها من الإكرام والاعتبار .

وليس الغرض من احترام النفس وإكرامها الترفع عن الناس والتعاظم عليهم ، أو الغطرسة وشموخ الأنف ، بل الابتعاد عن كل ما يشينها من إعطاء قسطها من الإحترام والإكرام . وكما أن الإنسان يسر خاطره ، وينشرح فؤاده ، عند ما يرى الناس يحترمونه ويجلونه ، يعتبر هذا من الواجبات المفروضة عليهم فإنه خليق به وأحرى أن يكون فى مقدمة الذين يحترمونه ويجلونه ، فيحترم هو أيضاً نفسه

والمقصود من احترام النفس : أن الإنسان لا يتذلل ، ولا يجبن ، ولا يحط من قدر نفسه ولا يزرى بشرفه ومقامه ، وأن يفصل فصلاً تاماً بين التواضع واحترام النفس ، ويجعل حدًّا فاصلاً يقف كلاهما أمامه ولا يتعداها

لأن التواضع بمعناه السامى لايفيد إذلال النفس وتحقيرها ، وتعويدها الجبن والاستماتة ، ولا ينافى الشهامة وارتفاع الرأس والأنفة وعزة النفس ، ولا هو من العوامل التى تدفع الإنسان إلى الحط بقدر نفسه ، ووضعها فى مركز أقل من درجته ومقامه ؛ بل هو إحترام للنفس حليف للانسانية صديق للكرم والحلم شقيق للطف والظرف ، رفيق للحنو والرأفه وهو أيضاً نقيض للكبر والخيلاء عدوّ للتيه والغطرسة ، مبغض للأبهة والفخر

وبالإجمال فإن الذى يعتقد أن عدم إحترام النفس هو إنكار الذات أو التواضع يعد مخطئاً

والخلاصة أن احترام النفس صفة كمال ، بها تتفاوت أقدار الرجال ، بها ترفع النفس عن مداناة الدنايا ، بها تستطيب دون الذل كؤوس المنايا ، بها أبانت الشريعة الإسلامية الغراء فضل الأحرار على الأرقاء ، بها جعلت الرجال قوامين على النساء ، بها حظرت على الشريفات الاقتران بغير الأكفاء .

عدم التبذل

التبذل هو الانحطاط ، وتصغير النفس ، بالخضوع والإلحاح فى الطلب والمسألة ، وفى ذلك إراقة لماء الوجه ، وذهاب بالكرامة ، وضياع للهيبة والاحترام .

ومن التبذل كثرة الإعجاب بما يشاهده الإنسان من الأشياء ، فإن ذلك يشعر بصغر نفسه ، كما أن الحسد أيضاً من دلائل التبذل ، لأنه يدل على نفس وضيعة حقيرة ، تستصغر شأنها ، وتعظم ما عند الناس .

ومن التبذل سؤال الناس عن أشياء لك بها حاجة ، فإن فى ذلك إعظاماً للناس ، وتحقيراً لك دونهم .

وليس أذهب بالاحترام من تطلب زيادة الاحترام ، فإن الإنسان لينقص قدره بقدر ما يتكلف من تكبر ، وما يتطلب من احترام .

قال الامام على كرم الله وجهه فى نصيحته لابنه الحسن :

أكرم نفسك عن كل دنيئة و إن ساقتك إلى الرغائب ، فإنك لن تعتاض بما تبذل من نفسك عوضاً ، ولا تكن عبد غيرك وقد جعلك الله حرًّا .

وقال هاشم :

ونفسك أكرمها فإنك إن تهن عليك فلن تلقى لها الدهر مكرماً

وقال آخر :

إذا أنت لم تعرف لنفسك حقها هواناً بها كانت على الناس أهونا

فنفسك أكرمها وإن ضاق مسكن

عليك بهـــا فاطلب لنفسك مسكناً

و إياك والسكنى بمنزل ذلة يعدّ مسيئاً فيه من كان محسناً

وقال عنتره العبسى :

لا تسقنى ماء الحيـــاة بذلة بل فاسقنى بالعز كأس الحنظل

ماء الحيـــاة بذلة كجهنم وجهنم بالعز أطيب منزل

حكايات وأمثال فى عزة النفس

كريم النفس خير من كريم المال

سُئل حاتم الطائى عن أى إنسان أعظم منه كرماً وأفضل نفساً وأحسن شيماً ؟

فقال : ذبحت يوماً أربعين حلوبة للأضياف ، ثم سرت فى البيداء أريد أمراً ، فبلغت أجمة فيها رجل يحتطب .

فقلت له : أما سمعت بكرم حاتم طىّ وسماحته ؟

قال : بلى .

قلت : هلا استضافك ؟

قال : ثكلتنى أمى لو أنه استضافنى وقبلت ضيافته ، ودعانى فأجبت دعوته ، فإننى ما دمت أستطيع الكسب بعرق جبينى ، وتعب يمينى ، فمن العار أن يكون لكريم يد أغضى لها حين يغضب .

« ولا خير فى مال عليه ألية ولا فى يمين عوقدت بالمآثم »

فقلت للمحتطب : أنا حاتم ، وأنت ورب الكعبة أعلى منى كعباً فى الكرم ، وأقرب إلى المروءة ، وأسبق إلى محاسن الشيم .

كريم النفس يصونها عن ذل السؤال

كان بعض السقائين ينشد أثناء سيره فى الطريق ، وهو حامل قربة ، قول الشاعر :

« وأكرم نفسى إننى إن أهنتها وحقك لم تكرم على أحد بعدى »

فسمعه الأصمعى ، وأراد المزاح معه ، فقال له : وعن أى شىء أكرمت نفسك ، وهذه حرفة دنيئة ؟ فأجابه فى الحال : إننى أكرمتها عن ذل السؤال، وعن الوقوف على باب لئيم مثلك ، فأسكته .

عزيز النفس لا يطيق الهوان

كان سليمان بن وانوس ، رجلاً جليلاً أديباً ، وكان وزيراً عند الأ
عبد الله صاحب الأندلس من بنى أمية ، فدخل عليه يوماً وكان عظيم اللحية
فلما رآه الأمير مقبلاً جعل يهجوه بأبيات تدل على الاحتـ
له سليمان وقد غضب : أيها الأمير ، إن الناس يرغبون ﻓ
عن أنفسهم الضيم ، وأما إذا صارت حالتهم للذل ، فلنا
عنكم ، فإن حلتم بيننا و بينها ، فلنا قبور تسعنا ولا تقدرون على
و بينها .

ثم خرج من غير أن يسلم ونهض ، فغضب الأمير ، وأمر بعزله عن الوزارة ، ورفع دسته (مجلسه) الذى كان يجلس عليه ، و بقى كذلك مدة .

ثم إن الأمير حزن على فقده لعفافه ، وأمانته ، ونصحه ، وفضل رأيه فقال للوزراء : لقد حزنت لفقد سليمان ، و إن أردت استرجاعه وتبرأ منا كان ذلك غضاضةً علينا ، فوددت أن يبدأنا بالرغبة .

فقال له الوزير أبو محمد بن الوليد : إن أذنت لى بالمسير إليه أستنهضه إلى هذا ، فأذن له ، فنهض إلى دار سليمان واستأذن له ، وكانت رتبة الوزارة بالأندلس أيام بنى أمية ألاّ يقوم الوزير إلاّ لوزير مثله ، فإنه كان يتلقاه وينزله معه على مرتبته ولا يحجبه لحظة .

فأبطأ الإذن على أبى محمد حيناً ثم أذن له ، فدخل عليه ، فوجده قاعداً ، فلم يتزحزح له ولا قام إليه .

فقال له أبو محمد : ما هذا الكبر ؟ عهدى بك وأنت وزير السلطان وفى أبهة رضاه ، تتلقانى على قدم ، وتتزحزح لى عن صدر مجلسك وأنت الآن فى موجدته (غضبه) بضد ذلك .

فقال له : نعم ، لأننى كنت حينئذ عبداً ذليلاً مثلك ، أما الآن فأنا حر عزيز النفس .

فيئس أبو محمد منه ، وخرج ولم يكلمه ، ورجع إلى الأمير فأخبره ، فابتدأ الأمير بالإرسال إليه ، ورده إلى أفضل مما كان عليه لشرفه وعزة نفسه .

علو الهمة وشرف النفس

حكى أن الأمير عمارة بن حمزة كان فى بعض الأيام جالساً فى مجلس الخليفة المنصور أبى جعفر الدوانيقى ، وكان يوم نظره فى المظالم ، فنهض رجل على قدميه وقال : يا أمير المؤمنين أنا مظلوم .

فقال : مَن ظلمك ؟

فقال : عمارة بن حمزة اغتصب ضياعى ، وابتز ملكى وعقارى .

فأمر المنصور أن يقوم من موضعه و يساوى خصمه للمحاكمة .

فقال عمارة بن حمزة : يا أمير المؤمنين ، إن كانت الضياع له فما أعارضه فيها ، و إن كانت لى فقد وهبتها له ، ومالى حاجة فى محاكمته ومماثلته ولا أبيع مكانى الذى أكرمنى به أمير المؤمنين بضياع .

فتعجب الأكابر الحاضرون من علو همته ، وشرف نفسه ومروءته .

« التبر المسبوك »

حكايات بديعة عن كرم النفس

قال تميم بن عدى اليربوعى : كنت مع عبد الله بن العباس عند منصرفه من دمشق ، فسألته فى بعض الأيام وقلت له : بماذا يتم عقل الرجل ؟ فقال : إذا صنع المعروف مبتدئاً به ، وجاد بما هو محتاج إليه وتجاوز عن الزلة ،

وجازى على المكرمة ، وتجنب مواضع الاعتذار فقد تم عقله . فحفظت ذلك منه ، وألصقته بقلبي .

ثم بعد أيام نزلنا منزلاً ، فطلبنا طعاماً لم نجده ، ولا قدرنا عليه ، فإن زياداً كان قد نزل بذلك المنزل قبلنا بأيام قليلة فى جمع كثير فأتوا على ما كان فيه من الطعام .

فقال عبد الله لوكيله : اخرج إلى هذه البرية ، فلعلك تجد بها راعياً معه طعام .

فمضى الوكيل ومعه غلمان فأطالوا التوقف ؛ فلما كادوا يرجعون لاح لهم خباء ، فأمّوه فوجدوا فيه عجوزاً فقالوا لها : هل عندك طعام نبتاعه منك ؟

فقالت : أما طعام بيع فلا ؛ ولكن عندى أكلة لى ، وأولادى أمس حاجة إليها .

قالوا : وأين أولادك ؟ قالت : فى رعيهم ، وهذا وقت عودتهم .

قالوا : فما أعددت لهم ؟ قالت خبزة هى تحت ملتها أنتظر بها أن يجيئوا .

قالوا : فجودى لنا بنصفها . قالت : لا . ولكن بكلها .

قالوا : ولم منعت النصف ، وجدت بالكل ، ولا خبز عندك غيرها ؟

قالت : إن إعطاء الشطر من خبزة نقيصة ، وإعطاء الكل فضيلة ، فأنا أمنع ما ينقصنى ، وأجود بما يرفعنى .

فأخذوا الخبزة لفرط حاجتهم إليها ، فلما أتوا عبد الله أخبروه خبر العجوز .

فقال : ارجعوا إليها فاحملوها فى دعة وأحضروها .

فرجعوا إليها وقالوا لها : إن صاحبنا أحب أن يراك .

قالت : ومَن هو صاحبكم ؟ قالوا : عبد الله بن العباس .

قالت : ما أعرف هذا الاسم . قالوا : العباس بن عبد المطلب ، وهو عم النبى ﷺ . قالت : والله هذا الشرف العالى ، قومى أنصاره .

قالوا : نعم . قالت : فما يريد منى ؟ قالوا : يريد أن يكافئك على ما كان منك .

قالت : لقد أفسد الهاشمى ما أثل له ابن عمه عليه السلام ، والله لو كان ما فعلت معروفاً لما أخذت عليه ثواباً ، وإنما هو شىء يجب على كل إنسان أن يفعله .

قالوا : فإنه يحب أن يراك ، ويسمع كلامك .

قالت : أسير إليه ؛ لأنى أحب أن أرى رجلا من جناح النبى ﷺ وعضواً من أعضائه ، فلما سارت إليه رحب بها وأدنى مجلسها .

وقال : ممن أنت ؟ قالت : من كلب بن وبرة .

قال : كيف حالك ؟ قالت : لم يبق من الدنيا مايفرح إلا وقد بلغته ،

وإنى الآن أعيش بالقناعة ، وأصون القرابة ، وأنا أتوقع مفارقة الدنيا صباحاً ومساء .

قال : أخبريني ما الذى أعددت لأولادك عند انصرافهم بعد أخذنا الخبزة ؟

قالت : أعددت لهم قول العربى :

« ولقد أبيت على الطوى وأظله حتى أنال به كريم المأكل »

فأعجبه قولها ، فقال لبعض غلمانه : انطلق إلى خبائها ، فإذا أقبل بنوها فجىء بهم .

فقالت للغلام : انطلق إلى بناء البيت ، فإنهم ثلاثة ، فإذا رأيتهم تجد أحدهم دائم النظر نحو الأرض ؛ عليه شعار الوقار ، فإذا تكلم أفصح ، وإذا طلب أنجح ، والآخر حديد النظر ، كثير الحذر ، إذا وعد فعل ، وإن ظلم قتل ، والآخر كأنه شعلة نار ، وكأنه يطلب بثار ، فذاك الموت المائت ، والداء الكابت ، فإذا رأيت هذه الصفة فيهم ، فقل لهم عنى : لا تجلسوا حتى تأتونى .

فانطلق الغلام فأخبرهم الخبر ، فما بعد أمده ، حتى جاءوا فأدناهم عبد الله وقال :

إنى لم أبعث إليكم وإلى والدتكم ، إلا لأصلح من أمركم ، وأصنع مايجب لكم .

فقالوا : هذا لا يكون إلا عن مسألة ، أو مكافأة فعل جميل تقدم ، ولم يصدر منا واحدة منها ؛ فإن كنت أردت التكرم مبتدئاً فمعروفك مشكور ، وبرك مقبول مبرور ، فأمر لهم بسبعة آلاف درهم وعشرة من النوق .

فقالت لهم العجوز : ليقل كل واحد منكم بيتاً من قوله .

فقال الأكبر :

« شهدت عليك بحسن المقال وصدق الفعال وصدق الخبر »

فقال الأوسط :

« تبرعت بالبذل قبل السؤال فعال كريم عظيم الخطر »

فقال الأصغر :

« وحق لمن كان ذا فعله بأن يسترق رقاب البشر »

فقالت العجوز :

« فعمّرك الله من ماجد ووقيت ما عشت شرّ القدر »

ثم ودّعوه وانصرفوا .

قال تميم اليربوعي : فالتفت إليّ وقال لي : ياتميم ، وددت لو وجدت مزيداً في ابتداء المعروف إلى هذه المرأة وبنيها ، وجعل يتأوه من تقصيره عن مراده في ذلك .

فقلت له : قد أحسنت وأرجحت ، وقد شهد فعلك بما سبق من قولك ، وأنت أتم عقلاً ، وأكمل مروءة .

« العقد الفريد للملك السعيد »

الشجاعة

الشجاعة مواجهة الألم أو الخطر عند الحاجة بثبات ، وليست مرادفة لعدم الخوف كما يظن بعض الناس ، فالذى يرى النتائج ، ويخاف من وقوعها ، ثم يواجهها بثبات ، رجل شجاع ، وما دام الإنسان يعمل فى موقفه خير ما يُعمل ، فهو شجاع .

فالقائد الذى يقف فى خط النار فيرتعش ، ويخاف أن ينزل به الموت ، ثم يضبط نفسه ويؤدى عمله كما ينبغى فهو قائد شجاع ، بل هو شجاع أيضاً إذا رأى أن خير عمل يعمله أن يتجنب الخطر ، وأن الواجب عليه أن ينسحب بجنوده حيث لا خطر ، فإن هو أضاع فى موقفه رشده ، أو ترك موقفاً يجب أن يقفه ، أو فرّ بجنوده من خطر كان يجب عليه أن يواجهه فهو جبان ، فليست الشجاعة تعتمد على الإقدام والإحجام ، ولا على الخوف وعدمه ، إنما تعتمد على ضبط النفس وعمل ما ينبغى ، فإن ضبط الشخص نفسه ، وعمل ما يجب أن يعمل فى مثل موقفه رغم خطرٍ أمامه ، ورغم ما يشعر به من خوف ، فهو شجاع وإلا فلا .

وليس بالمحمود أن يتجرد الإنسان من كل خوف ، فقد يكون الخوف

فضيلة ، وعدمه رذيلة ، فالخوف عند إمضاء عقد سياسى مثلا ، أو إنهاء أمر خطير فضيلة ؛ إذ هو يحمله على الروية حتى يختمر رأيه ، وفضيلة أن يخاف الإنسان من ثلم عرضه وشرفه .

فليس بشجاع من يدخل الحانة ويشرب جهاراً ، أو يقامر على ملأٍ من الناس غير هياب ولا وجل ، فذلك ضعف فى الشعور لا شجاعة .

إنما الجبن المذموم ، والخوف المرذول ، أن يبالغ الإنسان فى الخوف أو يهوّل فى الشىء المخوف .

فمثلا كل إنسان عرضة لكَلْب كَلِب يعضه ، أو سلك ترام يصعقه ، أو سيارة أو قطار يدهمه ، أو نار تشب فى بيته ، أو مكروه ينال منه ، كل هذه أشياء تخيف ، ولكن الجبان يبالغ فى الخوف منها ، ويخشى جد الخشية من وقوعها ، ثم يحمله خوفه على اجتناب العمل ، فلا يركب مركباً مثلاً خوف أن يغرق به ، ولا يرحل عن وطنه إذا لم يجد عملا خوف أن يدركه الموت .

ولكن الشجاع لا يفكر كثيراً فى احتمال الشر ، ثم إذا وقع لم يطر قلبه شعاعاً ، بل يصبر له ويتحمله بثبات ، إن مرض لا يضاعف مرضه بوهمه ، وإذا نزل به مكروه قابله بجأش رابط ، فخفف من شدته .

وبالجملة فالشجاع ليس بالمتهور الطائش الذى لا يخاف مما ينبغى أن يخاف منه ، ولا بالجبان الذى يخاف مما لا يخاف منه .

وليست الشجاعة مقصورة على حمل السلاح ومشاهدة الحروب ؛ بل إن كثيراً من الأعمال اليومية يحتاج إلى شجاعة لا تقل عن شجاعة الجنود ، فرجال المطافئ والأطباء ، وعمال المناجم ، وصيادو الأسماك في البحار عند اشتداد تلاطم الأمواج ، والممرضات اللاتي يتعرضن للأخطار بتمريض المصابين بالأمراض المعدية ، وربانو السفن البخارية كل هؤلاء وأمثالهم شجعان يتحملون الأخطار كما يتحمل الجنود ، ويقابلون الشدائد بصبر وثبات .

ومن أكبر مظاهر الشجاعة حضور الذهن عند الشدائد ، فشجاعٌ مَن إذا عراه خطب لم يذهب برشده ، بل يقابله برزانة وثبات ، ويتصرف فيه بذهن حاضر ، وعقل غير مشتت

قد يرى إنسان ناراً تلتهم بيته ، أو لصاً يغشى منزله ، أو قطاراً يكاد يهشم رجلا ، أو سفينة أشرفت على الغرق ، فإن فقد رشده ، وضاع صوابه ، وحار طرفه ، ووله عقله ، ولم يدر ماذا يفعل كان جباناً ، وإن هو ملك نفسه ، وثبت قلبه ، وتصرف في الأمر على أحسن وجه كان شجاعاً حقاً .

كالذى حكى عن عبد الملك بن مروان : أنه أتاه في يوم واحد ،خبر مقتل ابنه زياد ، وهزيمة جيشه ، ودخول ابن الزبير فلسطين ، وقيام ثورة في دمشق ، ومسير ملك الروم إلى الشام ، فما تزعزع ولا طاش ، وقد رؤى في هذا اليوم ثابت الجأش ، ثابت الجنان ، غير مقطب الوجه ، ثم شغل ملك

الروم بمال يؤديه إليه ، ووجه جيشاً إلى فلسطين فاستردها ، وسار إلى دمشق فأسكن فتنتها .

الأخلاق

للأستاذ أحمد أمين

الإقدام

من المعلوم أن السعى فى طلب الرزق كالغزو والجهاد ، ولذا قال النبى ﷺ : عدنا من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر .

فلا يحظى بنيل المعالى ، واكتساب الشرف إلا الحازم المقدام ، كما أنه لا ينال الغنيمة إلا الشجاع الجرىء الذى يقدم عليها بكل قوة ونشاط .

وأما الجبان المحجم فليس أهلا للغزو فيحرم من الكسب والتقدم ، كما أن البليد ليس بأهل لنيل مآربه .

ولابد لطالب المعالى من استعداد يوصله لغرضه ، كعلوم ومعارف وآداب حتى يقوم بالدفاع عن نفسه لدى من يريد منازعته ومناقشته ، كما أنه لا بد للشجاع من آلة حرب يدافع بها عن نفسه أمام أعدائه .

فالواجب على كل فرد من أفراد المجتمع الإنسانى السعى فى طلب العلوم والمعارف بهمة ونشاط ، وأن يقدم على المعيشة واكتساب المفاخر بحزم وتبصر ، ليقوم بخدمة نفسه وأهله ووطنه .

أمثـــلة فى الشجاعة

(نابليون بونابرت)

امبراطور فرنسا « ١٧٦٩ — ١٨٢١ »

من أعظم من سجل التاريخ أسماءهم لبطولتهم وشجاعتهم (نابليون بونابرت) قائد فرنسا العظيم ، وامبراطورها الجليل ، الذى لم يقف فى سبيله أى عقبة ، ولم تعترض طريقه أى صعوبة ، وكان يكره من الـكلمات ثلاثاً : لا أقدر ، لاأعرف ، مستحيل .

فـكان جوابه للأولى : حاول ، وللثانية : تعلم ، وللثالثة : جرب ولم يرض (نابليون) لنفسه أن يكون عبداً حتى للعوارض الطبيعية التى لا قبل للإنسان بمقاومتها ومغالبتها .

فلقد قيل له ــ وهو يكتسح الممالك فى جيشه الجرار ــ : إن جبال الألب الشاهقة تعوقك عن المسير ، وتحول دون أمانيك .

فأجاب على الفور : يجب أن تمحى من الأرض .

ولقد حل الوباء برجاله وأخذ يفتك بهم أثناء الحملة على مصر فـكان (نابليون) يعود المرضى منهم ، ويحادثهم دون أن يدع للعدوى وأخطارها سبيلا إلى فكره فيستولى عليه الجبن والجزع ، وكانت تلك مجازفة ومخاطرة منه ،

غير أنه أحب أن يُرى القوم أن ذا الهمة العالية ، والعزم الصادق ، قد يقف الموت حياله هلعاً مذعوراً .

فهكذا كان (نابليون) وهكذا كانت إرادته التى عنت لها وجوه الجبابرة ، ودانت وخضعت لها رقاب القياصرة ؛ ولولا أن اليأس وصل إلى قلبه حين غلب على أمره فى واقعة (واترلوا) لخرت صخور (سنت هيلانة) أمام بأسه وشجاعته .

صلاح الدين الأيوبى

هو السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب من أكبر ملوك المسلمين همةً ، وأكثرهم شوكةً ، وأشدهم صولةً ، وأبعدهم صيتاً .

ولد فى سنة ٥٣٢ هـ وتربى فى كنف أبيه نجم الدين حتى ترعرع ، فدخل فى خدمة نور الدين محمود بن زنكى صاحب الشأم ، وتدرّب معه على أمور السياسة ، وطال باعه فيها .

ثم سيّره مولاه إلى مصر ليساعد واليها . ولما كانت سنة ٥٦٧ هـ مات العاضد لدين الله والى مصر فى ذلك الزمان ، فقام صلاح الدين مقامه ، ولم يلبث أن استقل بها واستولى على بلاد الشأم والعراق واليمن واشتهر بمقاتلة الإفرنج الطامعين فى الاستيلاء على الأرض المقدسة .

ومن نوادره معهم : أنه رأى يوماً ملكهم (قلب الأسد) يقاتل راجلاً

فأرسل له جواداً يركبه مع رسالة يقول له فيها : مقامك أرفع عندى أن أراك تقاتلنى راجلاً . وقد مات بدمشق سنة ٥٨٩ ﻫ .

ومن مآثره بمصر : بناء مدرسة مجاورة لضريح الإمام الشافعى رضى الله عنه ، ومدرسة بجوار المشهد الحسينى ، و بنَى مدرسة بالقدس ، و بنى مدرسة بمصر المالكية ، ووقف عليها الأوقاف الكثيرة ، ولم ينسب شيئاً منها إلى اسمه ، وليس باسمه إلا المدرسة الصلاحية بدمشق : وكان مع هذا الملك العظيم، والسطوة الحربية. كريم النفس ، رقيق القلب ، كثير التواضع واللطف ، كثير الوفاء ، يأمن الناس ظلمه لعدله .

وكان يحب العلم والعلماء ، و يقربهم إليه ، و يحسن إليهم .

تيمورلنك

الملقب بصاحب قران « أى ملك العالم »

أما (تيمورلنك) فيعد من ذوى الشجاعة والهمة العالية . وقد روى أنه ولد وَيَدَاه مفتوحتان مملوءتان بالدماء . وكان منذ طفولته مشغوفاً بتذليل الخيول الصعبة القياد ، وصيد الوحوش الضارية ، ولم يكن يناهز الثانية عشرة من عمره حتى خاض غمار الحروب ، فأظهر من البأس والشجاعة ما أكسبه المهابة والاحترام بين قومه وذوى قرابته .

ثم تولى زعامة قبيلته بعد وفاة أبيه ، وولى وجهه نحو الفتوحات ففتح

خوارزم ، وخراسان ، وفارس ، وجنوب الروسيا ، و بلاد الهند ، وسورية ، وخرب بغداد ، ودمرّ (جورجية) أكثر من مرة ، ثم التقى بالسلطان (بايزيد) العثمانى فى معركة دموية ساحقة انتهت بهزيمة الجيش التركى وأسر السلطان .

ثم دعاه (تيمورلنك) إلى عاصمة ملكه (سمرقند) بعد غيبة سبع سنين أخضع بهـا الممالك فأخذ يعمل على ترقية الأنظمة الداخلية فى ملكه : فبنى المدارس ، وأقام دور العلم ، وشيد المستشفيات ، وقضى بين الناس بالحق فى ظلاماتهم ، ولم يحجب عنه عظيماً أو حقيراً ، غير أن محبة الفتح قد شغلت مكاناً من قلبه ، وامتزجت بلحمه ودمه ، فلم يستطع عنها صبراً ، فإنه كان يطمح إلى امتلاك العالم كله وأن يكون هو ملكاً له وسلطاناً عليه ، ولذا كان يلقب « بصاحب قران » أى ملك العالم .

وكان يقول : « لا يجوز أن يكون فى الأرض إلا ملك واحد ، كما أنه ليس فى العالم إلا إله واحد » فلما أن رأى بلاد الغرب قد دانت له وخضعت لحكمه أراد أن يمتشق الحسام فى بلاد الشرق فجهز جيشاً عرمرماً وسار به إلى بلاد الشمس المشرقة من الصين واليابان غير أن المنية فاجأته فى الطريق فقطعت أسباب أمله وحالت دون أمانيه .

إبراهيم باشا

من أعظم القواد بسالة وإقداماً (إبراهيم باشا بن محمد على باشا) فقد كان مثالاً للبطولة الحقة فى جميع حروبه : حارب الترك مرتين فظفر فيهما جميعاً ، ولولا وقوف الدول فى وجهه لكانت الدولة التركية كلها فى قبضته ، ولتغيرت صفحة عظيمة من صفحات التاريخ .

ولم تكن حربه مع الوهابيين بأقل دلالة على البطولة والبسالة ، فقد كانوا مستميتين فى الدفاع عن مبدئهم الدينى ، وعن وطنهم فضلاً عن أنه حاربهم فى ديارهم ، فهزم جيوشهم ، وأسر زعيمهم عبد الله بن سعود سنة ١٨١٨ ، وخلع سلطان تركيا على ابراهيم باشا خلع شرف مكافأةً له ، ومنحه الرتب والألقاب اعترافاً بفضله وشجاعته .

الشجاعة الأدبية

لمّا تقدم الناس فى المدينة لم يكونوا فى حاجة كبرى إلى الشجاعة البدنية كما كانوا يحتاجون إليها أيام بدواتهم ، فظهر للشجاعة معنى جديد يسمونه : « الشجاعة الأدبية » يعنون بها أن يبدى الإنسان رأيه ، وما يعتقد أنه الحق ، مهما ظن الناس به ، أو تقولوا عليه ، فى غضب عظيم ، أو أمير ، يخاف من تحمل ألم يصيبه فى سبيل قبول حق يقوله ، أو مبدأ هام ينشره .

فلو رأى فى مسألة غير مايراه علماء وقته أو من حوله من الناس ، أو خالف حاكماً أو عظيماً جاهر برأيه غاضاً بصره عما يناله من الأذى يقول الحق بأدب وإن تألم منه الناس ، ويعترف بالخطأ وإن نالته عقوبة ، ويرفض العمل بما لا يراه صواباً ولو لم يقع رفضه موقعاً حسناً .

والتاريخ مملوء بكثير من النـاس ضحوا بأموالهم وأنفسهم فى سبيل قول الحق ونصرته ، وصبروا على الآلام عشقاً للحق وهياماً به ، واستعذبوا طعم الرزايا تنزل بهم ؛ لأنهم يحبون الحق أكثر مما يحبون أنفسهم ؛ ومنهم الأنبياء والمرسلون ، والشهداء ، ونوابغ العلماء ، فقد أوذوا فى الحق فتحملوا الأذى ، وباعوا أنفسهم وأموالهم مرضاةً له .

كالذى حكى عن رسول الله ﷺ وقد جاء إليه عمه أبو طالب ينصحه بالعدول عن دعوة الناس فقال : يا عم والله لو وضعوا الشمس فى يمينى ، والقمر فى يسارى ، على أن أترك هذا الأمر حتى يظهره الله أو أهلِكَ فيه ما تركته .

ومن هؤلاء (سقراط) الفيلسوف اليونانى قد علَّم شبَّان (أثينا) ما وصل إليه علمـه ، وبذل جهده فى تثقيف عقولهم وتقويم أخلاقهم ، فلما بلغ سن السبعين اتهم بأنه يجحد آلهة اليونان ويضلل الشبان فحكم عليه بالإعدام (سنة ٣٩٩ ق م) وكان فى استطاعته أن ينجو بنفسه إذا هو تعهد أن ينقطع عن التعليم ، ولـكنه أصر على قول الحق وأضاع نفسه .

وفى تاريخ العرب كثير من أمثال ذلك: فابن رشد الفيلسوف الشهير المتوفى سنة ٥٩٥ ﻫ اضطهد من أجل اشتغاله بالفلسفة وسجن ونفى فلم يعبأ بذلك كله .

وابن تيمية أحد الفقهاء المشهورين المتوفى سنة ٧٣٨ ﻫ أداه اجتهاده إلى مخالفة فقهاء عصره فى بعض المسائل فوشوا به إلى السلطان فسجنه فظل يكتب الرسائل فى سجنه يؤيد بها مذهبه ، ويدحض بها حجج معارضيه .

وفى العصور الحديثة لولا أن قوماً من العلماء ضحوا كثيراً فى قول الحق ما تقدم العلم والمدنية إلى الحد الذى نراه .

فواجب أن نقف بإزاء الحق نصرح به ، وندافع عنه ونتعشقه ونتحمل الآلام فى سبيله ، ونتخذ من ذكرنا مثلاً صالحاً فى حياتنا .

ومن هذا النوع من الشجعان من يهجر لذاته وراحتـه ، ويتحمل الألم لخير الناس وإسعادهم ؛ فمن يرى الأمراض التى تفتك ببنى الإنسان ويخصص حياته لمعالجتها ، ويضحى بكثير من مصلحته الذاتية لمصلحة أمته ، ويصبر على ما يناله من الشدائد ، ويتغلب على ما يصادفه من العقبات كان أشـجع من جندى فى خط القتال .

والخلاصة ليس المراد من الشجاعة تقلد السلاح ، ورمى النفس فى المخاوف ، والمخاطرة بها فى المهالك ، ومعارضة كل ذى قوة وبطش ، سواء أكان ذلك بالحق أم بالباطل ؛ بل الشجاعة أن يأتى الإنسان إلى الحق فيطلبه ،

ولا يزال يؤيده ، ويدافع عنه ، حتى ينال مقصوده ، فلا يثنيه عن عزمه ملامة أحد له ، أو تعصب جماعة عليه ، ولا يؤنسه طول الزمن في انتظار ما يريده ويتمناه .

ليست الشجاعة أيها الشبان بذاءة اللسان ، وتطاول الأقران ، وترك الإحسان إلى الإخوان ، وفقد الرحمة والحنان ، من قلب الإنسان ولكن الشجاعة أن تفعلوا الخيرات ، وأن تكونوا يداً واحدةً على من عاداكم ، وأن تتحلوا بالجد والعمل حتى تسعدوا وتسعد بكم بلادكم .

واعلموا أن الشجاعة الأدبية هي أعلى مراتب الشجاعة ، وهي قول الحق ، والسعي وراء الحق ، مهما كانت الحوادث التي تحيط بالإنسان ، وتوحي إليه أن يكون عادلاً أميناً ، مخالفاً لهوى النفس ، شديد الحرص على القيام بما يفرضه عليه الواجب .

فالرجل إذا قوي ضميره ، وظهرت عليه علائم الشجاعة الأدبية كان رابط الجأش في أعظم المواقف ، حاضر الجنان في كل وقت .

تلك هي الشجاعة الأدبية التي ينال أصحابها من أجلها الألقاب والتبجيل والشرف الرفيع . قال أحد الشعراء الأدباء في وصف الشجاعة :

ليس الشجاع الذي يحمي فريسته   يوم النزال ونار الحرب تشتعل
بل الذي كفَّ عن نيل الحرام كما   يقضي العفاف فذاك الفارس البطل

وقال آخر :

ليس من يقطع طرقاً بطلاً إنما من يتقى الله البطل

وقال آخر :

إن الشجاعة أن ترضى إذا غضبوا أو ردك الشر بالخير الذى يجب

من يمنع النفس شراً وهو يمكنه فهو الشجاع الذى يحيا به الأدب

جزاء الشجاعة

لما كان الفرنسيون يحاصرون مدينة (طولون) كان (نابليون بونابرت) قائد المدفعية (الطبجية) فشرع فى إقامة بطرية من المدافع لحصار المدينة مقتحماً نيران العدو ؛ ثم بدا له أن يصدر أمراً لرجاله ، فطلب ضابطاً من الضباط الذين يعرفون الكتابة ، فبرز فتى من الصفوف وجعل يكتب ما يلقنه اياه (بونابرت) والرصاص يهطل حولهما كالمطر .

ولما انتهى من كتابة الأمر وقعت بجانبه رصاصة فأثارت التراب حتى تغطى به القرطاس ، فقال الفتى ضاحكاً : لقد أحسنوا صنعاً فإنهم أغنونا عن تجفيف هذه الكتابة .

ولما رأى (نابليون بونابرت) ثبات جنان هذا الفتى وصبره على المكاره وجه أنظاره إليه ، وجعل يرقيه من منصب إلى منصب حتى صار من أعظم أركان حرب الامبراطور .

شجاعة امرأة عربية

أسر ضِرَار بن ألأَزْوَر فى وقعة أجنادين (وقعة عظيمة بين المسلمين والروم فى فلسطين) فتوجه خالد بن الوليد لخلاصه ، فلما أدرك العدو حمل فارس من فرسانه على عساكر الروم كأنه النار المحرقة فزعزع كتائبهم (جيشهم) وحطم مواكبهم ، وقتل منهم رجالاً ، وجندل أبطالاً ، واخترق القوم غير مكترث .

فكثر قلق الناس عليه ؛ ثم خرج وسنانه يقطر دماً ، و بعد أن أبلى بلاءً حسناً كشف عن لثامه ، فإذا هو : (خولة بنت الأزور) تقاتل لتخلص أخاها من الإسار .

حكايات وأمثال فى الشجاعة الأدبية

الشجاع لايخشى فى الحق لومة لائم

قال الربيع حاجب أبى جعفر المنصور : ما رأيت رجلاً أحضر جناناً ، ولا أربط جأشاً من رجل رُفع إلى المنصور على أن عنده ودائع وأموالاً لبنى أمية وأمرنى بإحضاره ، فأحضرته ودخلت به إليه .

فقال له المنصور : قد رُفع إلينا خبر الودائع والأموال التى عندك لبنى أمية فأخرجها لنا .

فقال : يا أمير المؤمنين أوارث أنت ؟

قال المنصور : لا .

قال الرجل : أأنت لهم وصىّ ؟

قال : لا .

فقال له الرجل : إذاً فما سبب سؤالك عما فى يدى من ذلك ؟

فأطرق المنصور ساعة ، ثم رفع رأسه ، وقال للرجل : إن بنى أمية ظلموا المسلمين فى هذه الأموال ، وأنا وكيلهم فى حقهم ، فأريد أن آخذ أموالهم وأجعلها فى بيت مالهم .

فقال له الرجل : يا أمير المؤمنين ، يلزم فى ذلك إقامة البينة العادلة على أن الذى فى يدى لبنى أمية هو ما خانوه وظلموه واغتصبوه من أموال المسلمين ؛

فإن بنى أمية كان لهم أموال غير أموال المسلمين .

فعاد المنصور وأطرق إلى الأرض ساعةً ، ثم رفع رأسه والتفت إلىّ وقال لى : يا ربيع ما وجب على الرجل عندنا شيء .

ثم ان المنصور التفت إلى الرجل و بشّ به متبسماً فى وجهه وقال له : هل لك من حاجة فأقضيها لك ؟

فقال : نعم يا أمير المؤمنين ، حاجتى أن تنفذ كتابى على البريد إلى أهلى فى الشام ليسكنوا إلى سلامتى ، فقد راعهم إشخاصى من عندهم ، ثم أسألك حاجة أخرى يا أمير المؤمنين .

فقال له : وما هى ؟

فقال : أريد من كرم أمير المؤمنين ، أن يجمع بينى و بين من سعى بى عنده ، فوالله ما عندى لبنى أمية شيء ، ولا فى يدى مال ولا وديعة ، ولا فى معرفتى أن لهم عند أحد شيئاً ؛ ولكنى لما مثلت بين يديك ، وسألتنى ، رأيت ما قلته أقرب إلى الخلاص والنجاة .

فالتفت أمير المؤمنين المنصور إلىّ وقال لى : يار بيع اجمع بينه و بين من سعى به .

قال الربيع : فأخذت الرجل وجمعته بالذى سعى به . فحين رآه الرجل قال : هذا غلامى ضرب على ثلاثة آلاف دينار من مالى وأبق بها منى .

فلما سمع المنصور ذلك هدده ، وشدد عليه ، وأمر بتعذيبه ، فأقر عند

ذلك الغلام بصدق كلام الرجل ، وأنه غلامه ، وأنه أخذ المال الذى ذكره مولاه وأبق به ، وسعى بمولاه ليجرى عليه أمر الله ، ويسلم هو من الوقوع فى يده .

فالتفت المنصور إلى الرجل وقال : نسألك الصفح عنه .

فقال الرجل : يا أمير المؤمنين صفحت عن جرمه ، وأبرأت ذمته من المال ، وأعطيته ثلاثة آلاف دينار أخرى .

فقال المنصور : ما على ما فعلت من الكرم مزيد .

فقال : بلى يا أمير المؤمنين ، إن هذا حق كلامك ، ثم استأذن وانصرف .

وكان المنصور بعد ذلك يذكره ويعجب ويقول : ما رأيت قط مثل هذا الرجل يا ربيع .

الخليفة المعتصم وتميم بن جميل

روى أحمد بن أبى داود القاضى ، قال : ما رأيت رجلاً عُرض على الموت فلم يكترث به إلا تميم بن جميل الخارجى ، كان قد خرج على المعتصم ، ورأيته قد جىء به أسيراً ، فأدخل عليه فى يوم موكب وقد جلس المعتصم للناس مجلساً عاماً ودعا بالسيف والنطع ، فلما مثل بين يديه ، نظر إليه المعتصم فأعجبه شكله وقده ، ورآه يمشى إلى الموت غير مكترث به ، فأطال الفكرة فيه ، ثم استنطقه لينظر فى عقله وبلاغته فقال : يا تميم ، إن كان لك عذر فأت به ؟

فقال : أما إذا أذن أمير المؤمنين ، جبر الله به صدع الدين ، ولمّ شعث المسلمين ، وأخمد شهاب الباطل ، وأنار سبيل الحق ، فالذنوب يا أمير المؤمنين تخرس الألسن ، وتصدع الأفئدة ، وأيم الله لقد عظمت الجريرة ، وانقطعت الحجة ، وساء الظن ، ولم يبق إلا العفو ، وهو الأليق بشيمك الطاهرة ، ثم أنشد :

أرى الموت بين السيف والنطع كامناً	يراقبني من حيث لا أتلفت
وأكثر ظني أنك اليوم قاتلي	وأيّ امرئ مما قضى الله يفلت
ومن ذا الذي يأتي بعذر وحجة	وسيف المنايا بين عينيه مصلت ؟
وما جزعي من أن أموت وإنني	لأعلم أن الموت شيء مؤقت
ولكن خلفي صبية قد تركتهم	وأكبادهم من حسرة تتفتت
كأني أراهم حين أنعى إليهم	وقد لطموا تلك الخدود وصوّتوا
فإن عشت عاشوا سالمين بغبطة	أذود الردى عنهم وإن مت موّتوا
وكم قائل لا يبعد الله داره	وآخر جذلان يسر ويشمت

فبكى المعتصم وقال : إن من البيان لسحراً ، ثم قال : كاد والله يا تميم أن يسبق السيف العذل ، وقد وهبتك لله ولصبيتك ، وأعطاه خمسين ألف درهم .

الاعتدال

الاعتدال هو وسط بين رذيلتين ، هما الشره ، وخمود الميل ، فالشره هو الانهماك فى اللذات والسلوك بها طريقاً لا ينبغى ، والخمود هو الإعراض عن اللذات الجميلة النفسية والجسمية التى يحتاج إليها البدن والنفس ، ويبيحها الشرع والعقل .

فلا يسمى الشخص عفيفاً إلا إذا اعتدل فى لذاته الجسمية من مآكل ومشارب ونحوها ، وفى انفعالاته النفسية ، فلم يهج ، ولم يغضب لأقل الدواعى ، ولم يفرط فى الحزن إذا فقد عزيزاً ، أو نزح عن وطنه ، إلى أمثال هذا ، وبذلك يكون الإنسان سيد نفسه ، لا عبد شهواته توجهه كما تشاء .

والاعتدال هو التوسط فى الأمور ، وهو خير دستور يتبع فى الأقوال والأفعال لمن يريد أن يعيش فى نعيم وراحة بال ، وما أحسن ما قيل :

حب التناهى غلط   خير الأمور الوسط

والاعتدال يكون فى التعب كما يكون فى الراحة .

فكل إفراط فى العمل جسدياً كان أو عقلياً يتعب الجسد والعقل ، ثم إنْ توالى العمل ، ولم تتخلله راحة كافية ، كانت عاقبته وخيمة ، فينحل الجسم ، ويختل العقل ، ويحصد الإنسان ثمار إفراطه أسفاً وندماً ، فالذى يفرط

فى الجرى يقع مغمى عليه ، والذى يفرط فى الدرس يكل دماغه ولا يعود يفهم شيئاً ،والذى يفرط فى النظر إلى لون جميل تشبع عينه منه فتتعب ولا تعود تميز ذلك اللون .

والذى يفرط فى أكل الحلوى يسأمها وتشمئز نفسه منها ، وسبب ذلك كله تعب الأعضاء والأعصاب .

أما الراحة فلازمة للإنسان لزوماً لا محيص عنه ، لكنها إذا زادت عما يقتضيه الجسم بطؤ سير الدم فيه ، و بطؤ التنفس أيضاً فيتعب الجسم من البطالة كما يتعب من العمل .

ولذلك تجد الكسلان القليل الحركة يتثاءب ويتمطى ، لكى يحرك جسمه ، و يجرى الدم فيه ، ولسان حاله يقول : إنى تعب من الراحة وشاعر باحتياجى إلى العمل .

ولا يقف ضرر الراحة عند هذا الحد ؛ بل يألفها الجسم رويداً رويداً و يرتاح إليها ، فيقل نشاطه ، حتى إذا اضطر بعد ذلك إلى عمل جسدى عنيف ، أو شغل عقلى شاق أضناه التعب حالاً ، وهذا يشعر به كل امرئ من نفسه إذا انقطع عن العمل الجسمانى والشغل العقلى مدة طويلة ، ثم عاد إليهما ، فإنه يشعر بتعب كثير فى أوائل الأمر من أقل جهد .

وعليه ، فالاعتدال فى الراحة لازم كالاعتدال فى التعب ، أى أن الإفراط والتفريط مضران على حد سواء ، وخير الأمور الاعتدال بينهما .

ومن الناس متشائمون ، لا ينظرون إلى العالم إلا بمنظار أسود ، فيرون النعيم جحيماً ، والسرور حزناً وغماً أليماً .

ومنهم متفائلون ، يبالغون فى رؤية ما يسر دون ما يحيط به من ألم .

ولكن الاعتدال فى النظر إلى الأشياء بحسب طبيعتها دون تأثر بالانفعالات النفسية هو النجاح والسعادة .

ومن الناس من يبالغون فى الزهد والتقشف ، ويرون الفضيلة فى كبح جماح الشهوات ، ومنهم من يرى إطلاق العنان للنفس ، فينغمس فى اللذات والسرور .

ولا تعمر الدنيا بالزهد ، كما أنها لا تنتظم بالانغماس فى اللذات ، لأن فيها بذور الانحطاط ، وعوامل الاختلال والانحلال .

ولكن الحكمة فى الاعتدال والتوسط ، فيأخذ الإنسان من اللذات ما لا يعقبه الندم والحسرة ، ويبتعد عن اللذات التى تؤدى إلى الهلاك وتكون سبباً فى ضياع الدنيا والدين ، ومخالفة رب العالمين .

قال الإمام على كرم الله وجهه كلمة جامعة فى الاعتدال :

أعجب ما فى الإنسان قلبه ، وله مواد من الحكمة ، وأضداد من خلافها .

فإن سنح الرجاء أذله الطمع ، وإن هاجه الطمع أذله الحرص ، وإن ملكه اليأس قتله الأسف ، وإن عرض له الغضب اشتد به الغيظ ، وإن

سعد بالرضا نسى التحفظ ، وإن أتاه الخوف شغله الحذر ، وإن اتسع له الأمن استلبته الغرّة (الغفلة) ، وإن أصابته مصيبة فضحه الجزع ، وإن استفاد مالاً أطغاه الغنى ، وإن عضته فاقة بلغ به البلاء ، وإن جهد به الجوع قعد به الضعف ، وإن أفرط فى الشبع كظته البطنة .

فكل تقصير به مضر ، وكل إفراط له قاتل ، فما أحسن الاعتدال !

طبيب هارون الرشيد وعلى بن الحسين

يحكى : أن الملك هارون الرشيد كان له طبيب نصرانى حاذق ، فاجتمع ذلك الطبيب يوماً مع على بن الحسين بن واقد عند الرشيد ، فقال الطبيب لعلى : إن العلم قسمان ، علم أبدان ، وعلم أديان ، وليس فى كتابكم من علم الطب شىء .

فقال له علىّ : إن الله تعالى قد جمع الطب كله فى نصف آية من كتابه .
فقال الطبيب : وما هو نصف الآية ؟

فقال له علىّ : هو قوله تعالى : « وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا » . أى اعتدلوا فى الأكل والشرب .

فقال له النصرانى : إن نبيكم لم يروَ عنه شىء فى الطب .

فقال له علي : قد جمع رسولنا ﷺ الطب فى ألفاظ يسيرة .

فقال الطبيب : وما هى ؟

فقرأ عليه الحديث الآتى :

قال ﷺ : المعدة بيت الداء ، والحمية رأس كل دواء ، وأعط كل بدن ما عودته .

فقال الطبيب النصرانى عند ذلك : ما ترك كتابكم ، ولا نبيكم (لجالينوس) شيئاً من الطب .

أمثال فى الاعتدال

١ — شكا بعضهم (لسقراط) ما يجده من قلة الشهية للطعام ، وعدم الاستلذاذ بألذ المأكولات .

فقال له سقراط : عندى لذلك علاج شاف ، وهو أن تعتدل فى المأكل وتقلل من الألوان ، فتستلذ بما تأكله ، وتقل نفقاتك ، ويعتدل مزاجك .

٢ — ودعا سقراط جماعة للطعام ، فلما رأى بعض أخصائه سذاجة طعامه ، وقلة الألوان التى أعدها لهم لامه وقال له : كان الأجدر بك أن تزيد اهتمامك بالاستعداد لضيوفك .

فقال سقراط : إن كان ضيوفى عقلاء فعلى المائدة ما يكفيهم ، وإن لم يكونوا عقلاء فعلى المائدة أكثر مما يستحقون .

الاقتصاد

الاقتصاد باعتبار أنه « علم الاقتصاد » هو تدبير المال ، وتقليبه فى الوجوه المختلفة ، ليغزر وينمو ، وهو من أشهر العلوم العصرية ، ومن أهم ما يعنى به الاجتماعيون والإداريون من بين علوم الحضارة والعمران ، فى هذه الأزمان ، وهو خارج عن موضوع كتابنا هذا .

والاقتصاد باعتباره فضيلة من الفضائل الخلقية ، هو الإبقاء على شىء من المال وحفظه لأيام الاحتياج إليه بعد انفاق جملة المال .

ومعنى الاقتصاد : القصد فى النفقة ، وهو العدل فيها ، والتوسط بين الإسراف والتقتير ، فلا يجارى الإنسان من هو أغنى منه فى إسرافه وتبذيره ، فيقع فى أسر الاستدانة ، ويصبح فقيراً معدماً ، فينبذه كل من رآه ، ويبغضه كل من علم أمره ، ولا يبخل على نفسه وأهله فى الإنفاق أو يشح بالإحسان على البائسين والمحتاجين ، فيكون عرضة إلى ضرر اجتماعهم ، وهدفاً إلى سوء عاقبة حرماتهم ، فيعيش ولا رأفة عنده ولا اطمئنان ، ويكون معتدلاً فى إنفاقه وصرفه ، مقتصداً بقدر الإمكان لمكافحة مصائب الزمان ، وطوارق الحدثان

وبما أن المرء يجهل أحوال الزمان ، ولا يأمن صروف الأيام ، ولا يدرى ما إذا كانت غبطتـه تدوم ، أو باب رزقه يبقى مفتوحاً ، كان حقاً عليه أن يستعد للأيام قبل وصولها إليه ، وأن يتدارك الإعسار قبل الوقوع فيه ، بأن يجمع فى أيام إيساره ، ما يقاوم به إعساره ، وذلك بالاقتصاد فى المعيشة .

وقد ورد هذا المعنى فى الحديث الشريف ، وهو قوله ﷺ :

« رحم الله امرأً كسب طيباً ، وأنفق قصداً ، وقدم فضلاً ليوم فقره وحاجته » .

« كسب طيباً » أى من الرزق الحلال الطيب « وأنفق قصداً » أى عدلاً من غير تقتير ولا إسراف « وقدم فضلاً » أى بقية يبقيهـا من نفقاته يدخرها إلى أن يقدمها لنفسه فى أيام عجزه وشيخوخته التى يرافقها غالباً الفقر والحاجة .

فما أحسن هذا الأدب الشرعى ! وما أشد حاجة الناس إليه على اختلاف طبقاتهم وأدوارهم وأطوارهم !

والاقتصاد على هذه الصورة التى علمنا إياها الشارع الحكيم من الواجبات الشخصية التى ينبغى أن يراعيهـا الإنسان فى واجب الكسب من التجارة ، والزراعة ، والصناعة .

فلا يدخل عليه المال من هنا ، ثم يطلق يده فيه فيبدده ويتلفه ويخسر الوسيلة التى يكون بها نيل الخيرات ، وفعل المكرمات ، والفوز بالرغبات ،

كما يحث عليه من جهة ثانية ألا يشح ، أى يجمع المال و يحرص عليه إلى حد التقتير على نفسه وعياله فى ضرورات معيشتهم ، فيصبح كأنه فقير حقيقة ، وهو غنى اسماً وصورةً ، كما قال الشاعر :

ومن ينفق الساعات فى جمع ماله مخافة فقر فالذى صنع الفقر

ذكر ما قيل فى الاقتصاد

من الآيات الخاصة على العدل فى النفقة قوله تعالى :

« وَلاَ تُبَذِّرْ تَبْذِيراً، إنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُوا إخْوَانَ الشَّيَاطِينِ » .

«وَالَّذِينَ إذَا أنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا»

« وَلاَ تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إلَى عُنُقِكَ وَلاَ تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَحْسُوراً » .

والأحاديث الحاثة على الاقتصاد كثيرة . منها قوله ﷺ :

« من اقتصد أغناه الله ، ومن بذر أفقره الله » .

«ما عال من اقتصد » ومعنى (عال) افتقر واحتاج .

« التدبير نصف المعيشة » .

« ما أحسن القصد فى الغنى ، وما أحسن القصد فى الفقر ، وما أحسن القصد فى العبادة » .

« الاقتصاد فى النفقة نصف المعيشة » .

وأثنى أبو بكر الصديق رضى الله عنه على الاقتصاد بقوله : ما عال مقتصد ولا يعيل .

وقال : إنى لأبغض أهل بيت ينفقون رزق أيام فى يوم واحد .

وقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه : إن الله يحب القصد والتقدير ويكره السرف والتبذير .

وقال على كرم الله وجهه : دع الإسراف مقتصداً ، واذكر فى اليوم غداً .

وقال معاوية : حسن التقدير نصف الكسب ، وهو قوام المعيشة .

وقال الأصمعى : من اقتصد فى الغنى والفقر ، فقد استعد لنوائب الدهر .

وقال شيشرون : الاقتصاد خير مصادر الثروة فى الأسرة والمملكة .

وقال أحد علماء الاقتصاد : من ربى ابنه على الاقتصاد أفاده أكثر مما يترك له ثروة وافرة ، وقال أحد الشعراء :

« أنفق بقدر ما استفدت ولا تسرف وعش صاح عيش مقتصد »
« من كان فيما استفاد مقتصداً لم يفتقر بعدها إلى أحد »

وصفوة القول : أن الاقتصاد ، واستفضال شىء من النفقة ، أساس التدبير المنزلى ، ومن أول الواجبات الشخصية ، وهو الملجأ الأمين الذى يلجأ إليه

أرباب الأسر فيجدون فيه الهدوء والراحة والسرور وحرية التمتع بالنعيم والخيرات التى أفاضها الخالق تعالى عليهم .

قال بعض كتاب العرب : قد عاينت الأمور وعانيتها ، ثم بعد تفكر عميق فى الحياة لم أجد سوى أمرين ربما جلبا السعادة : الاعتدال فى مطالب النفس ، وحسن التصرف فى الثروة .

وجاء فى الأنباء : أن بعض الأوربيين والشرقيين لم يعنوا بجمع المال للهو واللعب والتفاخر والتكاثر ، بل ادخروه واقتصدوه لتعليم أنفسهم وأولادهم ، وإنشاء المدارس ، ومكافأة العلماء ، ومساعدة الفقراء ، وإسعاف المصابين ، وإقامة الملاجئ ، وبناء المستشفيات ، وكم رأينا وسمعنا من أناس منهم يوصون بأموالهم ، التى اقتصدوها وأعدوها لأعمال البرّ والخير والإحسان ، أن تصرف فى هذا الغرض الشريف ، غرض رقى الأمة وسعادتها . فلمثل هذا يكون الاقتصاد فى المال ، ولمثل هذا فليعمل العاملون .

مثال فى الاقتصاد

يروى عن المستر (اسمث) مخترع المطرقة البخارية : أنه كان يعمل فى مصنع ويقتصد فى نفقاته ، ويشترى بما يزيد آلات ليعمل بنفسه ، ولم يمض عليه ثلاث سنوات فى ذلك المصنع حتى اشترى دكاناً وعمل فيه سنتين .

ثم انتقل إلى معمل كبير وما زالت أعماله تتسع حتى بلغت ثروته مبلغاً عظيماً .

مثال آخر

قال أحد أعضاء البرلمان الإنجليزى : كنت فى حداثة سنى أعمل فى منجم من مناجم الفحم الحجرى ، وأقتصد من أجرى صيفاً لأتعلم شتاءً ، وما زلت كذلك حتى اتسعت معارفى ، ووصلت إلى مركزى فى البرلمان .

مثال آخر

قال بعضهم : زرت أحد معامل النسيج ، فوجدت فيه أربعة آلاف عامل يعملون معاً فى بناء واحد ، وكان معى أحد أصدقائى ، فلما التقينا بصاحب المعمل التفت صديقى إلىّ وقال لى مشيراً إليه : إن كلانا كان أجيراً فى هذا المعمل منذ خمس وعشرين سنة ، والآن صار المعمل كله ملكاً له باجتهاده واقتصاده ، فقال صاحب المعمل : إن امتلاكى لهذا المعمل لم يتوقف كله على اجتهادى واقتصادى ؛ بل على اجتهاد زوجتى واقتصادها أيضاً ، فإننى لما تزوجت منها كانت تعمل فيه ، وكانت أجرتها سبعة قروش كل يوم .

وحقيقة كم من أناس كانوا فى أول حياتهم من العمال الأصاغر ؟ وهم الآن يملكون المعامل الكبيرة والأملاك الواسعة بفضل اجتهادهم واقتصادهم .

هذا وقد ذكرنا أمثلة كثيرة فى الاقتصاد فى الجزء الثالث من كتاب السمير .

قواعد الاقتصاد

القاعدة الأولى : ادخر شيئاً من دخلك مهما قلّ ، فإن كل من يدخر من دخله يصير غنياً ، ولو كان دخله قليلاً ، أما من ينفق أكثر من دخله فحكمه حكم القاصر السفيه ، والغالب أن جميع الشرائع تعتبره كذلك ، وتحكم بأن يقام قيم عليه ينظر فى شؤونه و يدبر أموره .

القاعدة الثانية : ادفع ما عليك نقداً ، ولا تكن مديناً لأحد ، واعلم أن الدين باب الخراب ، ومن دخله لا يأمن أن يُخدع أو يَخدع .

القاعدة الثالثة : لا تنفق اعتماداً على ربح واصل آجل ، فإن كل ما لم تحصل عليه بالفعل فأنت فى خطر من عدم الحصول عليه ، ومن ينفق أموالاً قبل ما تصل إلى يده فلا ينجو من الدين والفقر .

القاعدة الرابعة : اكتب كل دخلك وكل خرجك ، وراجعه مرة بعد أخرى .

القاعدة الخامسة : اعمل ميزانية دقيقة لكل سنة قبل الدخول فيها ، حتى يمكنك أن تقتصد من مالك الذى بيدك اليوم ما يقوم بحاجاتك و يزيد عليها فى الغد

القاعدة السادسة : إياك والإتلاف فإن الذى تتلفه تخسره ولا ينتفع به أحد .

القاعدة السابعة : راقب كل أعمالك بنفسك فإن كنت من أهل الإمارة فما أنت بأعظم من (فردريك الكبير) ملك (بروسيا) ولا من (واشنطون) محرر (أمريكا) فإن كلا منهما كان يعرف كل ما فى بيته وكل ما ينفق فيه ؛ و إن كنت من أهل الأعمال فلا يتعب لك أحد وأنت متغافل عنه كما يتعب وأنت تراقبه ، وقد جاء فى الأمثال : لا يهتم فى العمل إلاّ صاحبه ، ولا يراقب الشىء إلا عين صاحبه .

القاعدة الثامنة : لا تشتر شيئاً لا تكون محتاجاً إليه بفكرة كونه رخيصاً أو غير بالغ حد قيمته ، فإنه فى الواقع ونفس الأمر يكون غالباً لعدم احتياجك إليه .

ولا تشتر شيئاً خارجاً عن حد إيرادك ميلاً منك إلى التظاهر والمباهاة والمفاخرة الباطلة ، فإن هذا مما يقوض ثروتك ، و يكون سبباً لتأخرك .

القاعـدة التاسعة : انظر دائمًا فى أمور مستقبلك ، واعمل حساباً لما عساه أن ينزل بك من نكبات الدهر ، لاتخاذ الاحتياطات اللازمة للتغلب عليها ، فإن من تبصر فى العواقب يكون فى أمان وراحة بال .

تدبير الوقت

« إذا فاتنى يوم ولم أصطنع يداً ولم أكتسب علماً فما ذاك من عمرى »

الزمن كالمـال ، كلاهما يجب الاقتصاد فيه وتدبيره ، وإن كان المـال يمكن جمعه وادخاره لوقت الحاجة بخلاف الزمن .

قيمة الزمن كقيمة الوقت ، كلاهما قيمته فى حُسن إنفاقه ، وحُسن استعماله فالبخيل الذى لا ينفق من ماله إلاّ ما يسد رمقه فقير كما إذا كانت أمواله مزيفة ، كذلك من لم ينفق زمنه فيما يزيد فى سعادته وسعادة الناس فعمره مزيف .

إنا نعيش فى زمن محدود ، ليـل ونهار يتعاقبان بانتظام ، ليس يطغى أحدهما على الآخر ، وحيـاة مقسمة تقسيما محدوداً : صِبًا ، فشباب ، فـكهولة فشيخوخة ، ولـكل قسم عمل خاص لا يليق أن يعمل فى غيره ، كالزرع إذا فات أوانه لا يصح أن يزرع فى غيره .

وحياة محدودة فإذا جاء الأجل فلا مفر من الموت .

وما فات من الزمن لا يعود ، فالصبا إذا فات فات أبداً ، والشباب إذا مرّ مرّ أبداً ، والزمن المفقود لا يعود أبداً .

وإذا كان الزمن محدوداً ، وكان لا يمكن أن يمد فيه أو يقصر ، وكانت قيمته فى حسن إنفاقه وجب أن نحافظ عليه ، ونستعمله أحسن استعمال وليس للانتفاع بالزمن ، والمحافظة عليه ، إلا طريق واحد ، ذلك أن يكون لك غرض فى الحياة ترضى عنه الأخلاق فتنفق زمنك فى الوصول إليه .

وضياع الزمن لسببين : الأول ألاّ يكون للانسان غرض يسعى إليه .

قال عمر بن الخطاب : إنى لأكره أن أرى أحدكم سَبَهْلَلاً ، لا فى عمل دنيا ولا فى عمل آخرة .

فما أضيع زمن قارئ يقرأ ما يقع فى يده من الكتب من غير أن يكون له غرض معين كبحث موضوع خاص أو دراسة مسئلة خاصة ؟

وما أتعب من يمشى فى الطريق لا لغرض ، يسير من شارع لشارع ، وينتقل من حانوت لآخر لا لغرض معين !

وتحديد الغرض يوفر من الزمن الشيء الكثير ، ويسير الإنسان فى الحياة على هدًى ، كلما صادمته أمور عرف كيف ينتخب منها ما يغذى غرضه، ويتجنب ما لا يتفق معه ، إن الذين لا يحددون أغراضهم ويتركون الزمن يمر عليهم كما يمر على الجماد قلما يصدر عنهم خير كبير أو يأتون بعمل عظيم

والإنسان بلا غرض كالسفينة فى البحر بلا مقصد متروكة فى يد الأمواج تلعب بها ؛ و يلاحظ أن أكثر الناس عملاً أوسعهم زمناً ، ذلك لأنهم محدودو الغرض فهم يوجهون أعمالهم قبله ، ولا يصرفون زمنهم فى التردد والاختبار ، ولا يكونون كرة فى يد الظروف تلعب بهم كما تشاء ، بل هم الذين يخلقون الظروف و يتصرفون فيها حسب أغراضهم فى الحياة .

الثانى — مما يضيع الزمن أن يكون للإنسان غرض محدود ولكنه لا يخلص لغرضه فلا يَجِدُ الوصول إليه ، ولا يعمل ما يتفق معه .

« عن كتاب الأخلاق »

هذا و إن ضياع الوقت لا يوازيه شىء آخر سواه مهما كان نفيساً .

فإذا فرطت فى متاع عزيز ، أو تحفة ثمينة ، أمكنك استردادها بضرب من ضروب الحيل ، أما إذا فرطت فى ساعة من عمرك وأضعتها بدون أن تكسب بها خيراً أو محمدة لا يمكنك استرداد تلك الساعة ولو بذلت فى سبيلها ملء الأرض ذهباً . فالوقت إذاً أثمن من الذهب وأعز منه . نعم الوقت ثمين جداً ، و إذا مضى لا يعود ، وجاء فى الأمثال : الوقت من ذهب ، فإذا أضعت منه شيئاً فكأنك أضعت جزءاً من مالك ، فإذا كنت تكسب ريالاً مثلاً فى اليوم وتركت الشغل يوماً واحداً فكأنك خسرت هذا الريال .

ولقد أصاب صفى الدين الحلى حيث قال :

« حياتك رأس المال والعلم ربحه وأخلاق أشراف بهن تصدر »
« وموسمـــك الأيام خلتك حازماً وإلا فذو التفريط لا شك يخسر »
« ومن ضيع الأوقات ضاعت حياته وعاش فقيراً جاهلاً ليس يشكر »
« ودع غائباً من فائت ومؤمل فوقتك سيف قاطع ليس يعذر »

حقاً ان الوقت كالسيف ، إذا لم تقطعه بالأعمـال النافعة قطعك بالأسى والأسف .

ومن المعلوم أن الحياة جهاد وكد ، فلـكل يوم من أيام حياتك عمل فإذا لم تعمل فى يومك عمله ضاعت عليك فائدته وقال أحد الشعراء :

« ولا أؤخر شغل اليوم عن كسل إلى غد إن يوم العاجزين غد »

وجاء فى الحـكم : لا تؤخر إلى الغد ما تقدر أن تعمله اليوم ، لأنك إذا أخرت عمل يوم إلى يوم آخر اجتمع عندك عمل يومين فيصعب عليك القيام بهما ، أما إذا أمضيت فى كل يوم عمله أرحت نفسك ، واكتسبت قيمة وقتك .

وليس من المحافظة على الوقت تخصيص جميعه للعمل ، بل تقسيمه تقسيماً مناسباً لحاجات الإنسان حتى تصيب الراحة والسرور قسماً منه لأنهما لازمان للحياة أيضاً .

إن لبدنك عليك حقاً ، ولذلك قد رأت الشرائع والحكومات أن تخصص يوماً فى الأسبوع للراحة من الأعمال وتجديد للقوى واستعداد لاستئناف العمل ، فجعلت يوم الجمعة عطلة عند المسلمين ، ويوم السبت عند اليهود ، ويوم الأحد عند المسيحيين .

(سبل النجاح)
للمؤلف

كاتب بليغ يندب وقتا أضاعه
ويحث على المحافظة على الزمن

الوقت هو التبر الثمين ، ولكننا نتلقاه غير مكترثين ، نبدد الأعوام واحداً بعد واحد ، لا نستفيد منها نفعاً ، ولا نحسن فيها صنعاً .

فقل لمن يصرف الأيام ، بين الأوهام والأحلام ، إن كنت تجهل مقدار ما تضيع من الزمن ، فقف بالقبور ملتمساً من سكانها برهة من الوقت ، تعلم أنه العزيز الذى لا يملك ، فمن أضاعه واشترى به ثمناً قليلاً فأولئك من الخاسرين .

ألا أن الطبيعة لحكيم مهذب الأفكار ، بدروس الاعتبار ، وإنّا لنموت في كل حين ثم نحيا ، ثم نعود أمواتاً ، فلنا في كل يوم عمر جديد ، ولكن أكثرنا لا يشعرون .

تمرُّ بنا الأوقات سراعاً ، وتكر الأيام تباعاً ، فنذهل عن تعاقبها كالمحدق بالكرة الدائرة يحسبها ساكنة ، أو كالمغتسل في النهر يمر به الماء جارياً فلا يميز بين منصرفه وآتيه ، والحق إنا لفي ضلال مبين .

لم يكفنا القعود ، عن شراء الوقت المفقود ، حتى نشرى بكل نفيس ما يضيع به الموجود .

نبدد كنوز الأيام غير شاكرين ، فإذا بدا الشاغل قلنا ما أبطأ الزمان متحركاً ، وما أثقله نزيلاً ، والتمسنا إلى الفرار منه سبيلاً ، ولا نفر إلا من أنفسنا ، فالزمان عين الوجود .

نملّ البقاء ، ونرجو الفناء ، فإذا جاء نذيره ، وددنا لو نكون من الخالدين .

ويتمثل لنا الوقت شبحاً ثقيل الوطأة ، فإذا تولى رأيناه طائراً عظيم الجناحين ، فنسعى في طلبه ، فلا ندرك له أثراً ، فنعود عنه آسفين .

فما سرُّ هذا التناقض ؟ وما بالنا نرى اليوم الحاضر بغيضاً ، فإذا انقضى بكيناه وقلنا : إن الزمان بمثله لضنين ، ولا يضن الزمان بالأيام ، وإنما نحن بها مسرفون ، وما كان ندمنا إلا عقاباً على الإسراف ، كذلك يجزى المفرطون .

تفيض علينا الأوقات ، فننفق منها بغير حساب ، ثم نحثها على المسير ، فإذا انصرفت ناديناها غير مسمعين ، فنحن نسعى إلى الموت ، ثم نفر منه ، كعاشقة حمقاء تغاضب من تهواه سعياً إلى الهجر ، فإذا رامه أتتـه مستغفرة أنها من التائبات .

ونمل الأعمال ، ولا راحة إلا بالأعمال ؛ فالهناء ثمرة لا تنبت إلا فى حقول الأشغال ، والحياة إن لم تكن مقرونة بالهناء ، فهى عين العناء .

فقل لمن يلتمس الملاهى لصرف ما يحسبه بطيئاً من وقته السريع : أى هذا المسترجل طفلاً ، المسترجل كهلاً ، القاعد عن النعمة سهواً ، تراك تحسب اللهو حياة ، فهل تحسب الموت لهواً ؟

تنام ملء عينيك على وساد الفساد ، تحت ظلال الوبال ، ولا تسمع حركة الوجود ، كأنك ممن انجروا ، فاكتنفتهم الأنواء تجر سحاباً ، تمطر عذاباً ، فخفى دويها بآذانهم فهم لا يسمعون .

فنبه طرف الفكرة ، من رقدة الغفلة ، واحرص على يومك ، حرص البخيل على الدرهم ، فربما مرت النعمة تحت جناح ساعة منه وأنت لا تعلم .

وأعد بما تعد من الفضل ما صار من وقتك منسياً ، فالمأثرة تعيد مائت الزمن حياً .

واعلم أن من أضاع شيئاً من الوقت ، فقد سرق التبر ، بل سلب العمر ، وكان من القتلة الظالمين .

من منتخبات
أديب إسحاق

جزاء عدم المحافظة على الوقت

اقتربت سفينة من جزيرة جميلة فقال (الربّان) أى الرئيس : مَن أراد النزول من الركاب فلينزل ، وعليهم أن يرجعوا عند ما يدق الجرس فى الغروب ، لأنه حينئذ يرفع المرساة و يستمر فى سياحته ، فانقسم الناس إلى خمس جماعات :

١ ــ فمكثت الأولى على ظهر السفينة ؛ لأنهم كانوا يخشون أن يضلوا فى الجزيرة .

٢ ــ وتجولت الجماعة الثانية فى الغابات ، وتمتعوا بروائح الزهور وأكلوا من الفاكهة اللذيذة ، ورجعوا إلى السفينة فرحين منتعشين .

٣ ــ وتجولت الثالثة بعيداً ، ورجعوا إلى الشاطئ فى عين الوقت الذى كان فيه الملاحون يرفعون المرساة ، وكانوا يخشون أن يكونوا قد تأخروا عن الميعاد المعين .

٤ ـ وأبطأت الجماعة الرابعة ، وتوانت حتى سمعوا الجرس يدق فلم يهمهم ذلك ، بل قالوا : لاحاجة إلى السرعة ، فالرّبان لا يذهب بدوننا غير أن السفينة أخذت تتحرك ، فخاض القوم الحمقى فى الماء ، وشاجر بعضهم بعضاً عند ما كانوا يتسلقون بجهد على جانب السفينة

٥ ـ وأما الجماعة الخامسة فأكلوا وشربوا وأكثروا من الأكل والشرب، ولم يعرفوا أين يقفون ، فغلبهم النوم ، فلم يسمعوا صوت الجرس ولم يعرفوا أن السفينة أقلعت

ثم استيقظوا فى ظلمة الليل ، فارتبكوا وهلكوا ، وذهبوا ضحية عدم محافظتهم على الوقت المحدد لقيام السفينة ، ولسان حالهم يقول :

« أنلهو وأيامنا تذهب ونلعب والدهر لا يلعب »

مثال الرجل المحافظ على وقته

روى أن ملكاً ركب فى موكب ، عظيم فهرع الناس أفواجاً لينظروه ، فمرّ بصانع ، فرآه مكبّا على شغله ولم يلتفت إليه ، ولم يرفع رأسه للسلام عليه فوقف الملك عنده وقال : كل الناس ينظرون إلىّ إلا أنت فما السبب ؟

فقال الرجل : أيها الملك ، أدام الله ملكك ، إنى رأيت الأيام تمر مرّ السحاب ، وتسير سير الشهاب ، وما رأيت أنفع ولا أبقى للمرء من عمل ينتفع به فى حياته ، وينتفع به الناس ، فها أنا أبذل غاية جهدى فى إتقان عملى ، والمحافظة على وقتى

فسرّ الملك من جوابه ، وأمر له بجائزة

ومن أمثلة المحافظة على الوقت والاستفادة منه ما يأتى :

كان الصاحب بن عباد وزيراً جليلاً لمؤيد الدولة أبى المنصور بن بُويه بعد أبى الفضل بن العميد ، ولم تقعده أعمال الوزارة أو مصاحبة مؤيد الدولة عن تأليف كتاب المحيط فى سبعة مجلدات والكافى فى الرسائل ، وجملة كتب غزيرة الفائدة تدل على تقديره لوقته وعدم إضاعة شىء منه

وكان أحد رؤساء الجمهورية الأمريكية ، وهو صغير السن ، يغتنم العطلة الدراسية فيقضيها فى العمل ، فيربح ما يساعده على شراء الكتب ، وتعلم العلوم

وكان المستر (اسمث) المخترع العظيم ، يعمل كل يوم بعد الظهر وبعد الفراغ من دروسه فى معمل أبيه

ويحكى : أن (كسرى أنو شروان) ملك الفرس مرّ على شيخ كبير فى السن ، يغرس النخل ، والمعروف أن النخل لايطرح ثمراً إلا بعد زمن طويل ، فدهش الملك من تقدير هذا الشيخ الفانى ، لقيمة الوقت وعدم إضاعته سدًى

وكان (غلادستون) السياسى المشهور ، والخطيب الانجليزى على سعة علمه ، وشدة ذكائه ، وفصاحة قلمه ولسانه ، لاتخلو يده فى أى وقت من الأوقات ، من كتابة يقتل بها الوقت ، إذا ركب قطاراً أو مركبة

وكان (إسحاق نيوتن) المستنبط العظيم ، يشغل وقت فراغه ، وهو تلميذ بصنع الآلات الصغيرة ، فـكان التلاميذ يسمعون صوت المنشار وطرق القدوم من مخدعه

وكان (استيفنسن) مبتكر الآلة البخارية أجيراً ، غير أنه كان يشغل وقته بدرس الحساب والمساحة ، ويحل مسائلهما بقطعة من الطباشير على جوانب مركبات الفحم ، فى جوف الليل

وكان (ابن رشد) الفيلسوف العظيم ، يقضى ليله فى التأليف والتحرير ولم ينقطع عن ذلك إلاّ فى ليلتين ، ليلة عرسه وليلة وفاة أبيه

وكان (ياقوت الحموى) تاجراً ، يشتغل فى البلاد ، ويطوف بالمدن والأمصار ، غير أنه لم يرض لنفسه أن يضيع الفرص التى أتيحت له ، فأخذ يدون كل ما شاهده من الأماكن ، ويصف أخلاق ساكنيها حتى جمع كتابه المشهور ، (معجم البلدان) فـكان أعظم كتاب فى علم تخطيط البلدان ، وأخلاق الشعوب

وكان (ابن الصابونى) خازناً لـلمكتبة فى بغداد ، فعزّ عليه أن يجد الناس ينتفعون بها دونه ، وأبى أن يكون أميناً على كتب يجهل ما فيها ، ومن ثم أخذ يجتهد فى قراءتها ويعنى بالتدقيق فى مسائلها ، حتى ألف كتاب (مجمع الآداب) فى خمسين مجلداً (ودر الأصداف) فى عشرين مجلداً

واجب الانسان نحو أسرته

تتكون الأسرة عادة من أب وأم وإخوة ، وأقرب الناس اليهم ثم الخدم

وشأن الإنسان فى أسرته كشأن العضو فى جسمه ؛ فكما أن الإنسان لا يتمكن من القيام بأعماله ، إلاّ إذا تعاونت أعضاء جسمه ، وقام كل فرد فيها بعمل

فإذا لم يقم رب البيت بالنفقة على الأسرة ، وربة البيت بإدارته وتدبيره حاق به الفناء . وإذا خرج الأولاد عن طاعة والديهم ، وهجروا دروسهم ، وانصرفوا إلى اللهو واللعب ، فقد كتب عليهم الشقاء وعلى أسرتهم الذل والعناء

والسرّ فى بقاء الأسرة ، وارتفاع شأنها ، ودوام سعادتها ، إنما يكون فى تعاون أفرادها وقيام كل بواجبه

ولنتكلم الآن على واجب الإنسان نحو أبويه

واجبه نحو والديه

الواجبات المطلوبة نحو الوالدين هى : الحب – الشكر – الطاعة – الاحترام – البرّ

١ – أما الحب ، فعاطفة فطرية أوجدتها القدرة الربانية ، فى قلب الولد ، فإن لم يشعر الولد فى دور الطفولة ، بأنه منجذب بميل طبيعى لمحبة والديه المملوءين عطفاً وحناناً عليه ، فانه يشعر بذلك إذا شبّ ، وكلما نما ازداد إدراكه وشعوره بالمحبة ، حتى إذا بلغ أشده تحولت محبته لأهله شفقة ، فيعمل لسعادتهم كما كانوا هم يعملون لسعادته

٢ – أما شكره لهما ، فيجب ألا يحده حد ، ولا يحصيه عد ، لأنهما سبب وجوده فى الحياة الدنيا ، وهما اللذان ربياه وأحبّاه حبّاً جمّاً ، وأقل ثمن على ذلك الشكر ، وعليه أن يقرن هذا الشكر بالعمل لنفعهما ، وتخفيف أعباء الحياة عنهما ، فهو عدتهما فى الحيـــاة ، وفلذة كبدهما ، وموضع رجائهما وهنائهما ، ومحل عنايتهما

وأن يكون أداؤه حق الشكر ، وقيامه بفروض العمل ، بلا منّ ولا ضجر ، بل بالعطف والصبر ، لأن هذا لا يعادل ماصادفاه من المشاق العظيمة فى تربيته منذ وُلد إلى أن صار شاباً يكسب المال بجده ونشاطه بفضل رضائهما وحبهما ودعائهما وتثقيفهما عقلة بالعلم والأدب فيجب عليه أن يعاملهما بالإحسان عملاً بقوله تعالى :

« وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَنْ لاَ تَعْبُدُوا إِلاَّ إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلاَهُمَا فَلاَ تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلاَ تَنْهَرْهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلاً كَرِيماً ، وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيراً » .

وقال تعالى : « وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَاناً » إلى آخر الآية .

وأوصى الرسول عليه الصلاة والسلام بالأمهات ، وكرر ذلك ثلاثاً ، ثم أوصى بالآباء .

وقال أيضاً : « الجنة تحت أقدام الأمهات » .

٣ ــ أما طاعته لهما ، فهى دليل على إخلاصه وحبه ، فواجب عليه أن يطيعهما ، وأن يخفض لهما الجناح فى السر والعلانية ، وأن يعمل بنصائحهما ، وأن يعتقد كل الاعتقاد بأن الفوز والنجاح فى امتثال أوامرهما ، والخيبة والخسران فى مخالفتهما ، لأنهما أعرف منه بالمنافع والمضار ، وأكثر خبرة بأمور الدنيا ، ولا يهمهما إلا نفعه وراحته وسعادته .

٤ ــ أما احترامه البنوى لهما فيكون برعاية الأدب نحوهما فى قوله وعمله ، فلا يعاملهما معاملة الأنداد النظراء ، بل معاملة الصغير للكبير ، حتى إذا بلغا من الكبر عتياً ، وجب عليه احتمال ما يبدو منهما مهما كان مخالفاً للعقل ، والصبر مع التعطف فى إرشادهما إلى جادة الحق والصواب .

فمن رزق ابناً شكوراً مطيعاً ، محباً لأبويه محترماً لهما ، فقد نال نصيباً عظيماً من نعيم الدنيا وثواب الآخرة .

٥ ـ أما البر بالوالدين ، فإذا بلغا الكبر ، وصارا عاجزين عن العمل ، كان لهما عوناً ، وحاطهما بعنايته ، وأنفق فى حاجتهما ما يستطيع إنفاقه جزاء لسالف برّهما ، وعظيم فضلهما .

إن الولد البار بأبويه ، المخلص لهما فى الطاعة ، يستقبل من ذريته أبرّ الأبناء ، وأوفاهم له ، وأعطفهم عليه ، جزاء وفاقاً لطاعته السالفة ، وبرّه السابق ، وكما يدين الفتى يدان .

وقال عليه الصلاة والسلام : « برّوا آباءكم تبركم أبناؤكم » .

ومهما بالغ الإبن فى إكرام أبويه فلن يستوفى واجب البرّ .

أمثال وحكايات فى فضل الوالدين

أنت ومالك لأبيك

قيل : إن رجلاً جاء إلى النبى ﷺ فقال له :

يا رسول الله إن أبى أخذ مالى .

فقال له المصطفى عليه الصلاة والسلام : اذهب فائتنى بأبيك .

فلما جاء الشيخ قال له النبى ﷺ : ما بال ابنك يشكوك ، أتريد أن تأخذ ماله ؟

فقال له : سله يا رسول الله . هل أنفقه إلا على إحدى عمّاته أو خالاته أو على نفسى ؟

فقال له النبى ﷺ : دعنا من هذا ، أخبرنى عن شىء قلته فى نفسك ما سمعته أذناك ؟

فقال الشيخ : والله يا رسول الله ، ما يزال الله يزيدنى بك يقيناً ، لقد قلت فى نفسى شيئاً ما سمعته أذناى .

فقال النبى ﷺ : قل فأنا أسمع .

فقال الشيخ :

غذوتك مولوداً وعُلتك يافعاً ... تَعلّ بما أحنو عليك وتنهل

إذا ليلة ضافت بك السقم لم أبت ... لسقمك إلاّ ساهراً أتململ

« كأنى أنا المطروق دونك بالذى طُرقت به دونى وعينى تهمل »
« تخاف الردى نفسى عليك وأننى لأعلم أن الموت وقت مؤجل »
« فلما بلغت السن والغاية التى إليها مدى ما كنت فيه أؤمل »
« جعلت جزائى غلظة وفظاظة كأنك أنت المنعم المتفضل »
« فليتك إذ لم ترع حق أبوتى فعلت كما الجار المجاور يفعل »

فحينئذ أخذ النبى ﷺ بتلابيب الولد وسلمه لوالده قائلاً له : أنت ومالك لأبيك .

حنان الآباء

أقبل غلام من العرب على المنصور فسأله عن أبيه .

فقال الأعرابى : مرض والدى رحمه الله يوم كذا ، ومات رحمه الله يوم كذا ، وترك رحمه الله من المال كذا .

فانتهره الربيع فى المجلس وقال له :

ما هذا الحمق ؟ كيف وأنت ماثل بين يَدَىْ أميرالمؤمنين توالى بالدعاء له؟

فقال له الأعرابى : لا لوم عليك ولا عتب ، لأنك لم تتذوق حنان الآباء .

لأن الربيع كان مولى المنصور ولا يعرف له أب .

ما أحسن الولد البارّ بأمه !

كان زين العابدين كثير البرّ بأمه حتى قيل له :

أنت أبرّ الناس بأمك ، ولسنا نراك تأكل معها فى صحفة واحدة .

فقال : أخاف أن تسبق يدى إلى ما تسبق إليه عيناها فأكون قد عققتها

استوصوا بأمكم خيراً

كان فى بلاد العرب ، رجل حكيم ، رزق أولاداً كثيرين ، عاش بينهم عيشةً راضيةً ، وهم يجلونه ، ويحذون حذوه فى الاستقامة ، فلما شعر بقرب ارتحاله من دار الفناء ، أحضر أولاده وخاطبهم أمام أمهم قائلاً :

يا أولادى – إنى راحل إلى الدار الآخرة ، وما أحضرتكم إلا لأبلغكم وصيتى هذه ، فاحفظوها عنى ، واجعلوها قبلتكم تؤمّونها صباح مساء ، فإنها خير ما ترثونه بعدى .

فقالوا : وما هى وصيتك يا أبانا شفاك الله ؟

قال : أن تتقوا الله الذى يبقى ، وما سواه يفنى ، ويوقر صغيركم كبيركم ، فإن هذا مما وصى به الله عباده ، وأن تقبلوا على الأشغال النافعة إقبال الظمآن على الماء العذب ، فإنها تعلى قدركم ، وتكفل لكم حسن المستقبل بين أهل الزمان.

يا أولادى ـ استوصوا بأمكم خيراً ، أحبوها وأكرموها ، وأمدوها بجميع ما يلزمها فى حياتها ، حتى لا تذهب نفسها حسرة على فقدى ، واجعلوا تعبها من أجلكم وأنتم صغار نصب أعينكم وأنتم كبار .

يا أولادى ـ آسوا المحتاج بالطعام ، وأفشوا السلام ، وأكثروا من البشاشة ولين الجانب ، تنالوا المجد من الأقارب والأجانب .

يا أولادى ـ كونوا متحدين ، ولا تنازعوا فتفشلوا ، وتذهب ريحكم ؛ واصبروا ، إن الله مع الصابرين .

بحر الآداب
ج ٢ ـ ص ٨٠

مكافأة الولد البار بوالديه

مما يروى أن (فريدريك الكبير) فى صبيحة يوم قرع الجرس يدعو غلامه فلم يحضر ، فدقه ثانية وثالثة فلم يجد أحداً ، فتعجب من ذلك ، وقصد غرفة الغلام ، فوجده مستغرقاً فى النوم ، ووقع بصره على رسالة بارزة من جيبه ، فداخلته الرغبة فى استطلاع أمرها ، فأخذها وقرأها ، وهى رسالة إلى الغلام من أمه ، تشكر له حبه البنوى وعنايته الشديدة بها ، وإرساله إليها ما توفر عنده من الدراهم .

فتأثر الملك مما وقف عليه ، ومضى إلى مقصورته ، وعاد منها بصرة من النقود ودسها بخفة فى جيب الغلام ، ثم خرج وقرع الجرس بعنف ، حتى هبّ الغلام من نومه مذعوراً ، وأسرع إلى مقصورة الملك ، فوقف وقد استولى عليه الخوف والخجل ، فامتدت يده من غير قصد إلى جيبه ، فانتفض كمن لدغته عقرب .

هذا والملك ينظر إليه ، فسأله عما أصابه .

فقال وهو متلعثم : إنه وجد فى جيبه صرة لا يدرى من أين أتته ، ويخشى أن تكون يد عدوّ أرادت له ضراً ، فعملت على مكيدة له .

فسكّن الملك روعه ، وطيّب خاطره ، وأخبره بأنه وقف بدون قصد على جلية أمره ، وأنه أراد أن يجازيه على برّه بوالدته ، فوضع له الصرة ، ثم أوصاه أن يبقى على ما كان عليه مع أمه ، فوعده أن لا يغفل عنها ، بل يواصلها بالإحسان .

واجب الإنسان نحو إخوته

إن أخاك الذى والده والدك ، وأمه أمك ، ودمه دمك ، ولحمه من لحمك ، ولغته من لغتك ، ودينه دينك ، لهو جدير باهتمامك ومعاونتك إياه ، وله حقوق عليك ، ورجاء فيك ، فلا تبخل عليه بالعناية والالتفات إلى مصالحه ، والاهتمام بها كاهتمامك بمصالحك الخاصة .

قال الله تعالى فى محكم كتابه : « قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِنْ لِسَانِي يَفْقَهُوا قَوْلِي وَاجْعَلْ لِي وَزِيراً مِنْ أَهْلِي هَرُونَ أَخِي اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي كَيْ نُسَبِّحَكَ كَثِيراً وَنَذْكُرَكَ كَثِيراً إِنَّكَ كُنْتَ بِنَا بَصِيراً » .

وقال الله عز وجل : « قَالَ سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ وَنَجْعَلُ لَكُمَا سُلْطَاناً فَلَا يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا بِآيَاتِنَا أَنْتُمَا وَمَنِ اتَّبَعَكُمَا الْغَالِبُونَ » .

قال سليمان : وأما الأخ فللشدة يولد .

وجاء فى الأمثال العامة : أنا وأخى على ابن عمى ، وأنا وابن عمى على الغريب ، بياناً لشدة الصلة بين الإخوة .

وقال الشاعر العربى :

« أخاك أخاك إن من لا أخا له كساع إلى الهيجا بغير سلاح »

دليلاً على أن الأخ هو الساعد الأيمن لأخيه ، بل هو السلاح الذى يدافع به فى معترك الحياة .

وعلى الأخ واجبات كثيرة نحو إخوته :

١ — فيجب عليه محبتهم ، واحترامهم ، وحسن معاملتهم ، لأنهم أقرب الناس إليه بعد أبويه ، وأن يحب لهم ما يحب لنفسه ، عملاً بالحديث الشريف:

« لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه » .

٢ — عليه أن يعتبر الأخ الأكبر فى منزلة الوالد ، فيعامله بالأدب والمعروف ، وأن يذعن لنصائحه ، ويعمل بإرشاداته النافعة

٣ — عليه أن يعامل إخوته الأصاغر باللطف والإحسان ، وأن ينفق عليهم ، ولا يتسبب فى ضررهم أو أذاهم ، وأن يكون لهم مثال الاحترام والوقار ، وعنوان الاستقامة والاعتبار ، فلا يشتمهم ، ولا يأخذ من أيديهم شيئاً بغير رضاهم ، لأن ذلك يسوءهم ويغضب والدهم ، وله إذا رأى منهم أمراً غير لائق ، أو خارجاً عن حد الأدب أن ينهاهم عنه باللطف واللين ، وأن يعرفهم ضرره ، ويرشدهم إلى طريق الخير والصواب

٤ — يجب أن يكون عضداً ونصيراً لإخوته فى كل ملمة ، غير منتظر فى ذلك سؤالاً منهم ، بل يساعدهم بما فى قدرته ، وأن يسعى لما فيه مصلحتهم على قدر طاقته ، وعليه أيضاً المحافظة على أسرار إخوته ، وأن لاينقل عنهم شيئاً يلحق بهم ضرراً ، وإلاّ كان عدوًّا لهم ، وأن يكون صادقاً معهم قولاً وفعلاً

٥ — ليتجنب الأخ معادات إخوته ، والوقوع معهم فى مشاغبات أو مخاصمات أومناقشات ، طمعاً فى ميراث أو ثروة (يرثها عن والديه) فيقضى وقته ، وينفق ماله فى الطعن والفساد ، وبذلك يسيء إلى نفسه وإلى إخوته ، وإلى سمعة أبيهم ، ويحط من شرف أسرته . وليكن على الدوام معهم ، فى وفاق واتحاد ، لا فى نزاع واختلاف ، ليعيش معهم فى راحة ومسرة وهناء ، عملاً بقوله تعالى :

« وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللهِ جَمِيعاً وَلاَ تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَاناً » .

الحب الأخوى الخالص

كانت مدينة أورشليم « بيت المقدس » أرضاً تزرع ، وكان مكان المعبد حقلاً لشقيقين ، ورثاه عن أبيهما ، وكان أحدهما متزوجاً وله عدة أولاد ، والآخر عزباً ، وكانا يزرعان الحقل معاً ، ويقسمان المحصول بينهما نصفين ، ففى سنة ما زرعاه قمحاً ، وبعد حصده جعلاه حزمتين متساويتين وتركاهما

ففى المساء جلس الأعزب ، يفكر ويقول فى نفسه : إن أخى له زوجة وأولاد وكلهم يأكلون من حزمة ، فليس من العدل أن يخصنى مثل مايخصه ، فلأذهبن لأضع من حزمتى جانباً فى حزمته ؛ ثم قام وفعل ما كان يفكر فيه ، وفى ذلك المساء ، كان المتزوج يقول لزوجته إن أخى الصغير يعيش فريداً ، فلا أنيس له فى وحدته ، ولا معين له فى معيشته ، ولا معزى له فى تعبه ، فليس من العدل أن يأخذ مثل ما نأخذ ، فلتذهبى ولتضعى فى حزمته قمحاً من حزمتنا ، فأطاعته زوجته فى ذلك ، وقاما وفعلا ما كان يقولان

وفى الصباح ذهب الشقيقان إلى الحقل ليرى كل ماصنعه ، فدهشا لما وجدا الحزمتين لم تنقصا ولم تزيدا ، فلم يبد كل منهما أقل إشارة للآخر وكررا صنيعهما مراراً ، وحدث ما حدث حتى اتفق أنه ذات يوم ، ذهب الاثنان فى وقت واحد ليكشف كل عن هذا السر المكنون فتقابلا مصادفة ، وهما يحملان القمح ، فسأل كل عن مجىء الآخر وعرف قصده ، وذلك ماحمل أهل (أورشليم) على أن يشيدوا فى ذلك المكان بيتاً لعبادة الله ليكون مباركاً ، حيث كان لشقيقين صالحين متحابين قلباهما على قلب رجل واحد . وهكذا يكون الحب الأخوى

الإخوان أفضل من المال

لما مرض (قيس بن عبادة) استبطأ إخوانه فى العيادة ، فسأل عنهم فقيل له : إنهم يستحيون مما لك عليهم من الدين

فقال : أخزى الله مالاً يمنع عنى الإخوان من الزيارة ، ثم أمر من ينادى من كان لقيس عنده مال ، فهو منه فى حل فكسرت عتبة بابه فى العشى لكثرة العواد

هكذا تكون الأخوة الصادقة

ننقل للناس خبراً يرتاحون إليه ، وهو عمل من أسمى وأشرف ماسطرته تواريخ الأمم ، ويحق للإنسان أن يفخر به على مدى الزمان وهو أنه أصيب أحد الإخوان ، فى مدينة (شيكاغو) بأمريكا بسرطان فى فخذه ، وامتد حتى غطى مسافة ١٤٥ مائة وخمسة وأربعين قيراطا مربعاً ، فاضطر الجراح أن يستأصل هذه البقعة كلها من الجلد ، وأراد تغطيتها بجلد حيوان فلم ينجح ، ولما رأى أنه لابد من استعمال جلد الإنسان لهذه الغاية ، أخبر إخوان المصاب ، فتبرعوا جميعاً ، بأن يقدم كل منهم قيراطاً مربعاً من جلده ، وكان عددهم يربو على الثلاثمائة فسألهم أن يستعدوا لهذه العملية ، بأن يأكلوا الأغذية النافعة ، مدة أسبوع ففعلوا حتى إذا جاء يوم العملية ، اجتمعوا جميعهم فى المستشفى وانتخب الأطباء ، العدد اللازم منهم وقسموهم إلى فرق ، وكانوا يدخلون كل فرقة إلى حجرة المريض ، الذى كان تحت فعل المخدرات ويتقدم كل رجل على حدة ، فيعرى الأطباء ذراعه ، ثم يقطعون قيراطاً مربعاً من جلده و يضعونه على رجل المصاب ، وهكذا حتى غطوا المائة والخمسة والأربعين قيراطاً ، التى كان اللحم قد جرد عنها وقد عجب الأطباء ، من شهامة هؤلاء الإخوان الكرام ، وصبرهم على تحمل هذه العملية ، بدون أن يتعاطوا شيئاً من المخدرات ، أما الأخ المصاب : فحصل له الشفاء على أثر ذلك

فهكذا تكون الأخوة الصادقة، والشجاعة النادرة ولقد أصاب من قال :

« إن أخاك الحق من كان معك ومن يضر نفسه لينفعك »

وقال آخر :

« كم من أخ لك لم يلده أبوكا وأخ أبوه أبوك قد يجفوكا »

وقد جاء فى مجمع الأمثال : رب أخ لم تلده أمك

واجبات الإنسان نحو أقاربه

(صلة الرحم)

من أحبّ أن يبسط له فى رزقه ، وأن ينسأ له فى أثره ، فليصل رحمه رواه البخارى « حديث شريف »

أقاربك هم : عمك وخالك وعمتك وخالتك ، وأبناء وبنات العم والخال ، والأصهار ، وهم أولى الناس بمحبتك واحترامك ، لأنهم أقرب الناس إليك ، بعد والديك وإخوتك ، ويحبونك كحبهم أنفسهم ويريدون سعادتك ، وراحتك ومسرتك ، فيجب عليك :

١ — أن تعامل الكبار من أقاربك ، معاملتك لوالديك ، والصغار منهم معاملتك لإخوتك ، وأن تساوى بينهم فى المودة ، ولا تتكل على القرابة ، فتقطع

عنهم مودتك ، لأن القرابة تحتاج إلى المودة ، بخلاف المودة ، فإنها لا تحتاج إلى القرابة ، وبادر إلى عيادة من يمرض منهم ، ومواساة ضعيفهم ، وشاركهم فى أفراحهم وأحزانهم ، وقم خير قيام ، بما يكلفونك به مع بذل الجهد ، فى حسن إتمامه .

٢ ـ إن مساعدة ذوى القربى واجبة ، تدعوك إليها الشفقة ، ورابطة القرابة ، ولكن ليس من البرّ مساعدة الكسلان ، وتشجيعه على البطالة والكسل ، إنما البرّ مساعدة من نقصته أسباب الكسب ، قال الله تعالى : « وَأُولُوا ٱلْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ » .

٣ ـ إذا نلت منصباً رفيعاً ، فى خدمة الحكومة ، أو المصالح العامة ، فعليك حقوق وواجبات للذين استأمنوك ووضعوك فى هذا المنصب ، فليكن نظرك فى اختيار المستخدمين الذين يكونون تحت إدارتك وإشرافك إلى الأهلية والكفاءة لا إلى القرابة ، لأن الاندفاع مع العاطفة البشرية كثيراً ما يعرض المصالح الخصوصية والمصالح العامة للخطر والضياع ، لأن كثيراً من الشؤون الموكولة إلى أقارب ذوى المناصب وأخصائهم الذين لا يعملون من واجباتهم غير قبض الرواتب والانهماك فى تدبير أمورهم الخاصة تكون مهملة وأعمالها مرتبكة .

وفى ذلك تبعة كبيرة على المدير المسئول عنها فضلاً عما يصيبه من الطعن والقدح فى شرفه وذمته .

٤ ـ عليك أن تحافظ جهدك على توثيق عرى المحبة والاتحاد بين جميع أفراد الأسرة،واحذر من حصول منازعات منزلية تقضى على أسرتك بالتفريق والخراب .

قال الله تعالى : « وَلاَ تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ » الآية .

٥ ـ عليك بزيارة أقاربك ، وصلة رحمك ، من وقت لآخر حيث جعلها رسول الله ﷺ سبباً فى سعة الرزق ، وفاتحة الخير وزيادته .

وسأل معاوية عمر بن الخطاب رضى الله عنـــه عن المروءة . فقال : هى تقوى الله وصلة الرحم .

وقال رجل لابنه فى بعض وصاياه : يا بنى لا تقطع القريب وإن أساء ، فإن المرء لا يأكل لحمه وإن جاع .

وما أحسن قول الشاعر :

« إنى ليمنعنى من قطع ذى رحم   رأى أصيل وعقل غير ذى وصم »
« إن لان لنت وإن دبت عقاربه   ملأت كفيه من صفح ومن كرم »

فمن وصل رحمه ألف بين قلبه وقلوبهم ، فتصفو له ضمائرهم ، وتحسن سرائرهم ، ويحبونه ويفدونه بأنفسهم .

مثال فى صلة الرحم

كان المرحوم السيد عبد الله نديم الكاتب المشهور ، والأديب الوطنى الغيور برًّا بوالديه وذوى قرابته يصل من قطعه ، ويصل رحمه ، فقد كان يتسلم مرتبه من مصر والآستانة فلا يمضى زمن طويل على ذلك حتى يكون قد وزعه جميعه على الفقراء من ذوى رحمه ، ولا يحوجهم إلى الطلب منه ، ولا يلجئهم إلى سؤال غيره .

وكان كذلك المرحوم الشيخ محمد عبده العالم الكبير والإمام الشهير كان محسناً للفقراء والبائسين ، معيناً للضعفاء والمحتاجين .

وكان ينفق راتبه على أقاربه ، فلم يبق على شيء منه ؛ ولذا مات فقيراً ولم يترك سوى الذكرى الطيبة والأثر المحمود .

واجب الإنسان نحو الخدم

قد خلق الله الناس أحراراً لا عبيداً ، وجعل بعضهم فوق بعض درجات ، وأخبر أن أكرمهم عند الله أتقاهم .

فالخدم وإن كانوا مكلفين بخدمة الإنسان ، ولكن ليس له أن يعاملهم بالإهانة والاستبداد والإساءة ، فلا يصح أن يؤذى أحداً منهم ، ولا يهينه بكلام عنيف مؤلم ؛ بل تجب معاملتهم بالرفق والإحسان إليهم ، والعفو عن

هفواتهم ، والتزام الأدب والوقار عند مخاطبتهم ، فيحفظ الإنسان مكانته ومنزلته عندهم ، واعتبار الخادم عوناً ونصيراً لا عبداً ذليلاً .

ويجب عدم تكليفهم من الأعمال فوق طاقتهم ، فإن ذلك يزرع الضغينة فى قلوبهم ، ويجعلهم يقومون بها كرهاً ، وفى هذا ما فيه من الخسارة .

ويجب عدم شتم أحد منهم ، واجتناب المزاح معهم ؛ لأن هذا مما يحط من قدر الإنسان فى نظرهم ، ويجعلهم يحتقرونه ، ويجرئهم عليه ، وربما سمع منهم كلاماً لا يليق أن يسمعه فضلاً عن أن مخالطة الخدم تؤدى فى الغالب إلى سوء الخلق وفساد التربية .

واعلم أن الخدم مفاتيح أسرار البيوت ، ينقلون ما يسمعون وما يرون ، فاحذر أن تلقى أمامهم أمراً يتعلق بداخلية بيتك ، أو أن تطلعهم على حالتك وثروتك ، وكن رقيباً عليهم فى كل ما يفعلون ، فبذلك تأمن مكرهم وشرهم ، وتطمئن على نفسك وأمتعتك ومالك .

ويجب العناية بالخدم حين مرضهم ، وشمولهم بالعطف ، وكلمات التشجيع ، والإنفاق عليهم حتى يتم شفاؤهم ، فبذلك يحفظون الجميل ، ويقومون بالشكر الجزيل .

وإذا حلت بأحدهم كارثة ، كأن أصيب بوفاة أحد من أقاربه وجب مواساته فى مصابه ، ومساعدته بقدر الإمكان ، فبذلك تكتسب إخلاصهم ومحبتهم ، ويتفانون فى خدمتك .

ويجب عدم التأخير فى دفع أجورهم الشهرية ، فإن مطالبتهم بمتأخر أتعابهم مما يحط من قدر المخدومين كما أنه لا يصح الاقتراض منهم

ويجب عند وقوع خطأ منهم عدم توبيخهم أو تأنيبهم أمام الغرباء ، لأن ذلك يؤلمهم إيلاماً شديداً لا فائدة منه سوى إيغار صدورهم فضلاً عن أن ذلك يزعج الزائرين

وكذلك يجب عدم البخل عليهم بكلمة شكر على ما يحسنونه من الأعمال

مثال العطف على الخدم

كان أحد الأمراء يتفقد مزارعه فمرَّ بفلاح قصير القامة حافى القدمين عارى البدن وهو يشتغل فى حرث الأرض ، فتقدم إليه وهو منشرح الصدر ، مبتسم الثغر ، وحيَّاه ولاطفه ، وأحسن إليه وانصرف شاكراً له همته فى الزراعة فرأى من بعض حاشيته امتعاضاً من منظر ذلك الفلاح ، فقال له الأمير : إن هـذا الفلاح المسكين إنسان مثلنا ، يقوم هو وأمثاله بالزراعة التى عليها مدار حياتنا ، ورقى بلادنا ، فنحن مدينون له وواجب علينا احترامه ، واعتباره إنساناً ، يستحق العطف والإحسان ، متى كان مستقيماً أميناً

وكان لأحد المهندسين الأغنياء خادم أمين صالح فكان يحبه ويكرمه ويحترمه ويأتمنه على ماله وعرضه ، حتى إنه أوصى قبل وفاته بأن يدفن معه فى قبره وما ذلك إلا لصلاحه وتقواه

عفو المأمون وحلمه على خادمه

كان للمأمون خادم يتولى وضوءه فكان يسرق الكاسات فبلغ ذلك المأمون فعاتبه

وقال له يوماً وهو يوضؤه : ويلك لِمَ تسرق هذه الكاسات؟ لو كنت أتيتني بها حينما سرقتها لكنت اشتريتها منك

فقال له الخادم : فلتشتر هذه التي بين يديك

فقال : بكم ؟

قال : بدينارين

قال المأمون : اعطوه دينارين

قال الخادم : هذا الآن في أمان

عفو أبي جعفر المنصور عن خادمه وعتقه

كان خادم أبي جعفر المنصور يصب الماء على يديه فسقط الابريق على سيده فقال الخادم : والكاظمين الغيظ

فقال الأمير : كظمت غيظي

فقال الخادم : والعافين عن الناس

فقال الأمير : عفوت عنك

فقال الخادم : والله يحب المحسنين

فقال الأمير : اذهب فأنت حر لوجه الله تعالى

الخادم الأمين والسيد الكريم

حكى أنه كان للمستر (مندل) الموسيقى الجرمانى الشهير خادم أمين قضى فى خدمته سنين عديدة بمدينة (ليبسيك) وكانت أخلاق الخادم المذكور قد تهذبت على أخلاق مولاه الحسنة حتى صار على جانب عظيم من رقة القلب واللطف وحب الخير وفعله

وكان الخادم يعول والدته وإخوته ويقدم لهم كل شهر قيمة ريالين من أجرته

ففى ذات يوم ورد على والدته كتاب ففتحته وقرأته فإذا هو من المستر (مندل) معلم ابنها يخبرها فيه أن ابنها مريض طريح الفراش ويريد مشاهدتها وبداخل المكتوب تحويل على البريد بعشرة ريالات مصاريف السفر ، فتكدرت الوالدة من هذا الخبر ، وضاقت نفسها ، وبادرت فى الحال وذهبت ؛ ولكن مع الأسف قبل أن تصل بيومين مات ابنها ودفن وحرمت من رؤيته

ولما وصلت تلقاها المستر (مندل) ولاطفها وعزّاها على فقد ولدها وأبقاها عنـده أياماً ، وزار معها قبر ابنها حيث ذرفت دموع الحزن والأسى ، وعادت تندب سوء حالها وابنها معاً

ثم لما عزمت على الرجوع إلى بيتها منحها السيد الـكريم ٩٥ ريالا كان قد وفرها ابنها من أجرته وحفظها عنده ، وقال لها : إنه سيتبع العادة التى عوّدها إياها ابنها فى حياته وهو فى خدمته ، ويتعهد بأن يرسل لها ريالين فى كل شهر مادامت حيةً ، وفاءً بوعده ، وجزاء أمانة ولدها

الخادمة الشكورة

جار الزمان على امرأة كانت ذات ثروة فى أول حياتها فذهب بكل ما ملـكت يدها ، حتى لم يبق لها أحد ينظر إليها أو يعتنى بها ، وتركها جميع أهلها وأصدقائها إلاّ خادمتها الأمينة فإنها لازمتها فى أيام ضيقها مع أنها قالت لها مراراً أن تذهب وتبحث لها عن عمل فكانت تجيبها الخادمة

إنى لا أتركك حتى الموت ، فإن مت أموت معك وإن حييت أجوع معك ، ثم قالت لمولاتها : إن لك علىّ أيادى بيضاء لا أنساها مادمت حيّة ، أنا الآن أملك ٢٥ ليرة حفظتها من أجرتى فأعولك بهـا ومتى أنفقتها كلها أذهب وأشتغل أيضاً وأقدم لك ما تحتاجين إليه ففرحت السيدة بكلام الخادمة وشكرت لها فضلها

وهكذا بقيت تلك الخادمة الأمينة سنتين كاملتين تعول سيدتها حتى ماتت

وقبل موت السيدة بقليل مات أحد أقاربها ولم يكن له وارث سواها فضبطت الحكومة أمواله . ولما وقفت على قصة الخادمة واعالتها مولاتها فى أيامها الأخيرة أرسلت للخادمة وأعطتها كل تركة ذلك الرجل المتوفى وقالت لها : إنها أحق بها من غيرها ، وهكذا رد الله عليها أضعاف الأضعاف جزاء إحسانها لسيدتها

الخادم الأمين الوفى

كان لأحد الكتاب المشهورين خادم أمين يتناول أربعة جنيهات شهرياً وقد حكم على سيده بالنفى من بلده إلى بلدة أجنبية فأخذ هذا الخادم يرسل إلى سيده جنيهين شهرياً من مرتبه القليل حتى أنعم الله عليه بالعودة إلى بلدته ، وتعين فى مركز كبير فى الحكومة فلم ينس هذا الرجل العظيم خادمه الأمين الوفى

فأحضره عنده وعينه فى وظيفة تليق به ، بعد أن قدم مذكرة بين فيها سابق جميله معه حينما كان بالمنفى وأخذ يواليه بفضله وإنعامه وفاء لجميله ؛ ولما توفى هذا الرجل العظيم على فاقة ولم يترك لأولاده معاشاً يقوم بحاجتهم فكر

هـذا الخادم الأمين فى أن يساعدهم بشىء قليل من راتبه اعترافاً بفضل سيده عليه وجزاء لإنعامه . وما جزاء الإحسان إلاّ الإحسان

واجب الانسان نحو المدرسة

المدرسة كعبة يؤمها الطلاب ، لدراسة العلوم والآداب

والمدرسة أسرة كبيرة أو مملكة صغيرة ، لها ناظر يرعى أمورها ، ويدير شؤونها ، ويحفظ نظامها ، ويرقى بها إلى مدارج الكمال والفلاح ، ومدرسون يقومون بتعليم النشء وتنمية مداركهم ، وتغذية نفوسهم ، بمكارم الأخلاق وثمرات العلوم ، بما يصلح شأنهم ، ويقوّم اعوجاجهم ، وضابط يصون نظام المدرسة ، ويتفقد أعمال الخدم ، وغيرها من الشؤون المدرسية

وكل مدرسة لها نظام تسير عليه ، وقوانين يكلف التلاميذ باتباعها

احترام نظم المدرسة وقوانينها

معنى النظام فى المدارس سير جميع الأعمال المدرسية فيها بترتيب محكم ؛ وكما أن الشجرة تعرف بثمرها كذلك يعرف النظام فى المدرسة بأثره فى التلاميذ وفى المدرسين

فنجاح التعليم متوقف على نظام التلاميذ ، لأنه إذا سار النظام بينهم جنوا بسببه فى ساعة بقليل عناء مالا يجنونه بغيره فى ساعتين

فتدريب المتعلمين على الطاعة وتعويدهم الخضوع للنظام ، والاحترام للقانون ، والاعتراف بسلطانه ، حتى لاتصدر إلا الأفعال التى يكون بينها وبين القانون توافق تام ، من ألزم الضروريات لحياة مدرسية منظمة سعيدة

والنظام المحكم الذى يكوّن الأخلاق وينميها هو الذى يكون مرماه تخريج تلاميذ نشأوا على أنهم : ١ — لا يرون عاراً فى السؤال عما يجهلون ، ٢ — لا يرون من الحط من كرامتهم أن يعلمهم أى إنسان ، ٣ — يحبون عملهم ويسعون له ويهتمون باتقانه ، ٤ — يخضعون للقانون حباً فى النظام ، لا خوفا من العقاب

ولما كان الغرض من النظام المدرسى هو تكوين الأخلاق الفاضلة حتى تلازم الشخص بعد أدوار تربيته ، وجب إذن أن ترشد إرادته وهو صغير حتى تكون فيما بعد قوية تعشق الحق وتعمل لتصل إلى الصواب

فأهم عوامل النظام للتلميذ الطاعة ، ولا يكون العمل فى المدرسة ممكناً إلاّ بها ، بشرط أن تكون طاعة حقيقية منشؤها الإحساس بالواجب والحكم على النفس ، لاطاعة الاسترقاق التى منشؤها جبروت السلطة والخوف من العقاب ، فنتيجتها فى النهاية الإكثار من عدد المنافقين ، ولا الطاعة العمياء كطاعة الجنود فى الجيش فنتيجتها على الأقل ضعف الإرادة

ولكى يسود النظام بين التلاميذ يجب أن يعرفوا واجباتهم فى المدرسة نحو المعلمين (المربين) ونحو رفقائهم وأصدقائهم

واجبات التلميذ فى المدرسة نحو المعلمين والمربين

على التلميذ كثير من الواجبات الضرورية لحفظ مستقبله ، وليكون عضواً عاملاً نافعاً فى الهيئة الاجتماعية

١ — فأول واجب عليه ، المحافظة على الوقت ، أى الحضور إلى المدرسة فى المواعيد المقررة ؛ لأن التلميذ الذى يتأخر عن وقت الدراسة تفوته الفائدة ، و يصعب عليه الحصول عليها ، فيتأخر عن أقرانه

وبما أن قوانين المدرسة من حيث تقسيم الأوقات تراعى القوتين العقلية والجسدية ، فعلى التلاميذ العمل بموجبها بالدقة لئلا يختل النظام المدرسى

٢ ــ عليه الإصغاء إلى الدروس ، والنصائح التى تلقى على سمعه ، لأن التلميذ الذى لا يعير معلمه أذناً صاغية لاينجح ، ولا يكتسب شيئاً من دراسته، ويذوق مرارة الحياة .

أما التلميذ الذى يلتفت وينعم النظر فى دقائق ما يحيط به فمداركه تكون أتم وأرقى ، ويبلغ غاية من المعرفة لا يدركها سواه .

٣ ــ يجب على التلميذ ، وهو فى المكتب ، أن يتباعد كل التباعد عن الجلبة ، وعن الاهتزاز وقت القراءة ، وألا ينتقل من محل بدون استئذان المدرس أو أمره . وإذا وجّه المدرس إليه سؤالاً وجب عليه أن يقوم واقفاً (المادة ٨١ من قانون نظام المدارس) .

٤ ــ لا يجوز أن يتفوّه التلميذ بكلام غير لائق ، أو بألفاظ فاحشة أو يشير بإشارة خارجة عن حد الحشمة والأدب لأحد ، سواء كان من التلاميذ أو من غيرهم من مستخدمى المدرسة وخدمتها ، ومن وقع منه أمر من هذا القبيل يعاقب عقاباً شديداً عملاً بقانون نظام المدارس (المادة ٨٢) .

٥ ــ يجب على التلميذ أن يسلك مسلكاً حسناً داخل المدرسة وخارجها ، بحيث إذا وجد فى محالّ مغايرة للآداب ، أو عمل عملاً غير حميد ، تصدر الوزارة أمرها برفته بناء على طلب ناظر المدرسة كما جاء فى قانون نظام المدارس .

٦ ــ لما كان بعض التلاميذ لا يستعملون الأدب فى مسيرهم إلى منازلهم

بعد الانصراف من المدرسة ، وحيث إن ذلك مخالف للتربية ومناف للأدب ، إذ يقتضى أن أمثالهم يكونون قدوةً حسنةً للأهالى فى أقوالهم وأفعالهم ، كان من الواجب عليهم استعمال مكارم الأخلاق داخل المدرسة وخارجها ، عملاً بقانون نظام المدارس ومنشور الوزارة الصادر بتاريخ ٢٤ ابريل سنة ١٨٩٨ رقم ٤٦٤

٧ — ممنوع منعاً باتاً اجتماع التلاميذ اجتماعاً من شأنه حصول مظاهرة داخل المدرسة أو خارجها كما أنه محظور عليهم الاشتراك فى أى مظاهرة كانت عملاً بالمادة ٨٦ من قانون نظام المدارس .

٨ — يجب على التلميذ أن يتواضع لمعلمه ، وأن يطلب الثواب والشرف بخدمته ، فإنه وإن كان ليس من أخلاق المؤمن التملق ؛ لكنه فى طلب العلم محمود ، فقد ورد : ليس من أخلاق المؤمن التملق والحسد إلا فى طلب العلم .

قال شوقى أمير الشعراء :

قم للمعلم وفّه التبجيــــــــــلا كاد المعلم أن يكون رسولا

أعلمتَ أشرف أو أجل من الذى يبنى وينشئُ أنفساً وعقولا ؟

٩ — ليس على التلاميذ للمعلم واجب الطاعة فقط ، بل عليهم أن يحترموه ويخلصوا له احترامهم وإخلاصهم لآبائهم .

وليت شعرى أيها التلاميذ ، من أحق بالاحترام والإخلاص من رجل وقف حياته على تعليمكم وتهذيبكم ، وإعدادكم للدخول فى مصاف الرجال ؟

من أولى بالمحبة من ذلك الرجل الذى يجلى لكم أسرار الحياة ، فتأمنوا مواقع الزلل ؟

فالرجل الواجب احترامه ، ومحبته ، والإخلاص له ، هو المعلم لأنه أب ثان ؛ ولأن الأب يربى البدن ، والمعلم يربى الروح .

١٠ ــ الواجب على التلاميذ هو الاعتماد على النفس ، لأن المعلم لا يستطيع أن يرافق التلميذ إلى النهاية ؛ بل يسير معه فى بداية الطريق ويدربه على العمل إلى أن يصير قادراً على الاعتماد على نفسه فى أعمال حياته .

فالتلميذ الذى يعتمد على معلمه يخرج إلى العالم وقواه العقلية ومواهبه الطبيعية ضعيفة خاملة ، بخلاف التلميذ المجتهد الذى يهتم بملاحظة الجزئيات والكليات بعين البصيرة ، فيشب قادراً على معرفة كنه الأمور قادراً على تكييفها وتوجيهها إلى صالح الإنسانية وغيرها .

١١ ــ أن يكون حرّ الفكر ، صريح الضمير ، لأن الرياء أحط آفات الأخلاق . والتلميذ المرائى المداهن المتملق ، الذى يتذلل لإرضاء رؤسائه وتبرير أعماله بين رفقائه ، يدل فعله على لؤمه وعلى انحطاط صفاته الأخلاقية بلا مراء ، ويصبح كالأجرب تعاف مصاحبته ، ولا يؤمن جانبه ، ولا تصدق كلمته ، ولا تحترم عواطفه ، ولا يكون نصيبه مهما بذل سوى الاحتقار والتعاسة .

مثال من احترام المعلمين والتواضع لهم

(الاسكندر ومؤدبه)

قيل للإسكندر : ما بال تعظيمك لمؤدبك أكثر من تعظيمك لأبيك ؟

قال : لأن أبى سبب حياتى الفانية ، ومؤدبى سبب حياتى الباقية .

الكسائى وولدا الرشيد

كان الكسائى يؤدب الأمين والمأمون ، ابنى هارون الرشيد ، فأراد يوماً النهوض من عندهما ، فابتدرا إلى نعله ليقدماها له ، فتنازعا أيهما يقدمها له ، ثم اصطلحا على أن يقدم كل واحد منهما واحدة .

فلما رفع الخبر إلى الرشيد وجّه إلى الكسائى ، فلما دخل عليه قال : مَن أعز الناس ؟

قال : لا أعلم أعز من أمير المؤمنين .

قال : بلى ؛ إن أعز الناس مَن إذا نهض تقاتل على تقديم نعله له وليا عهد المسلمين ، حتى يرضى كل منهما أن يقدم له واحدة .

فأخذ الكسائى يعتذر حاسباً أنه أخطأ .

فقال الرشيد : لو منعتهما من ذلك لأوجعتك لوماً وعتباً ، ولألزمتك ذنباً، وما وضع ما فعلا من شرفهما ، بل رفع من قدرهما ، و بيّن عن جوهرهما .

ولقد تبينت مخيلة الفراسة بفعلهما ، فليس يكبر المرء ، وإن كان كبيراً عن ثلاث : تواضعه لسلطانه ولوالديه ولمعلمه .

ثم قال : وقد عوضتهما مما فعلا عشرين ألف دينار ، ولك عشرة آلاف درهم على حسن أدبك لهما .

المأمون ومؤدبه

(أبو محمد اليزيد)

لقد برهن أبناء العظماء والملوك قديماً على محبتهم لأساتذتهم واحترامهم وهاك ما قال أبو محمد اليزيد مؤدب المأمون .

قال : كنت أؤدب المأمون بن هارون الرشيد ، وهو فى كفالة سعيد الجوهرى ، فجئت دار الخلافة وسعيد قادم إليها ، فوجهت إلى المأمون بعض خدمه يعلمه بمكانى ، فأبطأ علىّ ، ثم وجهت آخر فأبطأ ، فقلت لسعيد : إن هذا الفتى ربما تشاغل بالبطالة وتأخر . فقال : أجل ؛ ومع هذا فإنه إذا فارقك تهجم على خدمه ، ولقوا منه أذى شديداً ، فقومه بالأدب .

فلما خرج ، تناولته ببعض التأديب فبكى .

وبينما هو يبكى ، ويدلك عينه من البكاء ، إذ قيل جعفر بن يحيى الوزير قد أقبل ، فأخذ منديلاً فمسح عينيه ، وجمع ثيابه ، وقام إلى فراشه ، فقعد عليه متربعاً ، ثم قال : ليدخل ، فأقبل عليه بوجهه وحدثه حتى أضحكه وضحك إليه ، فلما همّ بالحركة دعا المأمون بدابة جعفر ، ودعا غلمانه فسعوا بين يديه . ثم سأل عنى فجئت ، فقال : خذ علىّ بقية حزبى فقلت : أيها الأمير أطال الله بقاءك ، لقد خفت أن تشكونى إلى جعفر بن يحيى ، ولو فعلت لتنكر لى .

فقال : ترانى يا أبا محمد كنت أطلع الرشيد على هذا ، فكيف بجعفر بن يحيى حتى أطلعه على أنى أحتاج إلى أدب ، خذ فى أمرك ، عافاك الله ، فقد خطر ببالك ما لا تراه أبداً ، ولو عُدت إلى تأديبى مائة مرة .

فلله در المأمون ، وأحسن بأدبه وكريم خلقه ، وتعظيمه لمؤدبه .

الواثق ومؤدبه

دخل محمد بن زياد مؤدب الواثق على الواثق ، فأظهر إكرامه ، وأكثر إعظامه ، فقيل له :

من هذا ياأمير المؤمنين ؟
قال : هذا أول من فتق لسانى بذكر الله ، وأدنانى من رحمة الله

إكرام المعلم واحترامه

أشرفت الملكة (لويزا) ذات يوم من شباك قصرها وأبصرت شيخاً يتوكأ على عصاه ، وقد أضناه الكبر ، وعليه من الوقار والهيبة ما يجعل الناظر المتأمل فى ملامحه يعتبر ذات هذا الشيخ ويحترمه ، وبقيت تتأمل فيه ، وتتبعه بنظرها ، كى تعرف أين يقصد حتى وقف أمام باب القصر ، فأخبرت الخدم أن يأتوها به

فلما مثِّل لديها ، فرحت برؤيته كثيراً ، خصوصاً لما عرفت أنه معلمها فى صغرها ، وقدمت له من الإكرام والاعتبار ما يليق بزائر كريم ؛ ولما سألته عن سبب قدومه إلى المدينة ، أجابها : إنى علمت أن أيامى أوشكت على النهاية ، فأحببت أن أشاهد تلميذتى مرةً أخرى فى هذا العالم

فلما سمع زوجها هذا الكلام أجلس الشيخ بجانبه ، ولاطفه كثيراً ودعاه للغداء معه ، فأكل معهما على المائدة ، ثم أهدته الملكة رسمها فى إطار مرصع بالحجارة الثمينة

ولما أراد الرجوع أرسله الحاكم بعربته الخاصة ، وطلب إليه أن يزورهم عندما تمكنه الفرصة

فاقتدوا أيها الطلبة بمثل هذه الملكة ، وأحبوا معلميكم وأكرموهم واصغوا إلى ما يرشدونكم إليه . « الروضة الأنيسة »

واجب التلميذ نحو رفاقه

المدرسة كالأسرة ، رؤساؤها المعلمون ، وأعضاؤها التلاميذ ، فالواجب على كل تلميذ أن يعامل رفقاءه التلاميذ معاملة الإخوة ، فإن لم تربطهم رابطة القرابة ، فإن بينه وبينهم من روابط الجنسية والوطنية والمعاشرة ما يستوجب ذلك .

فيلزم أن يعاشر تلاميذ مدرسته عموماً ، وتلاميذ مكتبه خصوصاً بالأدب والمعروف ، وأن يعتبرهم في منزلة إخوته ؛ لأنهم يشاركونه في حياته المدرسية .

ومن حسن المعاملة أن يتكلم معهم بحلم ، وأن يقابلهم بلطف وبشاشة وأن يظهر الفرح بفرحهم ، والكدر بكدرهم .

وإذا رأى من أحد رفقائه التلاميذ ما يغاير الأدب ، فليبتعد عنه بالمعروف ، لئلا تسرى إليه عدوى أخلاقه ، فيصيبه ما أصابه من قلة الأدب وسوء الخلق .

وينبغي له ألا يتكبر على إخوانه ، ولا يفتخر بنفسه أمامهم ، أو بما يملكه والده ، أو بشيء من طعامه أو لباسه أو أدواته ، بل يجب أن يتعود التواضع لهم ، والإكرام لكل من يعاشره ، ولا يجوز له أن يزعج رفقاءه بالخرافات ،

أو التهكم عليهم بالكلام ، أو التطاول عليهم باليد ، حتى يكون محبوباً منهم، وإلا قوبل بالكراهة والاحتقار والعداوة .

وليكن مجلسه مع رفقائه التلاميذ مجلس أنس ، ورياضة للنفس ، ومناقشة فى الفوائد العلمية والأدبية ، لا موضع مزاح وتنكيت وتبكيت .

ويجب عليه ألا يجتمع مع رفقائه اجتماعاً يكون من شأنه حصول مظاهرة أو تعصب داخل المدرسة أو خارجها فيتهم بالطيش والجنون ويعرض نفسه للعقوبات التأديبية التى يوجبها القانون العام وقانون نظام المدارس .

واجبه نحو أصدقائه

إذا أسعدك الحظ بوجود صديق لك ، فحافظ عليه ، وأوثق رابطتك به ، ولا تجعله يشتكى منك ، وإذا فرق الموت بينكما فلا تجزع ، وأشعر قلبك الاطمئنان بأمل لقائه فى الدار الآخرة ، ولا تتعجل فى مصادقة كل من أظهر لك المودة فتصادقه ، ولا فى بغض من توهمت عداوته فتعاديه ، واصطف من الإخوان والأصدقاء ، ذا الدين المتين ، والحسب والرأى السديد ، والأدب ، ليكون ردءاً عند حاجتك وركناً حصيناً فى نائبتك ، وأنساً فى وحشتك ، وزينةً عند عافيتك ، وعليك بالتودد لأصدقائك ؛ لأن المودة روح حياة الصحبة والصداقة ، ومن لا صديق له فحالته تعسة .

ولا تتعجل فى معاتبة صديق لك ، فإن الندامة فى العجل ، ولا تتسرع فى معاداة أصدقائك ؛ بل تبصر كثيراً فى الأمر ، لأنك مهما تأملت من معاملة صديق لك ، ثم صبرت يوماً يتغير فكرك ، ويتحول نظرك ، وربما يعود الجفاء صفاء ، والخلاف وفاقاً .

ومن أعظم دواعى بقاء الصحبة والصداقة دوام الاحترام ، وتمام الاعتناء والاهتمام بأمور صديقك .

وكن عوناً وساعداً لصديقك ، لأن المرء قليل بنفسه كثير بإخوانه .

ولا يعرف الصديق إلا وقت الشدة والضيق .

يجب الإخلاص فى المودة ، والنصح للصديق فى الخطأ والزلة ، وإرشاده إلى محاسن الشيم ، وانتشاله من ردىء العادات ، ومعرفة حق الصداقة معه فى حال إعساره وفقره ، كما فى حال غناه ويسره ، ومساعدته ومعاونته على الخروج من أزمات الأمور ، وشدائد الأحوال ، ومواساته وتعزيته فى أشجانه وأحزانه ، وذكر محاسنه ونشر فضائله ، والعفو عن زلاته وستر هفواته وحفظ أسراره .

وبالجملة ينبغى أن تكون الصداقة متبادلة بين الصديقين بلا تكلف ولا تصنع ولا موار بة ؛ بل تكون على قاعدة الحب والإخلاص والنصح والتعاون والأدب واللطف ، لتدوم الصداقة ، وتزداد الألفة والتوفيق واعمل بقول الشاعر :

« تمسك إن ظفرت بذيل حرٍّ فإن الحرَّ فى الدنيـــا قليل »

مثال الصديق المخلص

جاء ولد صغير من المدرسة وقال لأمه : إن رفيقى الصغير الذى فقد والدته مريض جداً ، وأريد زيارته يومياً إذا سمحت لى بذلك .

فسرت أمه به ، وأذنت له قائلة : إنى أريد هذا من كل قلبى .

نعم إن من الواجب أن الأصدقاء يكونون كإخوة ، ويفكر بعضهم فى بعض ؛ ولكن يجب أن تسأل وتفحص بالتدقيق، أمرضه من الأمراض المعدية أم لا ؟

فذهب الولد ليسأل ، ثم رجع فى الحال وقال لها : إن مرضه ليس معدياً ولا خطراً كما قال الطبيب ، فأذنت له بزيارته وصار يذهب إليه يومياً ويزوره، ويجلس بجانبه ، ويناوله كل لوازمه ، وكان يصرف جزءاً من الليل عنده ، يقرأ له كتباً وقطعاً مفيدة ، ويقدم له أطعمة مقوية يأتى بها من بيته .

ولما شفى الولد اليتيم من مرضه قدم لصديقه المحبوب تشكراته القلبية على إخلاصه له وقيامه بواجب الصداقة .

مثال الرفيق الصالح

كان أحد التلامذة المسمى (محمداً) يقرأ درسه فى كتاب المطالعة فكانت تمر عليه بعض كلمات لا يتمكن من قراءتها لصعوبتها ، فأدرك أحد رفقائه المسمى (حسناً) مشقته وتعبه فى المطالعة ، فاقترب منه وأخذ يجهد نفسه فى مساعدته ، وجلسا يقرآن الدرس معاً عن طيب نفس ، وانشراح صدر ، وأخذ حسن يشرح الكلمات الصعبة التى كان يتعذر على محمد فهمها ، وعند مايصعب عليه شىء من القراءة أو المعانى فى تفهيم رفيقه يراجع نفسه ، ويفكر زمناً فيما ألقاه عليه المعلم ، فتقدما تقدماً سريعاً بسبب اجتهادهما معاً ، منكبين ومجتهدين فى مطالعة كتاب واحد .

فأثنى عليهما المعلم الثناء الجميل بين تلامذة مكتبهما ، وقال لهما : كونا مع ذوى الأخلاق الحميدة ، والصفات الجميلة ، أصدقاء مخلصين فى المحبة وليساعد بعضكم بعضاً كالإخوة الأشقاء ، وكونوا على يقين من أن من أجهد نفسه فى مساعدة غيره ، فإنه فى الحقيقة يساعد نفسه أيضاً .

هكذا يكون الرفقاء المخلصون

انتهت السنة الدراسية ، وظهرت نتائج الامتحان ، وأخذ التلاميذ يغدون ويروحون كل إلى منزل الآخر ليزفوا التهنئة لإخوانهم بما نالوا من النجاح ، وهم يقومون بهذا الواجب ، والسرور يحيط بهم ، والمحبة تربط قلوبهم .

وقد رأى فريق منهم أن يذهب إلى رفيق لهم ساء حظه ورسب في الامتحان يشاركونه في ألمه ، ويخففون عنه وقع السقوط ويفرجون عنه الكرب ، ويحيون عنده الأمل ، ويخرجون به إلى الحدائق للرياضة ، ويشغلونه عن التفكير في الامتحان وأمره ، ويضربون له الأمثلة بمن خاب حظهم ، ثم بعد ذلك صلح حالهم ، وكانت لهم الدرجات الرفيعة ، والمنازل السامية ، قائلين له : إن لكل جواد كبوة ، ولكل عالم هفوة ، وغير ذلك مما يبرهن على حسن أخلاقهم وكريم طباعهم .

فهكذا يكون الرفقاء المخلصون ، وهكذا يجب أن يعطف الكبير على الصغير ، ويعاونه إذا احتاج إلى مساعدة ، وأن يعلمه كيف يحترمه ، فإن احترام الصغير للكبير نتيجة عطفه ، وحسن معاملته فينشأون إخواناً متحابين ، وأصدقاء مخلصين .

يعرف الصديق ، عند الشدة والضيق

صدمت سيارة في الطريق تلميذاً ، فوقع مغشياً عليه ، فرآه جماعة من رفقائه فأقبلوا إليه مسرعين ، وقام بعضهم بما استطاع من إسعاف وقتي ، وجرى آخرون إلى أقرب مسرة (تليفون) واستعانوا برجال الإسعاف ، فحضروا وأخذوا التلميذ

للقيام بمعالجته ، ثم دعتهم مروءتهم إلى أن يخبروا والده ، فقاموا بهذا الواجب ، وما زالوا يعودون رفيقهم فى المستشفى حتى تم شفاؤه

ولما بلغ الناظر والمدرسين حسن صنيعهم أثنوا عليهم ثناء جميلاً ، وشكرهم والد التلميذ المصاب ، ودعا لهم بالتوفيق والهداية ، وقال لهم : هكذا يعرف الصديق ، عند الشدة والضيق

واجب الإنسان نحو مهنته

الإخلاص ، ومراعاة الذمة فى العمل

الإخلاص فى العمل ، هو أن يعمل المرء الخير بوحى من ضميره الخالص ، ويقدم الإحسان بدافع من نفسه الطاهرة ، قاصداً به وجه الله الكريم ، وطالباً ثوابه العظيم ، غير ناظر لسمعة أو متطلع لشهرة ؛ إذ كل مايعمله رياء أو تملقاً لا خير فيه ، ولا يجلب لصاحبه غير المقت والازدراء

وقد أثنى الله تعالى على المخلصين فى قوله جل شأنه : « وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مُوسَى إِنَّهُ كَانَ مُخْلِصاً وَكَانَ رَسُولاً نَبِيًّا » .

وقال ﷺ : إن الله تعالى لايقبل من العمل إلاّ ما كان خالصاً وابتغى به وجهه

وقال علىّ كرم الله وجهه : لا تعمل شيئاً رياء ، ولا تتركه حياء

وقال المرحوم سعد زغلول (باشا) زعيم مصر : يعجبنى الصدق فى القول ، والإخلاص فى العمل

وقال أحد الشعراء :

عليك بالصدق والإخلاص فى العمل ولازم الخير فى حل ومرتحل

والإخلاص فى العمل هو تخليصه من شوائب الشرك والرياء ، فمن قال : تعلمت العلم لأنفع به الناس ، وهو إنما تعلمه ليقال إنه عالم فهو كاذب وإن علم الناس

ومن قال : تصدقت بالمال لوجه الله تعالى ، وهو إنما تصدق به ليقول الناس انه محسن فهو كاذب

روى : أن أول من يسأل يوم القيامة ثلاثة : رجل آتاه الله العلم فيقول الله تعالى : ماصنعت فيما علمت ؟ فيقول : يارب كنت أقوم به آناء الليل وأطراف النهار ، فيقول الله : كذبت . وتقول الملائكة : كذبت ؛ بل أردت أن يقال : فلان عالم ، ألا فقد قيل ذلك

ورجل آتاه الله مالاً فيقول الله تعالى : لقد أنعمت عليك فماذا صنعت ؟ فيقول : يارب كنت أتصدق به آناء الليل وأطراف النهار فيقول الله تعالى : كذبت . وتقول الملائكة : كذبت ؛ بل أردت أن يقال فلان جواد ، ألا قد قيل ذلك

ورجل قتل فى سبيل الله تعالى : فيقول الله تعالى له : ماذا صنعت ؟

فيقول : يارب أمرت بالجهاد فقاتلت حتى قتلت . فيقول الله : كذبت . وتقول الملائكة : كذبت ؛ بل أردت أن يقال فلان شجاع ألا فقد قيل ذلك

والقرآن يقول : « مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لاَ يُبْخَسُونَ » .

فإذا أخلص التاجر فى بيع بضاعته ، والصانع فى صناعته ، والطبيب فى مداواة المرضى ، والمعلم فى تربية التلاميذ ، والقاضى فى قضاء أحكامه بالعدل ، ولو أخلص أفراد الأمة كل فى عمله ، لساد الرخاء والأمن والعدالة ، وسعدت البلاد ، وارتاحت العباد

ولكن لو أهمل الطبيب فى تشخيص الأمراض بإخلاص لمات كثير من المرضى ، ولو أهمل المدرس فى تربية تلاميذه بإخلاص لساد الجهل ولو أهمل القاضى ولم يؤد عمله بذمة و إخلاص لساد الظلم ، ولو غش التاجر ليربح ، وأهمل الزارع شؤون زرعه ، والصانع شؤون صناعته ، لساء الحال ، وتدهورت الأعمال ، وضاعت الرجال والأموال

أما إذا أدّى كل فرد عمله بإخلاص على الوجه الأكمل ، فإن الصناعة والتجارة تتقدم ، و ينتشر العلم وترتفع الأمة ، فالفلاح فى زرعه وعنايته بماشيته وغنمه ، والجندى بمحاربته ، والكناس بتنظيف الطرق ، والأم بتربية أبنائها ، والخدم بخدمتهم ، والأطباء بممارستهم الأمراض ، ورجال العلم بنشر العلوم والمعارف ، بالعدل بين الناس ، ومستخدمو الحكومة بالقيام فى دواوينهم خير قيام

كل هؤلاء يخدمون المجتمع والأمة التى يعيشون فيها إذا أدّوا أعمالهم بكل إخلاص ، ولم يراعوا مصلحتهم الشخصيـة فقط ؛ بل يراعوا خيرهم وخير الناس أجمعين

ومراعاة الذمة والأمانة فى العمل من أهم واجابات الإنسان ؛ لأن مجرد الريب يجعل مركزه مزعزعاً ، وحياته تعسة ، وعمله لا قيمة له ، و يفقد ثقة الناس به

فضلاً عن أن الأمانة تستر كثيراً من العيوب ، وتسد مكان النقص فى العامل من جهة إتقان العمل وتجويده ، ويكفى أن يقال : إن هذا العامل أمين ومخلص فى عمله

والأمانة لا تنحصر فى الاحتفاظ بالمال ؛ بل تتناول الوقت أيضاً وطريقة استخدامه

ولصوص الوقت بين العمال لا يقلون جرماً عن لصوص المال ؛ لأن الوقت ملك لرب العمل أيضاً

وليعلم كل إنسان أن الأمانة فى العمل تضاعف قيمة إتقان العمل والرغبة فيه ، فإذا جمع إليها قوة الأمانة فقد جعل لنفسه حصناً مثلث الأركان ليشرف منه على السعادة و يمتلك منه عاطفة رئيسه ووثوقه به وإحترامه

محبة العمل والثبات فيه والمثابرة

محبة العمل هى أول شرط لمزاولته والنجاح فيه ؛ لأنه قد ثبت بالتجربة أن الإنسان لا ينجح فى الحياة إلاّ فى الأعمال التى يحبها ويميل إليها بطبيعته وغريزته . فتجد مثلاً الطالب للطب لاينجح فى هذه المهنة إلاّ إذا كان محباً لها ميالاً إليها ، وكذلك طالب الحقوق والهندسة وغيرها فإذا وجهت شخصاً لدراسة الطب ولم تكن رغباته متوجهة اليه فإنه لا ينجح مطلقاً

ومحبة العمل هى التى تدعو الإنسان للمواظبة عليه (أى للمثابرة عليه) والثبات فيه ، وفى الأقوال المأثورة : الثبات عنوان النجاح

وفى الحديث الشريف : أحب الأعمال إلى الله أدومها وإن قلّ ولا شك فى أن الذين نجحوا فى الحياة هم الذين واظبوا على أعمالهم ولم يضيعوا أوقاتهم فى اللهو والبطالة

ومهما كان العمل صغيراً قليل الربح فالمثابرة عليه تجعله شريفاً وافر الكسب

بخلاف الذين يشرعون فى عمل ثم يضجرون منه لطول المدة التى يستغرقها أو لصعوبة يجدونها فيه فييأسون من النجاح وينتقلون منه إلى عمل آخر

وهكذا يشرعون فى أعمال كثيرة ولا يتمونها فيصرفون قواهم من غير أن ينتفعوا بشىء

وفى الأمثال الفرنسية : الحجر الدائر لا بد أن يسقط ولا يحصل على طبقة من العشب كالحجر الثابت المستقر .

وتمام الأعمال ، واجتناء ثمارها ، والحصول على الفائدة منها ، لا يكون إلا بالثبات والصبر اللذين أنالا الإنسان مطالبه ، وأدرك بهما رغائبه ، كما قال الشاعر :

« وقلّ من جدّ فى أمر يحاوله واستصحب الصبر إلا فاز بالظفر »

فأكثر الناس ثباتاً وصبراً أكثرهم نجاحاً ورقيًّا .

وقد رأى بعض الناس أن الاجتهاد والصبر أخضعا كل صعب فقال : إن الناس كلهم سواء فى العمل ، ولا فضل لبعضهم على بعض إلا بالثبات والصبر .

وقال : إن الناس كلهم يمكنهم أن يكونوا شعراء وخطباء وعلماء ومخترعين متى عملوا وصبروا ؛ فالعالم لا يولد عالمًا ولا الحكيم حكيماً ، ولكن الثبات والصبر أوصلا هؤلاء إلى مراتبهم ، وسارا بهم إلى مجالسهم وأنالاهم الرفعة وعز الحياة.

فالتلميذ إذا عمل وصبر نال مراده ، وكان من أهل الخير والسعادة .

والزارع لا يجنى ثمرة غرسه إلا بعد العمل الكثير ، والصبر الطويل ، وأفضل الثمار أبطؤها نضجاً ، وكل إنسان فى هذه الحياة لا يدرك غايته ولا حاجته ولا يحصل على غرضه إلا إذا عمل وصبر كما قال الشاعر :

« أخلق بذى الصبر أن يحظى بحاجته ومُدمن القرع للأبواب أن يلجا »

وقال أحد الشعراء فى مدح الثبات :

« إن الثبات بكل شىء يحمد وهو الأساس به البناء يشيَّد »

« كم شاد إنسان عليه بناية شمخت ففر من الطريق الفرقد »

« كم أسسوا يوماً عليه إدارة رسخت كطود لا تزعزعه يد »

« صعدت به الأمم الكثيرة وارتقت وإلى المعالى كل يوم تصعد »

« إن الثبات ولا نزيدكم به علماً لأمر نفعه لا يجحد »

مثال المثابرة على العمل

من الأمثلة الدالة على أن مزاولة العمل ، والمثابرة عليه ، والمواظبة فيه من أعظم سبل النجاح .

إن (السير روبرت بيل) نال بمواظبته على العمل ما جعله زينة وفخراً لمجلس النواب ؛ لأنه كان من عادة أبيه أن يقيمه على المائدة ليتكلم ارتجالاً ، وقد عوّده أيضاً إعادة كل ما يذكر أمامه من المواعظ التى يسمعها من الوعاظ أيام الأحد .

ومع أن نجاحه كان قليلاً فى أول الأمر إلا أن المواظبة على ذلك أكبرت عنده قوتى الانتباه والذاكرة ، فصار يمكنه أن يعيد موعظة كاملة حرفاً بحرف.

ولما دخل البرلمان وأخذ ينقض أقوال أضداده ببلاغة تفرد بها لم يشك أحد فى أن تلك الحافظة الغريبة التى امتاز بها قد اكتسبها بمواظبته وارتياد أبيه مذ كان صغيراً .

مثـــــال ثان

كان تلميذ فى المدرسة يقرأ فى دروسه كثيراً ؛ ولـكنه لم يحفظها فسئمت نفسه من القراءة ، وعزم على ترك المدرسة .

وبينما هو واقف ذات يوم على شاطئ نهر يفـكر فى أمره وقع نظره على طفل يريد أن يتعلم السباحة فرآه فى المرة الأولى قطع جزءاً صغيراً ثم عاد إلى الشاطئ ، وبعد أن استراح قطع جزءاً أكبر واستمر هكذا شيئاً فشيئاً حتى اجتاز النهر بأجمعـه فى المرة الأخيرة ، فاتعظ به وقال لنفسه : إن هذا الطفل أمكنه أن يتم مقصوده بمداومته على السباحة فـكيف بك وأنت أكبر وأعقل منه ؟ ! وعلم أنه مخطئ فى رأيه وعاد إلى المدرسة وأتم دراسـته ، ونجح نجاحاً باهراً ، بفضل مثابرته على العمل .

مثـــال ثالث

كان رجل يطوف ومعه ثور ضخم يحمله على كاهله أمام الناس و يأخذ منهم ما يعطونه من المال فسأله أحد من الناس : كيف وصلت إلى هذا الحد من القوة المدهشة ؟

فقال : كنت أحمل هذا الثور على كتفى وهو صغير كل يوم فكلما ازداد ثقلاً ازددت قوة بالتدريج حتى أصبحت أستطيع حمله مع ضخامته بسهولة .

بذل الجهد فى العمل

الاجتهاد هو بذل الجهد والطاقة فى إنهاء العمل و إتمامه ، ولا عمل فى هذه الحياة يتم على أحسن حال بدون اجتهـاد . فإذا أردت أن تعرف قيمة عملك ضعه فى كفة ميزان ، والاجتهاد فى الـكفة الثانية ، فإذا قلّ الاجتهاد وخفّ هبط العمل وثقل ، و إذا زاد الاجتهاد خفّ العمل وارتفع .

وهمة الإنسان ونشاطه يقويان بالاستعمال كجميع أعضاء الجسم لأن العضو يقوى بالحركة والعمل ، و يضعف بالتقاعد والـكسل .

فإذا أقدم الإنسان على الأعمال العظيمة ، و بذل جهده فيها ، واستفرغ

طاقته وسعته ، إلى أن يجتنى ثمرة عمله ، نشط إلى عمل أعظم ، وعلت همته وزادت ثروته ؛ فأى عمل تعمل مهما كان صغيراً وجّه إليه عنايتك واجتهد فى تحسينه وإتمامه فى حينه ، فقيمة كل امرئ ما يحسنه .

واحذر أن تصاب بداء الكسل ، وإلا ضعفت همتك ، ووهنت عزيمتك ، وأصبحت لا تستطيع القيام بالعمل الحقير ، وصرت فى آخر الناس فى سبيل الحياة ، وعشت محروماً مرذولاً !

واعلم يا بنى أن مستقبلك منوط بك فبقدر ما تبذل من جهد فى عملك أو تأتيه من الكسل بقدر ما يكون نجاحك أو فشلك فى هذه الحياة .

فيلزمك حسن القيام بواجبك ، و بذل الجهد فى جميع أعمالك .

واعلم أن من حسنت صحته وجنح إلى الكسل ، وقع فى الشرور والعلل ، وأما الشغل فهو الطبيب القائم بمنافع الأجسام و به عمار الدنيا ، ولا تخجل من كونك تكسب قليلاً ؛ بل العار الأكبر ، والوزر الأعظم أن تكون عالة على غيرك ، أو أن تسأل الناس قوت يومك ، ولقد صدق من قال : (الجد فى الجد ، والحرمان فى الكسل) .

ومن قال :

« وما طلب الحاجات فى كل وجهة　　من الناس إلاّ من أجد وشمرا »

وقال آخر :

« بقدر الجد تكتسب المعالى ومن طلب العلا سهر الليالى »

وقال الله تعالى : إِنَّا لاَ نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلاً » .

على أن أساس النجاح فى الأعمال محبتها ، واستشعار اللذة فى تأديتها على الوجه الأكمل ، فإن هذا مما يولد عزيمة قوية ، وجهداً صادقاً فى العمل على رقى المهنة حتى تبلغ غاية الكمال .

التلميذ المجتهد

مرّ تلميذ بإحدى السيدات وهو يبكى ، فسألته عن سبب بكائه .

فقال : إن المعلم أمرنا بحفظ قصيدة كبيرة ، ووعد من يتقن حفظها ويجيد إلقاءها مكافأة عظيمة ؛ ولكنى بطىء الحفظ ، وأخشى وصول المكافأة لغيرى مع رغبتى الشديدة فيها .

فقالت السيدة : ألم تر هذا النمل كيف يحاول الصعود فوق الشجرة مع بطء حركته ، وبعد المسافة عليه : ولكن باجتهاده المستمر ، وتركه جميع ما يشغله يصل إلى مقصوده .

فإذا حفظت كل يوم جزءاً من القصيدة تاركاً كل ما يشغلك غير مبال بما تظنه من بطء الحفظ ، فإنك تنال المكافأة لا محالة .

فعمل التلميذ بهذا الرأى السديد ، واستمر فى الحفظ حتى حفظ القصيدة حفظاً جيداً

ولما أتى وقت الامتحان أجاب هـذا التلميذ المجتهد إجابة أعجبت المعلم والتلاميذ فنال المكافأة وحاز الثناء الجميل

ولقد جاء فى الحكم : لكل مجتهد نصيب . ومن جدّ وجد . ومن سار على الدرب وصل

بالاجتهاد ينال المراد

يحكى أن فتى أخذ يدرس علم الجبر استعداداً للدخول فى إحدى المدارس العالية ، فأعطاه المعلم ثلاث مسائل ، وطلب منه حلها ، فأتى فى اليوم الثانى وقد حل اثنتين منها ، وأما المسألة الثالثة فاستعصى عليه حلها فقال له معلمه : أتريد أن أحلها لك ؟ فأجاب الفتى : كلا ياأستاذى فإنى أستطيع حلها بنفسى إذا أمهلتنى يوماً آخر

فقال له المعلم : أمهلك يوماً بل أياماً

واستمر يعطيه دروساً كان يقوم بها الطالب ، وأما المسألة الثالثة فبقيت مستعصية عليه

فقال : المعلم أتريد الآن أن أعلمك حلّها ؟

فأجابه : كلا ياأستاذى فإنى أستطيع حلها إذا أمهلتنى يوماً ثالثاً

فقال المعلم: أمهلك أياماً حسبما تريد

ثم جاء فى اليوم الثالث وعلامات البشر والظفر بادية على وجهه وعرض عليه حلها فإذا هو صحيح محكم

ومن ثم تولدت فيه روح البحث والاستقلال بالعمل ، وأخذت محبته للعلوم الرياضية تزداد ، فتعلق بها ، وغاص فى بحرها ، واستخرج منها الدرر الغوالى ، وأصبح من أشهر الرياضين . حقاً لقد صدق من قال :

« لأستسهلن الصعب أو أدرك المنى فما انقادت الآمال إلاّ لصابر »

المثابرة على الدرس

كان رجل يطلب العلم فلا يقدر عليه فعزم على تركه ، فمرّ بماء ينحدر من رأس جبل على صخرة قد أثر فيها

فقال : الماء على لطافته قد أثر فى صخرة على كثافتها ، والله لأطلبن العلم ، فطلب فأدرك (نال مطلوبه) ، وفى ذلك قال الشاعر :

« اطلب ولا تضجرنّ من مطلب فآفة الطالب أن يضجرا »

« أما ترى الماء بتكراره فى الصخرة الصماء قد أثرا »

التشجيع على العمل

كان الملك (جورج الثالث) يسير يوماً فى القرية متنزهاً وإذا به أمام حقل ليس فيه غير امرأة تحش البرسيم . ولما سألها عن باقى أخواتها وزملائها الفلاحين أجابته : إنهم ذهبوا ليروا الملك

فقال لها : ولماذا لم تذهبى معهم ؟

فأجابته قائلة : كنت أتمنى أن أرافقهم ، غير أنى لم أستطع أن أفعل ذلك ياسيدى ، لأنى أعول خمسة أطفال وأحتاج بسببهم للانتفاع بكل دقيقة من وقتى

إذ ذاك وضع الملك الرحيم ديناراً فى يدها وقال لها : أخبرى زملاءك الذين تركوا عملهم وذهبوا لرؤية الملك ، أن الملك جاء هنا ليراك ، وأنه أعطاك صورته منقوشة فى الذهب تذكاراً لزيارته لك وتشجيعاً لمثابرتك على عملك

(التربية بالقصص)

عناية الإنسان بما يرقى مهنته ويعلى شأنها

الأعمال كالمغروسات التى لا بد أول الأمر من بذل العناية الكلية والاجتهاد فى سياستها وتعهدها بطرق الإصلاح ، ومتى نمت اجتنيت أثماراً كثيرة منها من غير جهد

هكذا أعمال الإنسان فى مهنته لابد من العناية والاجتهاد فى أول أمرها حتى إذا تعودها ، وعرف أبواب الفائدة منها ، وطرق رواجها ربح منها ربحاً جزيلاً وارتقى بها

فالتاجر مثلاً يصرف مالاً كثيراً ، ويسعى طويلاً فى السنة الأولى من غير جدوى ، وقد يخسر بعض الخسارة ؛ ولكن متى بذل عنايته فى تجارته اشتهر محله ، وكثرت زبائنه ، وراجت تجارته ، وأخذ ربحه يتزايد تدريجياً ، وتعبه يقل

وكذلك الصانع ، والعامل والطبيب ، والمهندس ، وغيرهم متى عنى كل واحد منهم بمهنته وصل إلى درجة عظيمة وعلا شأنها وشأنه

والعناية بالعمل هى إتقان العمل وحسن الصنع ؛ لأن الإتقان يكسب الإنسان رفعةً وشأناً وذكراً حسناً ، وقدراً عظيماً

بدليل أنك ترى بعض المصنوعات قد فاق غيره ، وتقدم عليه فى الأسواق ، ونال رضا الناس وحبهم إياه . ولم يكسبه ذلك الإقبال سوى الإتقان فى عمله ، والجودة فى صنعه ، حتى ظهر بمظهر القبول والاستحسان يسر منه من ينظره ، وينشرح له صدر من يبصره ، ويسعى فى اقتنائه كل من يراه

إن الإتقان فى العمل يقدم صاحبه ، ويجعله محبوباً بين الناس ويكسبه الشرف والرفعة

فالصانع والتاجر ، والمتعلم والعالم ، والزارع وغيره ، كل أولئك لو أتقنوا

عملهم ، وأحسنوا صنعهم ، كانوا من الساعين فى خير أمتهم ، عاملين على تقدم بلادهم ، الحافظين لوطنهم من حادثات الدهر وكوارث الأيام

الإتقان فى العمل هو الذى يأخذ بيد صاحبه ، ويقدمه على إخوانه ويرفعه على أقرانه ، ويظهره أمام قومه بمظهر الرجل العارف ، والإنسان الكامل ، فيحظى بالدرجة الرفيعة ، والمنزلة الشريفة ، وينال محبة الرؤساء والكبراء ، والإخوان والأصدقاء ، وجميع الأمة

وبالجملة إتقان العمل فيه الخير والسلامه ، والسعادة للأمة والبلاد وقد جاء فى الأثر : إن الله يحب إذا عمل أحدكم عملاً أن يتقنه

وقال بعض الحكماء : لا تطلب سرعة العمل؛ واطلب تجويده ، فإن الناس لا يسألون فى كم فرغ ، وإنما ينظرون إلى إتقانه وجودته . فعمل مفيد فى وقت طويل ، خير من عمل لا يفيد ولا يغنى فى زمن قصير

وقال شوقى (بك) أمير الشعراء نصيحة إلى العمال لإتقان عملهم :

« أيها العمال أفنوا الـ عمر كدًّا واكتسابا »

« واعمروا الأرض فلولا سعيكم أمست يبابا (خرابا)

« إن لى نصحاً إليكم إن أذنتم وعتابا »

« فى زمان غبِىَ النا صح فيه أو تغابى »

« أين أنتم من جدود خلدوا هذا الترابا ؟ »

« قلدوه الأثر المعـ جز والفن العجابا »
« وكسوه أبد الدهـ ـر من الفخر ثيابا »
« أتقنوا الصنعة حتى أخذوا الخلد اغتصابا »
« إن للمتقن عند الـ له والناس ثوابا »
« أتقنوا يحببكم الله ويرفعكم جنابا »
« أرضيتم أن ترى مصـ ـر من الفن خرابا ؟ »
« بعد ما كانت سماء للصناعات وغابا »

مثال أول

كان (استيفنس) مخترع قطار السكة الحديدية ، الذى بلغ مبلغاً عظيماً من الغنى والعلم فى أول أمره وقاداً لآلة بخارية فلما رأى أن لا سبيل له إلى الارتقاء إلا بتوسيع معارفه ، وترقية مهنته ، جعل يقتصد من دخله ويتعلم ، وكلما زاد علماً زاد أجراً ، وزاد إنفاقه فى سبيل تعلمه حتى تمكن من اختراع القطار الذى كان سبب ثروته وسعادته .

مثال ثان

إن (واط) مستنبط الآلة البخارية كان يحترف بصناعة النجارة وكان يشتغل فى أوقات فراغه بالمطالعة ودراسة العلوم واللغات . وما زال يدأب على

العمل حتى تمكن من اختراع تلك الآلة . وهذا هو شأن الكثير من العلماء والحكماء الذين لم يستكينوا للفقر بل جعلوه مرقاة لبلوغ ذرا المجد كما قال الشاعر :

« العلم يرفع بيتاً لا عماد له والجهل يهدم بيت المجد والشرف »

مثال ثالث

قال أحد أعضاء البرلمان الإنجليزى عن نفسه :

كنت فى حداثة سنى أعمل فى منجم من مناجم الفحم الحجرى وأجمع من أجرتى صيفاً ما أدفعه أجرة تعلمى شتاء ، وما زال هذا ديدنى حتى اتسعت معارفى ، وتمكنت بعلمى من مزاولة أعمال ذات شأن ووصلت إلى ما أنا فيه الآن .

التضحية فى سبيل المهنة

كثيراً ما يكلفنا القيام بالواجب مشقات ينبغى أن نتحملها ، أو يتطلب منا تضحية يلزمنا تقديمها ؛ فالقاضى قد يضطر إلى الحكم على صديقه أو قريبه فيؤلمه ذلك ، وقد يحمله حب العدل على إغضاب أفراد أو هيئات مختلفة فيعرض بذلك نفسه لأنواع شتى من الآلام .

والجندى يقدم حياته عند الخطر فداء لأمته .

ورئيس السفينة إذا عطبت يجب أن يبقى فى السفينة حتى ينتقل جميع من فيها إلى قوارب النجاة

وإعلان الإنسان رأيه ، وتمسكه بمبدئه ، قد يبعده عن منصب ويحرمه من فائدة

وفى جميع ذلك يجب أن نتحمل التضحية — مهما آلمت — عن رضى وارتياح فى سبيل المهنة ، وفى سبيل القيام بالواجب

ويجب أن نعد مكافأة الضمير فوق كل مكافأة ، ولكن يجب هنا أن ننبه إلى أمرين كثيراً ما يخطئ الناس فيهما

الأول — أن التضحية ليست مقصودة لذاتها ، ولا يصح أن تكون غرضاً يريد الإنسان تحصيله ، فهى ليست إلا ألماً محضاً ينبغى الفرار منه إلا إذا استتبع خيراً ، فما يفعل بعض الزهاد من الامتناع عن الأكل إلا النزر اليسير ، وحرمان النفس من التمتع بما أحل الله ، ولبس الخشن من الثياب ، لا لغرض إلا لطلب المثوبة بهذا الشقاء ، خطأ لا يرضى عنه عقل ولا دين

وقد ردّ رسول الله ﷺ على من نذر أن يصوم قائماً فى الشمس فأمره بإتمام صيامه ، ونهاه عن القيام فى الشمس ، لأن الله لم يضع تعذيب النفس سبباً للتقرب منه ، وليست المشقة نفسها سبباً فى رضاء الله ، وإنما رضاه فى عمل صالح قد يستلزم المشقة

الثانى ــ ليس لأداء أى واجب تقدم أى تضحية ، بل لا بد أن يوازن بين الواجب والتضحية ، فليس ثواباً أن يضحى الإنسان بحياته ليرتاح من ألم أسنانه ، ولكن خيراً أن يقلم أشجاره ليزيد ذلك فى ثمارها ، فمتى كان الخير الذى يناله من العمل يرجح بالتضحية وجبت كالطبيب يهجر نومه ويتعرض للتعب والبرد لإزالة ألم مريض متوجع وإدخال السرور عليه وعلى أسرته ، وكالعالم يهجر راحته ولذته من أجل كتاب يهدى للناس للانتفاع به أو لاستكشاف يزيد فى خيرهم ، والجندى يضحى بنفسه لتحيا أمته ، والأمثلة على ذلك كثيرة ، وهذه الموازنة قد تسفر عن ترجيح أى الأمرين : الواجب ، والتضحية ، بمجرد النظر أو بقليل من البحث . ومتى اقتنع الإنسان بخيرية التضحية وجبت عليه ، ذلك لأنه عضو من جسم الأمة ، فليس من الحق أن يستأثر الإنسان باللذات ويتمتع بالراحة التامة ، والناس من حوله متوجعون متألمون متعبون ، كما لا يستأثر عضو بكل الغذاء ، ويترك سائر الأعضاء تتضور جوعاً ، وكلما عظم الغرض كانت التضحية عظيمة وأوجب ، كما تفعل الأمم الحية تضحى بالألوف من أبنائها دفاعاً عن حريتها ، وحفظاً لشخصيتها ، وليست تستكثر ما تبذل من التضحية لعظم ما تطلب ، وسير عظماء الرجال مملوءة بالشواهد على التضحية ، ولا تكاد تجد عظيماً لم يضح كثيراً ؛ إما لنشر مبدأ يخالف فيه الرأى العام ، أو محاربة عدو يريد اغتصاب أمة أو لتخليص

عقائد دينية مما دخل عليها من التغيير ، أو لتحقيق مسألة علمية كثر فيها البحث والجدل

وهذه التضحية هي التي تكونهم ، وهي سر عظمتهم ، فإن ما يبذلون في حياتهم من الجهد لتذليل الصعاب التي تعترضهم ، وما يتحماونه من العناء للتغلب عليها ينمي ملكاتهم ، ويعودهم الصبر على المشاق لنيل أغراضهم . أما من يستسلم للضيم ، ويخلد للراحة ، فمحال أن يكون عظيماً لأنه يشب غير قادر على مشقة الإتيان بعمل كبير

« الأخلاق »

مثال ضحية الواجب

جندي يسقط في ميدان الجهاد

في ذمة الله ذلك المجاهد الكبير الذي استشهد في ميدان الجهاد الوطني بعد أن خدم بلاده بسيفه ، وبقلمه ، وبلسانه

قضى المرحوم علي فهمي كامل حياته وهو يتفانى في خدمة وطنه ماضي العزيمة قوي الإيمان ، لايحيد عن مبدئه ، ولا تلين له قناة ، ووقف آخر ساعاته يخطب في الناس ، ويعدد مآثر المرحوم محمد فريد الذي جاهد حتى أتى الجهاد على آخر رمق من حياته ، والناس يستمعون له خاشعين ، وهم لا يرون يد الموت تمتد إليه ، حتى إذا قضى ساعة يفيض حماسةً

ويتدفق وطنيةً ، ويضرب للناس مثلاً من أمثال الوفاء ، والتفانى فى الوطنية ، دهمه الموت فجأةً مساء يوم ٣١ ديسمبر سنة ١٩٢٦ ، فكان مثلاً للجهاد الصادق والتضحية ، إزاء الواجب الذى لا ينتهى إلا بانتهاء الحياة .

مثال آخر فى ضحية الواجب

المرحوم الدكتور على ابراهيم رامز بك

فجع العلم فى أحد أساطينه الذين كمل نضوجهم ، وفاق صدقهم ، وبفقده فقدت البلاد أحد نوابغها الذين قلّ أن يجود الزمان بمثلهم . ونعنى به المرحوم الدكتور على ابراهيم رامز الطبيب الاستشارى للملك فؤاد ، والأستاذ فى القصر العينى ، مؤسس مستشفى المنيل الخاص .

فقد كان يجرى بعض العمليات فأصيب بجرح فى إبهامه لم يعبأ به ، وبعد ستة أيام تلوث الجرح فى عملية أخرى فسرت العدوى فيه وتسمم الدم ، وانتابته حمى فى مساء الجمعة ٨ يونيه سنة ١٩٢٨ فلم تشرق شمس السبت إلاّ وقد عزّ الدواء ، وحمّ القضاء ، واستشهد كالجندى الباسل فى ميدان الجهاد والكفاح (ضحية الواجب) .

ولد رحمه الله سنة ١٨٧٥ ، ودرس الطب فى ألمانيا ، وتخرج فى سنة ١٨٩٨ وعين جراحاً بالقصر العينى فى سنة ١٩٠١ وما زال يرقى المناصب حتى أصبح رئيس أطباء قسم من أقسامه .

وكان كريم النفس ، وديع الخلق ، كبير الجنان ، مثقفاً مهذباً مبرزاً فى صناعته ، تغمده الله برحمته .

« اللطائف المصورة »

« فى ١٨ يونيه سنة ١٩٢٨ »

واجبات وفضائل اجتماعية

الصدق

الصدق هو قول الحق ، والإخبار بما يطابق الواقع ، من غير تبديل ولا زيادة ولا نقصان ، وليس الإخبار مقصوراً على القول ، بل قد يكون بالفعل ، كالإشارة باليد ، وهز الرأس ونحوهما ، وقد يكون بالسكوت من غير قول ولا فعل .

وليس للصدق سوى طريقة واحدة ، وهى أن يقول الإنسان الحق ، كل الحق ، لا شىء غير الحق . والصدق أس الفضائل ، وأجمل الصفات الحميدة ، التى يتحلى بها الإنسان ، وتزيده فى العالم هيبةً ووقاراً ، إذ به تنال الثقة ، وتكتسب الثروة ، ويطيب العيش .

والصدق من الضروريات التى يتوقف عليها نظام العالم بأسره ؛ ألا ترى أنه بالصدق تثبت الحقوق ، وتحفظ الأرواح ، ويتم النظام ، ويعيش الناس

فى أمان وسلام ، ولولاه لانتزعت ثقة الناس بعضهم من بعض ، ولما وصل إليهم شىء من الحقائق فى العلوم والأديان .

ألا ترى أن الرجل الصادق يكون دائماً موضع الثقة ومحل الأمانة مبجلاً محترماً مهما كانت درجته ، لأن الصادق لا يكون خائناً ، ولا مختلساً ، ولا مزوراً ، ولا نماماً ، ولا منافقاً ، ولا مخادعاً ، ولا غشاشاً .

فإذا عاملت رجلاً صادقاً كنت فى مأمن على مالك وعرضك ، ويكون هو على يقين من رغبة الناس فى معاملته .

فالتاجر لا يعامله الناس إلا إذا اشتهر عنه الصدق فى المعاملة ، والصانع ينصرف عنه عملاؤه إذا لم يصدق فى مواعيده ، والطبيب لا يقصده أحد إلا إذا وثق به الناس وكان صادقاً .

والصدق من أهم الأسس ، بل هو الأساس المتين الذى تشاد عليه المجتمعات ، ولولاه ما بقى مجتمع ، ذلك لأنه لا بد للمجتمع من أن يتفاهم أفراده بعضهم مع بعض ، ومن غير التفاهم لا يمكن أن يتعاونوا .

ومعنى التفاهم أن يوصل الإنسان ما فى نفسه من الحقائق إلى الآخرين . وهذا هو الصدق بعينه ، يتجلى ذلك فى المجتمعات الصغيرة كالأسرة والمدرسة، فكلاهما لا يبقى إلا بالصدق .

فلو كذب الطلبة فى كل ما يتكلمون ، وكذب عليهم مدرسوهم فى كل ما يعلمونهم ، ويحدثونهم ما بقيت المدرسة ، وكذلك البيت .

والدليل على ضرورة الصدق هو أن أغلب المعلومات التى وصلت إلينا بالسماع أو القراءة مبناها الصدق ، وعليها يعتمد الإنسان فى معاملاته وتصرفاته؛ فلو كانت مكذوبة لكانت الأعمال المبنية عليها خطأ وخللاً ، ولما وصل إلينا من العلم إلا شىء قليل، وهو يمكننا أن نجربه بأنفسنا ، وهو لا يغنى فى الحياة .

ومن أجل هذا عدّ الصدق أساساً من أسس الفضائل ، وعنواناً لرقى الأمم وانحطاطها .

واعلم أن الذى يعرف بالصدق بين قومه وعشيرته وإخوانه يؤخذ قوله حجةً بلا برهان ويكون موضع الصدق عند العامة والخاصة .

فإن كنت تحب أن تكون موثوقاً بك ، فاحرص على أن تكون صادقاً فى كل ما تحدث به ، والله يتولى هدايتك وإرشادك إلى طريق الحق والصواب .

ذكر ما قيل فى الصدق

الآيات ـ قال الله تعالى : « يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ » .

وقال تعالى : ﴿ وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا ﴾ .

وقال عز وجل : ﴿ لِيَجْزِيَ اللَّهُ الصَّادِقِينَ بِصِدْقِهِمْ ﴾ .

وقال جل شأنه : ﴿ رَبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ وَاجْعَلْ لِي مِنْ لَدُنْكَ سُلْطَانًا نَصِيراً ﴾ .

وقال عز وجل مبشراً للصادقين : ﴿ هَذَا يَوْمُ يَنْفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾ .

وقال تعالى : ﴿ وَاجْعَلْ لِي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ ﴾ .

الأحاديث ـ قال عليه الصلاة والسلام : « عليكم بالصدق ، فإن الصدق يهدى إلى البر ، والبر يهدى إلى الجنة ، وما يزال الرجل يصدق ويتحرى الصدق حتى يكتب عند الله صديقاً ، وإياكم والكذب فإن الكذب يهدى إلى الفجور وإن الفجور يهدى إلى النار وما يزال العبد يكذب ويتحرى الكذب حتى يكتب عند الله كذاباً » .

وروى عنه عليه الصلاة والسلام أنه قال : « عمل الجنة الصدق ، وإذا صدق العبد بر وإذا بر آمن ، وإذا آمن دخل الجنة ، وعمل النار الكذب ، إذا كذب العبد فجر وإذا فجر كفر ، وإذا كفر دخل النار » .

وروى أن رسول الله ﷺ قال لأبى بكر الصديق رضى الله عنه : عليك بصدق الحديث ، ووفاء العهد ، وحفظ الأمانة ، فإنها وصية الأنبياء .

عن عائشة رضى الله عنها قالت : سألت رسول الله ﷺ : بم يعرف المؤمن ؟ قال : بوقاره ، ولين كلامه ، وصدق حديثه .

أقوال الخلفاء والحكماء والعلماء والأدباء فى الصدق

قال عمر بن الخطاب رضى الله عنه : لأن يضعنى الصدق وقلّما يفعل أحبُّ إلىّ من أن يرفعنى الكذب وقلما يفعل .

وقال على كرم الله وجهه : قد يبلغ الصادق بصدقه ما لا يبلغه الكاذب باحتياله . ومن كلامه رضى الله عنه : الإيمان أن تؤثر الصدق حيث يضرك على الكذب حيث ينفعك . وقال أيضاً : الباطل والحق يتداولان دول الزمان من غير مذلة للحق ولا معزة للباطل .

وقال الأحنف لابنه : يا بنى ، يكفيك من شرف الصدق أن الصادق يقبل قوله فى عدوه ، ومن دناءة الكذب أن الكاذب لا يقبل قوله فى صديقه ولا عدوه ، لكل شيء حلية ، وحلية المنطق الصدق ، يدل على اعتدال وزن العقل .

وقال الشعبى : عليك بالصدق حيث ترى أنه يضرك فإنه ينفعك ، واجتنب الكذب حيث ترى أنه ينفعك فإنه يضرك .

وقال عبد الملك لمعلم أولاده : علمهم الصدق كما تعلمهم القرآن .

وقال ارسطاطاليس : أحسن الكلام ما صدق فيه قائله ، وانتفع به سامعه ، و إن الموت مع الصدق خير من الحياة مع الكذب .

وقالت الحكماء : الصدق عمود الدين ، وركن الأدب ، وأصل المروءة ، فلا تتم هذه الثلاثة إلا به .

وقال أحد العلماء : علّم ابنك الصدق ، والصدق يعلمه كل شيء .

وقال آخر : ليكن مرجعك إلى الحق ، ومنزعك إلى الصدق ، فالحق أقوى معين ، والصدق أفضل قرين .

وقال آخر : لا سيف كالحق ، ولا عون كالصدق ، الحق ملجأ الضعفاء والأقوياء .

وقال بعض الفضلاء : الصدق منجيك و إن خفته ، والكذب مرديك و إن أمنته .

وقال بعض العلماء : من صدق فى مقاله : زاد فى جماله .

وقال آخر : تحروا الصدق و إن رأيتم فيه الهلكة فإن فيه النجاة ، وتجنبوا الكذب و إن رأيتم فيه النجاة ، فإن فيه الهلكة .

وقال محمود الوراق الشاعر :

الصدق منجاة لأربابه ... وقربة تدنى إلى الربّ

وقال أحد الشعراء :

الصدق يمن ومنجاة ومحمدة ... فيه الكرامة والإقبال والشرف

وقال آخر :

عوّد لسانك قول الصدق تحظ به ... إن اللسان لما عوّدت معتاد

وكل بتقاضى مامننت له ... فى الخير والشر فانظر كيف ترتاد

وقال آخر :

عليك بالصدق ولو أنه ... أحرقك الصدق بنار الوعيد

وقال النيسابورى :

وأكرم الآداب صدق المنطق ... أكرم به أكرم به من خلق

أعدل شاهد على الصلاح ... أقرب منهاج إلى الفلاح

شرّف به أخلاقك الكريمه ... استر به حالاتك الذميمه

من صدق الحديث فى المقال ... شاركه المثرون فى الأموال

. . . .

أمثلة فى الصدق

١ — دخل رجل حانوت تاجر ، فأعجبه لون ثوب عنده ، وبهره جمال منظره ، فأحب أن يشتريه منه ، فقال له التاجر : لايغرنك حسن المنظر ، فإن نوعه غير جيد ، فشكر له صدقه وإرشاده ، وطلب آخر من نوعه جيداً ،

فأسف التاجر لنفاده ، ووعده عند أول رسالة تأتيه أن يخبره . و بعد بضعة أيام جاء النوع الجيد فأعلمه به ؛ واشترى منه مايحتاج إليه ، فشكره على ذلك ونشر اسم التاجر بين الناس لما عهده فيه من الصدق

٢ — دخل ولد حجرة أبيه فأعجبه خاتم رآه بها فوضعه فى أصبعه وخرج يلعب مع رفقائه فسقط منه ولم يشعر به ، ولما حضر والده أخذ يبحث عن الخاتم لأنه ثمين جداً فلم يجده ، فغضب وأغضب جميع من فى البيت ، والكل يتوارى خزياً وخجلا باحثاً منقباً عنه

وفى الأثناء أقبل الولد كئيباً حزيناً ، لأن الخاتم سقط منه فوجد من فى البيت فى حالة هياج وحزن ، ووالده متأثراً ، فتقدم بين يديه وقصّ عليه أنه هو الذى أخذ الخاتم وفقد منه ، فهدأت ثورة الوالد ولامه على أخـذه شيئاً بغير إذنه ، وسامحه جزاء صدقه

عمر بن الخطاب والعجوز وابنتها

قيل : مرّ عمر بن الخطاب رضى الله عنه بعجوز تبيـع اللبن فقال لها : ياعجوز ، لاتغشى المسلمين ولاتشوبى لبنك بالماء

فقالت : سمعا وطاعة ياأمير المؤمنين

ثم مر بها بعد ذلك ، فقال : ياعجـوز ، ألم أعهد إليك ألا تشوبى لبنك بالماء ؟

فقالت : والله ما فعلت يا أمير المؤمنين .

فتكلمت بنت لها من داخل الخباء ، فقالت : يا أمّاه أَغِشًّا وحِنْثاً جمعت على نفسك ، فسمعها عمر فأعجبته ، فقال لولده : أيكم يتزوجها ؟ فلعل الله أن يخرج منها نسمةً طيبةً .

فقال ابنه عاصم : أنا أتزوجها يا أمير المؤمنين .

فزوجها منه ، فأولدها أم عاصم ، تزوجها عبد العزيز بن مروان فأولدها عمر بن عبد العزيز .

نهاية الأرب (الثالث)

وقد سردنا فى الجزء الأول من السمير حكايات كثيرة فى الصدق .

الأمانة

الأمانة هى أن تصون لغيرك حقه الذى هو تحت تصرفك المطلق .

ولا شىء أكثر تأييداً للثقة بالإنسان مثل أمانته ؛ لأنها تقضى بحفظ الحقوق لذويها فى حين يسهل اهتضامها ولا منازع أو مؤنب غير الضمير ، كما إذا وجدت لقطة ثم عرفت صاحبها ، فإذا لم تردَّها له فقد تأمن مطالبته وتعيير الناس إذ لا أحد يعلم الأمر غيرك وليس مبكّت لك غير ضميرك ، لكن إذا

رددتها اشتهرت بالنزاهة والأمانة وعظمت الثقة بك حتى لقد يجرؤ بعض الناس أن يستودعك مبالغ طائلة أو يختصك بأعمال عظيمة بلا رقيب عليك .

والأمانة بحسب التعريف المذكور تشمل :

١ ــ صيانة المال الذى فى يدك لغيرك وليس له صك به عليك كالوديعة مهما كان نوعها ، والحصة من الأرباح أو الحاصلات ونحوها واللقطة إلى غير ذلك .

٢ ــ الأسرار التى توصى بكتمها أو التى تطلع عليها اتفاقاً وتعلم أن إفشاءها مضر أكثر من كتمانها .

٣ ــ القيام بالواجب عليك لغيرك إذا لم يكن عليك رقيب كما إذا كنت مستخدماً لتشغل النهار كله وكان صاحب العمل غائباً .

٤ ــ القيام بالواجب عليك إذا لم يكن من يسألك كما إذا كنت موظفاً وأهملت واجبات وظيفتك وليس من يقدر أن يسألك عن إهمالك فتعد خائناً .

٥ ــ الإخلاص فى العمل المجهول عن عامة الناس كما إذا كنت طبيباً ووصفت للمريض علاجاً وأنت غير متحقق من مرضه لعدم ترويك أو لقصور علمك، فتكون خائناً .

أو إذا كنت صيدلياً وليس عندك كل أجزاء العلاج المطلوبة فركبته ناقصاً وأظهرت لصاحبه أنه تام فتكون خائناً .

أو إذا كنت تاجراً ومزجت البضائع بالرخيص من جنسها بحيث لا يعلم أحد أنها ممزوجة فتكون غاشاً .

أو إذا غبنت شارياً فى بيع سلعة يجهل ثمنها فتكون غادراً .

وكل من يفعل ذلك يشتهر أمره ، وتزول الثقة به فيخسر مركزه الأدبى، ويقفل باب رزقه فى وجهه .

أما إذا راعى الصدق والأمانة فإنه يربح ثقة الناس به ، ويفوز برضاء العالم عنه ، ويسعد فى الدنيا والآخرة .

وكفى بالمرء عزاً وشرفاً أن يوصف بالأمانة ويقال له : الأمين .

والأمانة من صفات الرسل والأنبياء وقد حتم الله أن تكون فيهم لأنها فضيلة كبرى .

فالأمانة كلها نور وجلال ، فمن اتصف بها كان نقياً تقياً ؛ لأنه إذا اؤتمن على سرّ أسرَّ إليه فلا يفشيه ولا يذيعه ، وإذا اؤتمن على مال أو وديعة حافظ عليها ولايطمع فيها ولاينكرها ، وإذا اؤتمن على عرض كان عليه حارساً أميناً .

وليس أشرف من رجل يحفظ الأسرار ، ويرد الأمانة إلى أهلها ، ويحفظ الأنساب فيكون من عباد الله المتقين .

سُمى النبى عليه الصلاة والسلام بالأمين ، لأنه مصدر الأمانة المبارك ،

نتمنته العرب على أموالهم وأولادهم وأرواحهم قبل أن ينزل عليه الوحى
ى ، فكان نعم الأمين ، إذ حفظ الأموال فى تجارتهم بل زادت ونمت ،
إليهم أولادهم ، وأمّن على أرواحهم بروحه فكان بشراً سوياً .

هذه الصفة العالية التى نعت بها سيد البشر ، ورسول الخير والسلام حبيب
لا نتصف بها جميعاً حتى نكون خير أمّة أخرجت للناس ؟

ذكر ما قيل فى الأمانة

١ — الآيات القرآنية

قال الله تعالى : « إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا ٱلْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا » .

وقال تعالى : « وَٱلَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ » .

وقال جل شأنه : « يا أَيُّهَا ٱلَّذِينَ آمَنُوا لَا تَخُونُوا ٱللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا
نَاتِكُمْ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ » .

وقال عز وجل : « إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ خَوَّانًا أَثِيمًا » .

٢ ـ الأحاديث

قال رسول الله ﷺ : « أَدِّ الأمانةَ إلى مَن ائتمنك ، ولا تخُنْ مَنْ خانَكَ » .

وروى عنه عليه الصلاة والسلام : « لا إيمانَ لِمَنْ لا أمانةَ لَهُ ، ولا دِينَ لمن لا عهْدَ لَهُ » .

وروى أن رسول الله ﷺ قال لأبى بكر الصديق رضى الله عنه : « عليْكَ بصدقِ الحديثِ ، ووفاءِ العهْدِ ، وحفْظِ الأمانةِ » .

٣ ــ أقوال الخلفاء والأدباء

قال عمر بن الخطاب رضى الله عنــه : لا يعجبكم من الرجل طنطنته ، ولـكن متى أدّى الأمانة ، وكف عن أعراض الناس ، فهو الرجل .

وقال الإمام على كرم الله وجهه : أداء الأمانة مفتاح الرزق .

وقال الإمام أبو حنيفة النعمان : من كان فقيراً فليأت إلىّ أعطه رأس مال يستغنى به عن الناس ، ألا وهو الأمانة .

وقال مصلح الدين سعدى : كن ثابتاً فى الأمانة ، وإلا كانت مساعيك باطلة .

وقيل فى منثور الحكم : من ضيع الأمانة ، ورضى الخيانة ، فقد برئ من الديانة .

وقال أحد الشعراء :

« أدّ الأمانة والخيانة فاجتنب   واعدل ولا تظلم يطب لك مكسب »

وقال آخر :

« وإذا اؤتمنت على الأمانة فارعها   إن الكريم على الأمانة راعى »

فكن يا بنى أميناً فى صناعتك ، أميناً فى عملك ، أميناً على أسرار إخوانك ، فمن عرف بالأمانة خصته القلوب بصدق الود ، ونطقت له الألسنة بالشكر والحمد .

مثال الأمانة

كان على بن أبى طالب رضى الله عنه أميناً ، محافظاً على أموال المسلمين ، حتى إن أخاه عقيلاً — وكان فقيراً جداً — طلب منه شيئاً من بيت المال ، فرفض وقال :

اصبر حتى يجىء مالى ، فلم يصبر عقيل ، وساعد معاوية بن أبى سفيان ضد أخيه علىّ .

أمانة أبى عبيدة بن الجراح

جاء فى الأخبار الصحيحة أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه أرسل إلى أبى عبيدة بأربعة آلاف درهم وأربعمائة وقال للرسول : انظر ما يصنع .

قال : فقسمها أبو عبيدة .

ثم أرسل إلى معاذ بمثلها ، وقال للرسول مثل ما قال . فقسمها إلا شيئاً قالت امرأته : نحتاج إليه .

فلما أخبر الرسول عمر قال : الحمــد لله الذى جعل فى الإسلام من يصنع هذا .

وقيل : ان ناساً من أهل (نجران) أتوا النبى ﷺ فقالوا : ابعث معنا رجلاً أميناً ، قال عليه الصلاة والسلام : لأبعثن إليكم أميناً حق أمين ، حق أمين ، حق أمين ، قالها ثلاثاً ، فاستشرف لها أصحاب رسول الله ﷺ .

قيل : فبعث أبا عبيدة بن الجراح .

وقيل : إن أهل اليمن لمــا قدموا على رسول الله ﷺ سألوه أن يبعث معهم رجلاً يعلمهم السنة والإسلام .

قيل : فأخذ بيد أبى عبيدة بن الجراح فقال : هذا أمين هذه الأمة .

(وهناك فى الجزء الثانى أمثلة وحكايات كثيرة فى فضل الأمانة)

أمانة أبي هريرة ومال البحرين

قال أبو هريرة : قدمت من البحرين بمال عظيم فذهبت إلى عمر وصليت معه العشاء فقال لي : ما قدمت به ؟

قلت : خمسمائة ألف .

فاستكثرها وقال : إنك ناعس ، اذهب إلى بيتك ثم عد في الغد فرجعت إليه في الغد فقال : ما جئت به ؟

فقلت : خمسمائة ألف .

قال : أتدري ما تقول ؟

قلت : نعم ، مائة ألف ، ومائة ألف ، حتى عدّ خمس مرات .

فسرّ مني لأمانتي ، وقسم المال بين مستحقيه .

أمانة قائد

شهد القائد الفرنسي (ردفيل) موقعة مع الروس انقطعت فيها ساقه ثم اتفق أن الفرنسيين جعلوه واليا على قلعة (فنس) بالقرب من (باريس) ولما هجمت الدول المتحالفة على فرنسا سنة ١٨١٤ بعثوا إليه يقولون : خذ مليونيْ ليرة وسلمنا القلعة ، فأجاب الرسل : قولوا للروس إني أسلمهم القلعة متى ردوا لي ساقي .

الأمانة رأس الدين

خرج شابان إلى الحقل ، و بينما هما سائران إذ نظر أحدهما صرة على الأرض فالتقطها ونادى رفيقه وقال له : انظر ما لقيت ، فأخذها منه ونظر فيها فوجد بها خمسين ريالاً ، ثم التفت إلى رفيقه وقال له : هذه صرة دراهم تحوى ٥٠ ريالاً ، وهذه الكتابة تنبئك بذلك . فانشرح صدره وصار يرقص طرباً وفرحاً وقال لرفيقه : هلم نتقاسم هذه النقود وكل منا يأخذ نصفها .

فأجابه : كيف نتصرف فى مال ليس لنا ؟

قال : ألا تعلم أن هذا مالنا الآن وأنا لقيته ؟

فأجابه : إن مجرد التقاطك هذه الصرة المفقودة لا يجعل لك حقاً فى امتلاكها ما دام صاحبها موجوداً .

قال : نعم ، ولكن من يعلم صاحبها ؟

أجاب : يجب أن نبحث عنه قبل أن نتصرف فى المال .

قال : إذاً ماذا نعمل الآن ؟

أجاب : اذكر ما قاله المعلم لنا فى الأسبوع الماضى ، يجب علينا أن نأخذ الدراهم ونعطيها للحكومة ، وهى تبحث عن صاحبها وتسلمها له .

قال : و إذا لم تجده ؟

أجاب : حينئذ يكون لنا الحق أن نقتسمها .

قال : عسى ألاَّ نجد صاحبها فتبقى لى ولك ؛ بل وأرى الأحسن أن نكتم الأمر عن سائر البشر .

أجاب : لا ياصاحبى ، إن هذا العمل مذموم ، ويحسب نوعا من السرقة ، وإن بقيت مصراً على غيك ، فأنا مضطر إلى أن أقطع كل علاقاتى بك ، وأنكر صداقتك ، إذ تكون قد بعت شرفك بدريهمات قليلة .

قال : لا تتوسع فى الموضوع أكثر من اللازم ، فنحن لسنا بسارقين .

أجاب : نعم نحن لسنا بسارقين ؛ ولكن تصور الحيرة التى فيها الآن صاحب المال ، وفكر فى ضيقه ، إنى لا أنسى أبداً ماقاله لى أبى : إن كرامة الإنسان وشرفه أحسن من كل كنوز الدنيا ، وأنا أقول أيضاً الأمانة رأس الدين .

الوفاء بالوعد والعهد

الوفاء هو ثبوت الإنسان على قوله وفعله ، فإذا قال قولاً اليوم لا ينقضه غداً ، واذا وعد شخصا بشىء أو أداء عمل وفّى له به ، ولا ينكص على عقبيه .

ومما يعظم الثقة بالمرء أن يكون وفيا بوعده ، فلا يخلف ، وآفة الوعود التسويف والمماطلة ، وليس الخلف بأكثر عاراً من تأجيل الوفاء بالوعد .

وكم تكون مسروراً لو وعدك صديق لك أن تتقابلا فى ساعة معينة ومحل معين وحضرت فيهما دون تأخير ؟ وكم تكون قلقا حزينا وتشعر بغيظ شديد ، إذا أخلف وعده ولم يحضر ، أو حضر متأخراً بعد ميعاده ؟ لأنه أضاع عليك وقتك ، وأخر عملاً لايتم إلا باجتماعكما ، وقد لا تتمكنان من فرصة أخرى ، فيضيع ضحية خلف الوعد .

فإذا فات موعد الوعد ، ولم يعتذر الواعد عن تقصيره بعذر مقبول شك الموعود فى وفائه ، وحاذر أن يقبل منه وعداً بعد ذلك .

ولا يخفى أنه لا غنى للناس عن ضرب المواعيد . فالتاجر الذى عليه مال لعميله إذا لم يدفعه فى الحال ، يضرب له أجلاً يدفع فيه ذلك المال و إذا أخلف وعده بغير عذر ارتاب العميل به ، فاذا تكرر الخلف امتنع عن معاملته .

فإذاً لاتعد مالم تقصد أن توفى ، وتتأكد أنك تقدر أن توفى الموعود به كله فى الموعد المعين ، و إذا حدث ماعاقك عن الوفاء ، فعليك أن تبسط عذرك ، وتلتمس المسامحة ، حتى ولو كان ماوعد به تبرعاً منك .

ومن الوفاء القيام بالعهود ، وأداء الشهادة ، ورد الأمانة ، وبذل النصيحة ، وكتمان السر ، وصلة الرحم ، وقول الحق ، وصدق الإخاء .

والعهد التزام تطوعت به ، لا سبيل لك إلى البراءة منه إلا بالوفاء

إنك حين تعد أحداً بأمر وتعاهده عليه ، فقد بنى على موعدك مصالح كثيرة ، وإن فى خلفك لوعده ، ونقضك لعهده ، نقضاً لهـذه المصالح ، وهذا ليس من الدين ، ولا من المروءة فى شىء .

فالواجب ألاّ تقطع عهداً مع أحد قبل أن تتأكد أنك قادر على القيام بكل شروط ذلك العهد ، إنك لتجد من نفسك تأثراً ، وفى صـدرك ضيقاً وحرجاً ، حينما يعدك عامل ، أو صانع أو تاجر ، أو غيرهم بعمل من الأعمال ثم لا يفى بوعده .

إن جميع الأمم والشرائع مجمعة على ذم من يخلف الوعد ، وينقض العهد ، وربما عدت ذلك من أكبر عيوبه ومساويه ، لما يترتب عليه من ضياع كثير من الفوائد ، وضياع الوقت أيضاً .

الوفاء بالوعد والعهـد من البرّ ، لأنه يترتب عليـه نظام المعيشة ، كما أن الغدر والإخلاف من الذنوب الهادمة للنظام ، المفسدة للعمران ، المفنية للأمم .

وما فقدت أمة الوفاء ، الذى هو ركن الأمانة ، وقوام الصدق ، إلاّ حل بها العقاب الإلهى ، وضل سـعيها ، وخاب أملها ، وأحاط بهـا الفقر ونزلها الذل والهوان .

والوفاء خلق محمود ينتفع به جمـيع الناس ، فمن عُرف بالوفاء كان مقبول القول عند الناس فى جمـيع مايَعِد به ، ومن كان مقبولاً كان عظيم الجاه ، وكان الناس أكثر ثقة به .

ذكر ما قيل فى الوفاء

الآيات القرآنية

قد حث الله تعالى على الوفاء بالعهود ، فقال : « وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولاً » .

وقال جل شأنه : « وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ وَلاَ تَنْقُضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا » .

وقال عز وجل : « وَأَوْفُوا بِعَهْدِى أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّاىَ فَارْهَبُونِ » .

وقال سبحانه وتعالى : « الَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِى الْأَرْضِ أُولٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ » .

وقال تعالى : « وَاذْكُرْ فِى الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولاً نَبِيًّا » .

الأحاديث

قال رسول الله ﷺ : ثَلاَثَةٌ أَنَا خَصْمُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، رَجُلٌ أَعْطَى بِى (عَهْدًا) ثُمَّ غَدَرَ ، وَرَجُلٌ بَاعَ حُرًّا ثُمَّ أَكَلَ ثَمَنَهُ ، وَرَجُلٌ اسْتَأْجَرَ أَجِيرًا فَاسْتَوْفَى مِنْهُ الْعَمَلَ وَلَمْ يُوَفِّهِ أَجْرَهُ .

وقال عليه الصلاة والسلام : آيَةُ الْمُنَافِقِ ثَلاَثٌ ، إِذَا حَدَّثَ كَذَبَ ، وَإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ ، وَإِذَا أُؤْتُمِنَ خَانَ » .

أقوال الحكماء والأدباء

من أمثال الحكماء : حسب المؤمن من مكارم الأخلاق ، حفظ العهد والميثاق ، ومن حفظ العهد يزكو قليل الودّ منه ، ومن نقض العهد يذهب كثير الودّ عنده .

وقال أبو تمام :

« إذا قلت فى شىء نعم فأتمه فإن (نعم) دين على الحر واجب »
« و إلا فقل (لا) تسترح وترح بها لئلا يقول الناس إنك كاذب »

وقال آخر :

« فلا تعد عدة إلاّ وفيت بها ولا تكونن خلاّقاً لما تعد »

وقال آخر :

« فارع الوفا للناس تحظى عندهم   بجميل ذكر لا تنال مطالبه »

وقال آخر :

« إن الوفاء على الكريم فريضة   واللؤم مقرون بذى الإخلاف »
« وترى الكريم لمن يعاشر منصفاً   وترى اللئيم مجانب الإنصاف »

وقال الحسن بن على رضى الله عنه : المسئول حرّ حتى يعد ، ومسترق بالوعد حتى ينجز ، فأوف يا بنى بعهد الله إذا عاهدت ، ولا تنقض الأيمان بعد توكيدها ، واحذر الغدر بالعهد ، فإنه دليل اللؤم ، و برهان الدناءة والسفالة .

واعلم أن الوعد دين على الحر واجب أداؤه ، فلا تخلف وعدك ، ولا تعد أحداً بما لا تقدر على وفائه ، فإن من أخلف الوعد فقد عصى الله ، وخالف سنته فى نظامه .

مثال الوفاء بالوعد

نلسن وأخوه

لقد برهن (نلسن) ذلك البحار الإنجليزى الذى ملأت شهرته الدنيا ، على نفس عالية ، إذ عرف بالوفاء منذ نعومة أظفاره .

وقد حكى عنه : أن المطر اضطره وأخاه ذات يوم إلى عدم الذهاب إلى المدرسة ؛ لأنه كان غزيراً حتى منع السير فى الطريق ، وهو إذ ذاك فى الثامنة من عمره ، وبعد يومين قال لهما أبوهما : اذهبا إلى المدرسة فان رأيتما الطريق سهلا واستطعتما السير فلا تعودا ، و إلاّ رجعتما ، و إنى آخذ عليكما عهد الشرف ألاّ تعودا وفى وسعكما الوصول إلى المدرسة .

فسارا فى الطريق واعترضتهما أوحال كثيرة ، فقال الأكبر : نعود ، فلم يرض (نلسن) رأى أخيه ، ثم صادفا جهة يكاد يتعذر السير فيها .

فقال الأكبر : إن من الخطر أن نواصل السير .

فأجاب (نلسن) : مادام فى استطاعتنا السير فلا يسعنا أن نرجع وننتهك عهد الشرف الذى قطعه علينا الوالد ، و إن رمت العودة فعد وحدك ، وأذهب أنا منفرداً وفاء بوعد الشرف الذى عاهدنى عليه والدى .

ثم أخذا يذللان كل صعب فى الطريق حتى دخلا المدرسة .

مثال آخر

حكم ملك بالإعدام على رجل مشهور بالوفاء بالوعد ، فطلب مهلة ليسافر لرؤية أهله ، فضمنه عند أحد الوزراء .

ولـكن الرجل تأخر لسبب ما ، فأخذ الملك الوزير لتنفيذ الحكم فيه .

ولما وضع الجلاد الحبل فى عنق الوزير ، رؤى الرجل آتياً يجرى بكل سرعة حتى وصل حيث يقف الجلاد ، فرفع الحبل من عنق الوزير ووضعه فى عنق نفسه ، وفاء بوعده .

فدهش الملك ، وعفا عنه ، لوفائه بوعده .

العدل والإنصاف

العدل وضع الشىء فى محله ، وإيصال الحق إلى مستحقه ، وهو ميزان الله تعالى فى الأرض يأخذ به الضعيف حقه من القوى ، والمحق من المبطل ، وبه قوام الدنيا والدين ، وسبب صلاح المخلوقين ، وبه تتآلف القلوب ، وتلتئم الشعوب ، ويشمل الناس التناصف ، ويضمهم التواصل والتعاطف ، وبه تعمر البلاد ، وتسعد العباد، وتؤمن السبل، وتدر الخيرات والأرزاق ، ويعم الصلاح للخاصة والعامة .

وماقامت به أمة من الأمم ، وجعلته فى موارد أفعالها ومصادرها إلا وكانت فى مقدمة الأمم عمراناً ، وأكثرها حضارةً ومدنيةً ، وما حادت عنه إلا وكان الخراب رائدها ، والضعف قائدها بذلك قضى العقل وحكم الله ، وجرى العمل فى الأمم من أول نشأتها للآن .

والعدل قسمان : عدل الفرد ، وعدل المجتمع أو الحكومة .

وانتكلم على القسم الأول فقط الخاص بالأفراد فنقول :

العدل الذى يتصف به الفرد يكون بإعطاء كل ذى حق حقه ، لا أكثر ولا أقل : فالبائع الذى يكيل للمشترى أقل مما اتفقا عليه ظالم ، والذى يسرق مال غيره و يمنعه حقه ظالم وهكذا .

ومما يحمل الإنسان على الظلم التحيز بالميل لأحد المتساويين ، ميلا يجعله يعطيه أكثر من حقه لأجل حب أو منفعه شخصية أو مظهر خارجى ، كفصاحة قول ، وأدب فى الحديث ، أو بلاغة فى العبارة تحدث تأثيراً على المستمع ؛ أو غير ذلك ،والذى يساعد على العدل هو عدم التحيز واتساع النظر بفهم الأمور على وجهها اللائق و إدراك الحقيقة .

فان كنت محكّما — والياً أوقاضياً مثلاً — فالعدل أساس حكمك الذى لا يتزعزع ؛ لأنه يرضى السواد الأعظم ممن هم تحت سلطتك و يحببهم إليك ، و يرغبهم فيك ، و يحملهم على الطاعة لأوامرك ، والاستكانة تحت إمرتك ، فتنام قرير العين ، مستريح الضمير ، آمنا القلاقل والفتن والدسائس ، و يبقى مركزك ثابتاً لا تزعزعه العوامل الخارجيه .

و إذا كنت رئيساً — كمدير عمل — مثلاً — فالعدل أيضاً يثبت رئاستك ؛ لأنك إذا لم تعامل مرؤوسيك بالعدل ، حاولوا أن يعصوك أو يشوشوا نظام عملك ، لكى يلقوا تبعة الخلل عليك

وإذا جرت عليهم توقفوا عن مساعدتك فى المواقف الحرجة ، بدعوى أن مساعدتك ليست واجبة عليهم ، وقد ظلمتهم ؛ بل ربما يتألبون عليك أو يدسون لك الدسائس.

فبالعدل تكسب حبهم لك فيقضون كثيراً من واجباتك فى أوقات تكاثرها ، ويؤيدون مركزك .

وإذا كنت موظفاً كبيراً ، فبالعدل تكتسب إخلاص مستخدميك وغيرتهم على مصلحتك ، فاذا ظلمتهم خانوك وأهملوا أمرك عند حاجتك إليهم ، وتجنب بعضهم أن يعملوا تحت إمرتك وإشرافك .

وكذلك إذا كنت سيداً أو صاحب سلطة أو سيطرة مهما كان نوعها ، فعليك أن تعامل الذين هم تحت سلطتك بالعدل لتكتسب طاعتهم وغيرتهم وأمانتهم ومحبتهم .

والعدل يقضى بأن تكافئهم على أتعابهم حسب استحقاقهم ، وألا تفرض عليهم من الواجبات أكثر مما يستطيعونه ، أو مما تكافئهم عليه ، وأن تحافظ على مراكزهم ، وتحترمهم ، ولا تكلفهم غير واجباتهم ولا تقيد حريتهم إلا فيما له مساس بالقانون والخروج على النظام العام وهم إذا صادفوا منك هذه المعاملة العادلة ، والتصرف الحسن ، قاموا بواجباتهم خير قيام ، واستتب الأمن والنظام .

ذكر ما قيل فى العدل والإنصاف

الآيات القرآنية

قال الله تعالى : إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ .

وقال جل شأنه : وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ فَاحْكُمُوا بِالْعَدْلِ .

وقال عز وجل : وَإِنْ حَكَمْتَ فَاحْكُمْ بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ .

وقال سبحانه وتعالى : يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ .

وقال فى آية أخرى : يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَنْ لَا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ .

وقال تعالى : أَوْفُوا الْكَيْلَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُخْسِرِينَ وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ .

وقال تعالى : وَأَوْفُوا الْكَيْلَ إِذَا كِلْتُمْ وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا .

وقال تعالى : وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى .

وقال تعالى : يَا دَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُمْ بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ .

وقال تعالى : وَيْلٌ لِلْمُطَفِّفِينَ الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ .

الأحاديث

قال عليه عليه الصلاة والسلام : التاجر الأمين الصدوق المسلم ، مع الشهداء يوم القيامة .

وقال ﷺ : التاجر الصدوق الأمين ، مع النبيين والصديقين والشهداء

أقوال الخلفاء والصحابة والعلماء والأدباء

قال أبو بكر الصديق رضى الله عنه لبعض عماله : عليكم بالعدل ، وتباعدوا عن الجور ، ولا تغدروا إن عاهدتم ، ولا تنقضوا إن صالحتم .

وقال على بن أبى طالب كرم الله وجهه : العدل صورة واحدة ، والظلم صور كثيرة ، ولهذا سهل ارتكاب الجرائم ، وصعب تحرى العدل .

وكتب عمر بن عبد العزيز إلى عامل له : إذا دعتك قدرتك إلى ظلم الناس فاذكر قدرة الله عليك .

وسأل الإسكندر أحد حكماء أهل بابل (أرسطاطاليس) : أيما أبلغ عندكم الشجاعة أم العدل ؟

فأجاب : إذا استعملنا العدل استغنينا عن الشجاعة .

وقال بعض الحكماء : بالعدل والإنصاف ، تكون مدة الائتلاف .

وقال بعض الفضلاء : إن العدل ميزان الله الذى وضعه للخلق ، ونصبه للحق ، فلا تخالفه فى ميزانه ، ولا تعارضه فى سلطانه .

وقال أحد الشعراء :

« العدل فى جسم الولاة جواهر لو مات جسم فالجواهر باقيه »

وقال آخر :

« العدل روح به تحيا البلاد كما دمارها أبداً بالجور ينحتم »

وقال آخر :

« وما من يد إلّا يد الله فوقها ولا ظالم إلّا سيبلى بظالم »

وقال آخر:

« راعوا العدالة ياقضاة بحكمكم فالعدل أشرف خطة الإنسان »

«إن تحكموا بالعدل تلقوا راحة وعلى الأسرّة ترقدوا بأمان »

وكتب ، إلى عمر بن عبد العزيز ، بعض عماله يستأذنه فى تحصين مدينة ، فكتب إليه : حصنها بالعدل ، ونق طرقها من الظلم .

قال عبد الله بن طاهر يوماً لأبيه : كم تبقى هذه الدولة فينا ، وتدوم فى بيتنا ؟

قال : مادام بساط العدل والإنصاف مبسوطاً فى هذا الإيوان .

وقال عمرو بن العاص : لاسلطان إلّا برجال ، ولا رجال إلا بمال ، ولا مال إلّا بعمارة ، ولا عمارة إلّا بعدل .

عدل القاضى أبى حازم

قال أبو الحسن عبد الواحد الحصيبى : حضرت القاضى أبا حازم وقد جاءه طريف المخلدى من أمير المؤمنين (المعتضد بالله) وقال : يقول لك أمير المؤمنين ، لنا على فلان البيّع مال ، وقد بلغنا أن غرماءه أثبتوا عندك إفلاسه ، وقد قسطت لهم ماله ، فاجعلنا كأحدهم وقسط لنا .

فقال أبو حازم : قل له ، أطال الله بقاءه ، أذاكر لما قال لى وقت أن قلدنى القضاء ، قد أخرجت الأمر من عنقى وجعلته فى عنقك ؟ ولا يجوز أن أحكم فى مال رجل لمدع إلّا ببينة .

فرجع طريف وأخبره ، فقال له : قل له فلان وفلان يشهدان ، يعنى رجلين جليلين من أعيان الدولة كانا فى ذلك الوقت .

فقال : يشهدان عندى وأسأل عنهما ، فإن زكيا قبلت شهادتهما و إلا أمضيت ماثبت عندى

فامتنع أولئك من الشهادة فزعاً ألا يقبل قولهما ، ولم يدفع للمعتضد شيئاً .

فهكذا يكون القضاء السديد «العقد الفريد»

عدل اسماعيل القاضى

قال الدار قطنى : سمعت عبـــد الرحيم بن القاضى إسماعيل بن اسحاق يقول : كان فى حجر أبى يتيم فبلغ ، وله أم وأختها فى دار الخليفة (المعتضد بالله) فقالت أم اليتيم لأختها : كلمى أمير المؤمنين حتى يرفع اسماعيل القاضى الحجر عن ولدى . فكلمته ، فدعا المعتضد عبيـد الله بن سليمان بن وهب وزيره وقال له : قل لإسماعيل القاضى يفك الحجر عن فلان .

فقال له الوزير : إن أمير المؤمنين يأمرك أن ترفع الحجر عن فلان .

فقال القاضى : حتى أسأل عنه ، وقام فسأل عنه فلم يخبر عنه برشد فتركه

ومضت على ذلك أيام ، فرجعت والدة الصبي إلى أختها وسألتها أن تعاود أمير المؤمنين ، وكان المعتضد لا يعاود لخشونته ، فعاودته ، فقال : أليس قد أمرت ؟ فقالت لم يرفع عنه بعد . فدعا وزيره عبيد الله ثانياً وقال : أمرتك أن تأمر اسماعيل القاضي بأن يرفع الحجر عن فلان فقال : قد كنت قلت له عن ذلك ، فقال حتى أسأل عنه .

فقال : قل له يرفع الحجر عنه ، فدعاه الوزير ثانيا وقال له : أمير المؤمنين يأمرك أن ترفع الحجر عن فلان ، فأطرق القاضي ساعة ثم استدعى دواة وورقة وكتب شيئاً وختمه .

فاستعظم الوزير أن يختم عنه كتاباً ولم يقل له شيئاً لمحل اسماعيل من الورع والعلم ثم دفع ذلك للوزير وقال له : توصل هذا إلى أمير المؤمنين فإنه جوابه .

فأخذه الوزير ودخل على المعتضد وقال : زعم أن هذا جواب أمير المؤمنين .

ففتح المعتضد الكتاب وقرأه وألقاه وقال لا تعاوده فى هذا .

فأخذ عبيد الله الوزير الكتاب وإذا فيه :

بسم الله الرحمن الرحيم : « يَادَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُمْ بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ »

« العقد الفريد »

وهناك فى الجزء الثانى من السمير حكايات كثيرة عن عدل الملوك وحب
رعيتهم له .

قدس العدل

فى أيام حكم (فريدريك الأكبر) ملك (بروسيا) كان على مقربة من
قصر (سان سوسى) الذى يقيم فيه الملك ، طاحون تحجب مناظر الطبيعة عن
بعض نوافذ القصر .

ولما رأى الملك أن هذه الطاحون تحول دون أن يستكمل القصر بهاءه
ورونقه سأل صاحبها عما يطلبه ثمناً لها .

فأجاب الطحان البروسى : أنه لا ينزل عنها بأى ثمن .

فكان هذا الجواب الجافى باعثاً لأن يأمر الملك بهدمها على الفور .

وعند مابدئ بتنفيذ ذلك ، قال الطحان : يستطيع الملك أن يفعل هذا ،
غير أن فى (بروسيا) قانوناً سيعلم نبأه بعد حين

ولما رفع أمره للقضاء حكم على الملك بأن يعيد على نفقته بناء الطاحون كما
كانت ، ويؤدى لصاحبه مبلغا كبيراً من المال على سبيل التعويض .

كان هذا الحكم — وان جرح عزة الملك — مدعاةً لمفاخرته بأن يرى فى
(بروسيا) قانوناً عادلاً يسهر على تنفيذه قضاة أشداء فى الحق يقيمون حدوده
حتى على الملك .

وبعد سنوات عديدة آل ملك الطاحون إلى أحد ورثة ذلك الطحان .

ولما وجد نفسه فى ضائقة مالية لا يمكنه احتمالها كتب لملك (بروسيا) فى ذلك الحين يذكره بما كان من أمر جده الطحان السابق مع «فريدريك الأكبر» ويعرض عليه — لما هو فيه من ضنك وشدة — نزوله عن الطاحون إذا رغب جلالته فى ذلك مقابل مبلغ من المال .

ولكن الملك أرسل إليه فى الحال رداً بخط يده يقول فيه :

جارى العزيز — لا يمكننى أن أسمح لك ببيع هذه الطاحون التى يجب أن تبقى فى حوز أسرتك إلى ماشاء الله ، لأن مبانيها أضحت ملكاً لتاريخ (بروسيا) ، ويجب أن تظل قائمة تذكاراً لعدالة قضاتنا وعدم تحيزهم فى تنفيذ القانون ، وإنه ليسوءنى أن أسمع أنك فى ضائقة مالية ، ولهذا أبعث إليك بستة آلاف ريال لتؤدى منها ديونك راجياً أن تفى بكل حاجتك ، وأرجو أن تعتبرنى جارك المحب .

« فريدريك ولهيم »

ولا تزال هذه الطاحون قائمة إلى اليوم رمزاً لعظمة القضاء وشرف القضاة

«التربية بالقصص»

العدالة المطلقة

كان البقال من « أزمير » ولد، وصل بعلمه إلى مركز نائب قاض فى المدينة ، وكان عمله الرئيسى ينحصر فى تفقد حال الأسواق المختلفة فى الموازين والمكاييل التى يستعملها البائعون ، فاتفق له أن مرّ بمتاجر الحى الذى يبيع فيه والده ، ولما علم التجار أن التفتيش يجرى فى هذا اليوم ، وكانوا يعرفون أن والد المفتش يعامل الناس بموازين ومكاييل غير رسمية ، وجهوا نظره إلى الاحتياط فى إخفائها وإظهار الموازين والمكاييل (المدموغة) ولكنه تلقى نصيحتهم بهز الكتف ، ووقف أمام متجره باطمئنان وهدوء منتظراً وصول ابنه .

جاء المفتش ولديه من الدواعى الكثيرة ماحتم عليه أن يبحث أساليب والده فى الغش ويكشف عنها للناس ، ليكون ذلك لهم عظة وعبرة .

ولما وقف بباب متجر والده وطلب منه احضار موازينه ومكاييله ليتحصها لم يحفل البقال بهذا الطلب وجعل يبتسم ، ولكنه اعتدل على صوت الأمر الجدى الذى ألقاه ابنه للضباط المرافقين له، إذ دخلوا وفتشوا حتى أظهروا الموازين والمكاييل التى اتضح بعد الفحص الدقيق أنها مغشوشة ، فأمر المفتش فى الحال بكسرها .

وقف البقال مبهوتاً ، وظن أن الأمر انتهى عند هذا الحد ، وأن ابنه لن يتمادى فى تطبيق القانون وتوقيع الجزاءات الأخرى التى من شأنها أن تفضحه فضيحة علنية

على أنه كان خاطئا فى ظنه ؛ لأن ابنه أمر بالعقوبة كما لو كان المجرم رجلا غريباً عنه ، فحكم بتغريمه خمسين قرشا ، و بجلده عدداً معيناً من الجلدات ، وقد نفذ الحكم فى الحال .

بعد ذلك نزل المفتش عن صهوة جواده وترامى على قدمى والده وقال له .

ياوالدى لقد أديت واجبى لله ، ولمليكى ، و بلادى ، ومركزى فاسمح لى الآن أن أتكلم معك فى احترام الابن وخضوعه المفروض عليه لأبيه .

فالعدالة عمياء ، لاتفرق فى التطبيق بين قريب وغريب ، وفرض الله ، وحقوق المواطنين تجل عن أن تتأثر بالروابط الطبيعية .

وأنت قد خرجت على القوانين ، فكنت أهلاً أن ينالك عقابها ، ولو لم تتلق هذا الجزاء على يد ابنك لوجب أن تقع تحت طائله على يد أى إنسان آخر . و إنى آسف على أن يكون مقدوراً لك ألاّ تتلقى النصيحة إلاّ منى ، على أن ضميرى لم يرض لى أن أفعل إلاّ ما فعلت . فاسلك فى المستقبل طريقاً أشرف ، و بدلاً من أن تحقد علىّ أرجو أن تعذرنى وتقدر أحوالى .

وبعد ذلك تسنم صهوة جواده ، وسار فى وسط هتاف الهاتفين وإعجاب المعجبين من جميع الأهالى .

ولم يكن هذا التشجيع والاحترام هو كل ما كوفئ به على عدالته ، بل ظهر فى صورة أخرى إذ رقاه السلطان بعد معرفة التفاصيل إلى وظيفة قاض ، ثم ترقى منها إلى وظيفة مفت ، وبقى فيها حارساً للقوانين وتطبيقها فى جميع المملكة «التربية بالقصص»

الحلم

الحلم هو كظم الغيظ ، والسكون عند ثورة الغضب ، حال وجود مايدعو إليه ، وترك الانتقام مع القدرة ، ودفع السيئة بالحسنة ، وهو من دلائل العقل ، وشجاعة القلب ، والرجل الحليم حقاً هو الذى لا يضطرب ، ولا يسلم نفسه لشهوة الغضب فى معاملاته مع الناس ، وعند وقوع حادث لم يكن له فى حسبان ، ولو علم الشبان الذين يغضبون من أدنى الأمور وأوهى الأسباب ، أن الحلم سيد الأخلاق ، وأنه يكمل صاحبه بجميل الخصال ، ويحببه إلى الله تعالى ، ويرفع قدره عند الناس ، لما عرفوا للغضب سبيلا ، ولا سلكوا له طريقاً .

ذكر ما قيل فى الحلم

قال الله تعالى : وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ .

وقال عز وجل : خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ .

وقال تعالى : وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴾ .

وقال عليه الصلاة والسلام : ليس الشديد بالصرعة (الذى يصرع غيره ويغلبه) إنما الشديد من يملك نفسه عند الغضب .

وجاء فى الأثر : كاد الحليم أن يكون نبياً .

وروى أن رجلاً أتى النبى ﷺ فقال له : أوصنى . قال : لا تغضب . فردد مراراً . قال : لا تغضب .

وقال علىّ كرم الله وجهه : أول ما يعوّض الحليم عن حلمه أن الناس أنصاره .

وقال معاوية لابنه يزيد : عليك بالحلم والاحتمال ، حتى تمكنك الفرصة ، فإذا أمكنتك ، فعليك بالصفح ، فإنه يدفع عنك معضلات الأمور ، ويقيك مصارع المحذور .

وقال أيضاً : أفضل ما أعطى الرجل الحلم .

وقال أيضاً : ما وجدت لذة عندى ألذ من غيظ أتجرعه ، وسفه بحلم أقمعه .

وكان الأحنف بن قيس مشهوراً بين الناس بالحلم وبذلك ساد عشيرته فقيل له :

ممن تعلمت الحلم ؟ فقال : من قيس بن عاصم ، كنا نختلف إليه فى الحلم كما يختلف إلى الفقهاء فى الفقه ، ولقد حضرت عنده يوماً وقد أتوه بأخ له قد قتل ابنه فجاءوا به مكتوفاً .

فقال : ذعرتم (أخفتم) أخى أطلقوه ، واحملوا إلى أم ولدى ديته فإنها ليست من قومنا ثم أنشد :

« أقول للنفس تصبيراً وتعزيةً إحدى يدىّ أصابتنى ولم تُرِد »
« كلاهما خَلَفٌ من فقد صاحبه هذا أخى حين أدعوه وذا ولدى »

وقال بعض الحكماء : احتمال السفيه خير من التحلى بصورته ، والإغضاء عن الجاهل خير من مشاكلته .

وقال بعض الأدباء : من غرس شجرة الحلم ، اجتنى ثمرة السلم .

وقال بعض العلماء : ثلاثة لا يعرفون إلاّ فى ثلاثة مواطن : لا يعرف الجواد إلاّ فى العسرة ، والشجاع إلاّ فى الحرب ، والحليم إلاّ فى الغضب .

وقال أحد الشعراء :

« أطع الحليم إذا الحليم نهاكا ... إن الحليم إذا ضللت هداكا »
« وإذا استشارك من تود فقل له ... أطع الحليم إذا الحليم نهاكا »
« واعلم بأنك لن تسود ولن ترى ... سبل الرشاد إذا أطعت هواكا »

وقال آخر :

« والحلم من أسمى صفات الدين ... جاءت به الآيات فى التبيين »
« وحسبه منقبةً وشرفا ... قول الإله للحبيب المصطفى »
« لو كنت فظاً أو غليظ القلب ... لانفض من حولك كل الصحب »
« والحلم قالوا : سيد الأخلاق ... لأنه أدفع للشقاق »
« فقابل العدوّ بالحلم ترى ... خصمك يأتى نادماً معتذرا »

وقال غيره :

« ألا إن حلم المرء أكرم نسبة ... تسامى بها عند الفخار حليم »
« فيارب هب لى منك حلماً فإننى ... أرى الحلم لم يندم عليه كريم »

مثال الحلم

حكى أن وزيراً أراد أن ينصح لأحد الملوك أن يتجنب الخمر ، فعز ذلك على الملك ، وأراد أن ينتقم من الوزير ، فأخذ يشرب حتى ثمل ، ثم قال للوزير : سأريك إن كان للخمر تأثير فى قواى العقلية ، ثم أمر بابن الوزير

أن يجلس على مرمى سهم ، ثم رمى السهم من القوس فأصابه فى قلبه فأرداه ، والوزير يرى ذلك المنظر الهائل ، فتجلد وقال الملك :

إن فعلك أيها الملك يدل على أنه لا مثيل لك فى الرماية .

وهـذا مثل عال من أمثـلة الحلم ، حيث ضبط الوزير نفسه ، وملك عواطفه ، ولو أظهر أى غضب أو استياء لثنى الملك به وأهل بيته أجمعين .

وقيـل : إن ملـكا سمع اثنين من حراسه يذمانه من وراء خيمته ، فرفع الستار وقال لهما : تنحيا قليلاً خشية أن يسمع الملك حِوَارَكُمَا (محاورتـكما) .

مثال آخر

تقامر الملك (كاسيمير) الثـانى مع رجل من سراة (بولندا) فربح منه كل ماله ، حتى غلب اليأس والغـيظ على الرجل ، فتـطاول على الملك قولاً وفعـلاً ، وفرّ من قصره هاربا ، فأمسكه الحراس وردُّوه إلى حضرة الملك ، وهو جالس ينتظره فى صدر حاشيته ورجال بلاطه .

فلما وقف أمامه قال الملك لقومه : إن هذا الرجل أقل منى ذنباً فانى خفضت مقامى حتى قامرته ، وحملته على ارتـكاب هذا الذنب .

ثم قال للرجل : أرى أنك تائب فـكفى ، خذ ما ربحته منك وانصرف وكفّ عن المقامرة كما كففت عنها .

مثال آخر

كان الأحنف بن قيس مشهوراً بالحلم ، حدثت بينه و بين رجل آخر مشاجرة .

فقال له ذلك الرجل : لو قلت لى كلمة لسمعت عشر كلمات .

قال له الأحنف : وأنت لو قلت لى عشر كلمات لا تسمع منى كلمة. وهناك أمثلة كثيرة فى الجزء الثانى من السمير عن الحلم .

ضبط النفس

ضبط النفس هو الاعتدال فى الميل إلى اللذات وخضوعه لحكم العقل ، وليس ذلك مقصوراً على اللذات الجسمية ، بل يشمل أيضاً اللذات النفسية ، كالانفعالات ، والعواطف .

فلا يسمى الشخص ضابطاً لنفسه إلاّ إذا اعتدل فى لذاته الجسمية من مأكل ونحوه ، واعتدل أيضاً فى انفعالاته النفسية ، فلم يغضب لأى داع ، ولم يندفع فى السير وراء عواطفه ، كأن يحن حنيناً شديداً إلى وطنه إذا نزح عنه ، أو يفرط فى حزن لفقد عزيز عليه .

وكثير من الرذائل يرجع سببه إلى عدم القدرة على ضبط النفس .

ألا ترى أن الشراهة ، والدّعارة ، والطمع ، والإسراف ، والغضب ، والسخط ، والثرثرة ، والإدمان على السكر ، إنما هى تماد فى هذه الخلال ، واندفاع وراء العواطف والأهواء ، لا وراء حكم العقل .

فإذا تمسك الإنسان بفضيلة ضبط النفس ، كان سيداً لنفسه لا عبداً لشهوات تسيره كما تشاء .

وأهم الوسائل لضبط النفس هى :

١ — عدم الاسترسال فى الشهوات الجسدية ، فهى شر ما يفسد حياة الإنسان ، و يضعف روحانيته ، و يسوقه إلى أسوأ السبل . ومن ثم يجب عليه أن يتباعد عما يغريه و يحرضه على العمل ، بألا يجالس المستهترين الذين لا يتحرجون من قول الهجر والحض عليه ، ولا يغشى أماكن اللهو غير محتشم ، لا سيما فى سن الفتوة بين الخامسة عشرة والخامسة والعشرين ، إبّان نموّ الشهوات وتيسر الشرور . و يجب أن يصحب من قويت شخصيتهم ، ونظف لسانهم ، وطهرت روحهم ، وأن يعنى بما يوضع فى يده من كتب ، وما يشاهد من تمثيل ، وما يغشى من مجتمعات ، وإلا كان عرضةً للتحول .

وأكثر من ساءت حالهم ، وفسدت أخلاقهم ، كان فسادهم فى هذا الدور دور الفتوة ، وقل أن يسقط أحد بعد أن ينجو منه .

٢ — عدم الاسترسال فى الفكر ، فلا يهيم فى كل وادٍ ، ويتحول فى كل مجال ، فالفكر إذا حام حول الشرور يوشك أن يقع فيها كما قيل : من حام حول الحمى أوشك أن يقع فيه .

٣ — عدم الاسترسال فى الانقباض والسخط ، لأن بذلك يكدر صفو الحياة ، حتى لقد يخيل إلى بعض الناس المتشائمين الساخطين أن الحياة ما هى إلا سلسلة آلام ونزاع ، وكفاح ، وأن هذا العالم أسوأ ما يكون فيه من الآلام والشرور أكثر مما فيه من اللذائذ .

وقد ثبت بالتجربة أن هذا إنما يكون لدى من ساءت صحتهم ، وضعفت أعصابهم ، وتوالت عليهم كوارث الزمان ، فتظلم الدنيا فى أعينهم ، ولا يرون فى الحياة إلا ما يؤلم .

ولا شك فى أن هؤلاء الساخطين قد قصرت مشاعرهم عن درك ما فى العالم من لذات ، فما مثلهم إلا كمثل المحموم يدرك طعم العسل مرًّا ؛ إذ ليس أحد يجهل أن الدنيا قد مُلئت بما يسر ، وما يؤلم ، ولولا سوء النظم الاجتماعية ، وفساد التربية ، لكان الناس جميعهم سعداء .

امتلاك النفس حين الغضب

مذموم أن يكون الإنسان سريع الغضب يخرج عن عقله للكلمة الصغيرة ، والسبب الحقير ، والحادث التافة ، ولكن ليس كل الغضب مذموماً ، فهناك أحوال يمدح فيها ، وهو الغضب للحق ، وللخدمة العامة ؛ ألا ترى أنك إذ نظرت إلى شخص يعذب حيواناً صغيراً لم يجن جناية ، أو ضعيفاً لا يستحق أن يعذب ، أو إلى شخص يحرم أولاده من الغذاء ، وهو يتمتع بالأكل والشرب والهناء ، فمن الحق عليك أن تغضب لمثل هذا ، كما أنه من الواجب عليك أن تغضب إذا أهنت فى شرفك ، أو ثُلمت « جُرحت » فى عرضك ، لتدرأ عن نفسك الظلم .

وأكثر ما يدفع الإنسان إلى الغضب أثرته ، وحبه الشديد لنفسه وكثرة التفكير فى حقوقه ، فيتخيل إذا سمع كلمة من أحد أنها احتقار له ، ونيل من شرفه وقدره ، وكثيراً ما يستسلم لغضبه ، فلا يعى ما يقول ولا يعقل ما يفعل ، ويظن أنه بذلك يظهر بمظهر المحترم لنفسه المحافظ على كرامتها ، وهو إنما يظهر بمظهر الطائش الأحمق .

والإنسان فى غضبه حاكم غير منصف ، يبالغ فى الشىء فلا يزنه بميزان الحكمة والاعتدال ؛ بل يضع على عينيه منظاراً مكبراً (مجهراً) يريه الأشياء فوق حجمها الطبيعى ، ويشوه محاسنها ، فلا يرى فيها إلاّ مايغضبه ، ولذلك تراه يحكم حتى على أعز الناس عليه أحكاماً قاسيةً .

فالواجب أن يتريث، ويعمل الفكر والروية، ويسأل نفسه، ويراجعها قبل أن يبت فى أمره، هل هو محق فى غضبه؟ أو ليس لما عمل أو قيل محمل حسن؟ هل الشىء يغضب حقيقة بالصورة التى رآها؟ فربما يكون لما قد حصل أو قيل محمل حسن، ولعله عمل بحسن نية وإخلاص، لا بقصد الضرر والإساءة.

كما أنه يراجع هفوات المسىء، ويقدرها بجانب حسناته، وما أسداه من المعروف إليه.

والخلاصة، يجب عدم الاستسلام للغضب، وتسليم زمام الانفعالات للعقل، وتملك النفس حين الغضب حتى تسلم من شره.

العفو بعد الغضب

غضب أنو شروان على وزيره فسجنه وصفّده بالحديد، وألبسه الخشن من الصوف، وأمر ألاّ يعطى من القوت إلا القليل من الخبز والملح والماء، وأن تقيد ألفاظه حتى يطلع عليها، فأقام الوزير أشهراً لم يسمع له لفظ واحد، فوجَّه إليه الملك قوماً ينظرون فى أمره. فقالوا له: أيها الوزير، نراك فيما نراك من الشدة والضيق، وأنت كما كنت لم يتغير حالك فما شأنك؟

قال : إنى استعنت على أمرى بستة أشياء : (١) الثقة بالله تعالى (٢) وعلى أن كل مقدر واقع (٣) وبالصبر الجميل (٤) ومعرفتى أنى إن لم أصبر أكن قد أعنت على نفسى بالجزع (٥) وأنى ربما أكون فى شر أصعب من هذا (٦) وما بين ساعة وأخرى يأتى الله بالفرج القريب .

فلما قالوا مقالته لأنوشروان ، زال غضبه عليه ، وعفا عنه ، ورده إلى عمله وأحسن إليه . « ثمار الإنشاء »

المأمون والفضل بن الربيع

قال المأمون للفضل بن الربيع لما ظفر به : يافضل ، أكان من حقى عليك ، وحق آبائى ونعمهم عند أبيك وعندك أن تثلبنى (تعيبنى) وتسبنى ، وتحرض على دمى ؟ أتحب أن أفعل بك ما فعلته بى ؟

فقال : ياأمير المؤمنين ، إن عذرى يُحقدك إذا كان واضحاً جميلاً فكيف إذا أخفته العيوب ، وقبحته الذنوب، فلا يضيق عنى من عفوك ماوسع غيرى منك ، فأنت كما قال فيك الشاعر الحسن بن رجاء :

صفوح عن الإجرام حتى كأنه من العفو لم يعرف من الناس مجرما

وليس يبالى أن يكون به الأذى إذا ما الأذى لم يغش بالكره مسلما

« معراج البيان »

كبح جماح الشهوات

النفس كالفرس الجموح ، إذا ضبطها راكبها وكبح جماحها وجهها حيث شاء ، وإذا لم يقدر عليها أوردته موارد التهلكة .

فلا تجعل الغلبة لنفسك عليك ، إنك إن فعلت ذلك كنت ضعيف القوة ، ضعيف الإرادة يستعبدك هواك ، فلا تستطيع أن تقمع شهواتك .

ترتكب وقت جذلك (فرحك) ما تحرمه الشرائع وتُقْدِم وقت غضبك على ما يكون فيه حتفك (موتك) .

وليس الشجاع من يفتح البلد الحصين ، بل هو من يقدر على مجاهدة نفسه ، وقمعها عن الهوى .

كان الاسكندر فاتحاً عظيماً ، غزا بلاد العجم ومصر ، وتغلب على أهلها ، ولكنه لم يتغلب قط على نفسه ، فرمى صاحباً عزيزاً له ساعة غضبه فقتله ، ثم وجم (حزن) عليه حتى قضى نحبه (مات) .

وكان إذ ذاك فى بلاد الهند عالم محقق درس الحياة وخبرها ، ألقى على تلاميذه درساً هو الحكمة الغالية ، والعظة البالغة ، فقال :

لو حالف النصر رجلاً فى غزواته ألف مرة ، وتغلب فى كل مرة على عشرة آلاف رجل ، وتغلب رجل آخر على نفسه مرةً واحدةً ، لكان الذى غزا نفسه فتغلب عليها أحق بالمدح ، وأولى بالتكريم .

وفى ذلك قال الله تعالى : « وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِيَ ٱلْمَأْوَىٰ » :

وقال الأبوصيرى صاحب البردة المشهورة :

وخالف النفس والشيطان واعصهما   وإن هما محّضاك النصح فاتّهم

فإذا طوّحت بك النفس إلى وادى الشهوات ، وأمرتك بالانغماس فى الموبقات ، فخالفها ، أو مالت بك نحوها فاثن زمامها ، واكبح جماحها ، كى تكون كرامتك موفورة ، وأموالك مصونة ، وصحتك محفوظة .

صيانة اللسان

خلق الله الإنسان ، وميزه على سائر الحيوان بالعقل واللسان .

واللسان عضو صغير موضوع فى الفم لتمييز الأغذية ، وترجمان للكلام ، إذ به يعبّر الإنسان عما فى ضميره ، وعما يحيط به .

فهو عدة التفاهم والتخاطب مع الغير ، وهو مقياس تقاس به درجة فضل الإنسان ، وبه تقدر مقدار معارفه وأفكاره ، وهو محك تعرف به آدابه وأخلاقه ، من حلم ، وغضب ، ورقة ، وخشونة ، وكمال ، ونقص .

فالواجب على كل إنسان أن يضبط لسانه حتى لا ينطق إلاّ بما يرضاه العقل السليم ، وليجعل لسانه لسان صدق فى القول ، ولطف فى المعاملة ،

وليحفظه من سيئ الأحاديث ، لأن بذىء اللسان دائماً مكروه ، أما حلو الحديث فهو دائماً محبوب .

ومن مكارم الأخلاق ، صيانة اللسان عن الكلام فيما لا يعنى ، والخوض فى الباطل والمراء ، والخصومة ، والتشدق ، والمزاح الذى يتعدى الحشمة ، والاستهزاء ، وإفشاء السر ، والكذب فى القول ، والغيبة والنميمة ، والحلف ، وخلف الوعد ، إلى غير ذلك من عثرات اللسان ، ومهلكات الإنسان ، فكم من أشخاص ألقوا فى غياهب السجون لكلمة خرجت من فيهم ، مغايرة للأدب ، أو مخالفة للقانون ، وكم من كلمة أثارت غضباً وسخطاً ، وأسالت دماء ، وجرت ذلاً وعناء ، وبدلت حالة الإنسان من هناء إلى شقاء .

ذكر ما قيل فى صيانة اللسان وحسن الكلام

قال الله تعالى : « يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ » .

وقال تعالى : « وَهُدُوا إِلَى الطَّيِّبِ مِنَ الْقَوْلِ وَهُدُوا إِلَى صِرَاطِ الْحَمِيدِ »

وقال تعالى : « مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلاَّ لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ » .

وقال ﷺ : رحم الله عبداً قال خيراً فغنم ، أو سكت فسلم .

وقال عليه الصلاة والسلام : المسلم من سلم المسلمون من لسانه و يده .

وقال عليه الصلاة والسلام : من حسن إسلام المرء ، تركه ما لا يعنيه .

وقال عليه الصلاة والسلام : لا يبلغ المرء حقيقة الإيمان حتى يخزن لسانه.

أى لا يصل المرء إلى الإيمان الكامل ، و يتصف به على الحقيقة إلا إذا صان لسانه ، ولم يتكلم إلا بما فيه رضا الله ، وخير نفسه ، وذوى عشيرته .

قال معاذ بن جبل : قلت يا رسول الله أنؤاخذ بما نقول ؟

فقال : ثكلتك أمك يا معاذ بن جبل ، وهل يكبّ الناس فى النار على مناخرهم إلا حصائد ألسنتهم ؟

وروى أن معاذاً قال : يا رسول الله أى الأعمال أفضل ؟

فأخرج رسول الله ﷺ لسانه ، ثم وضع عليه أصبعه .

وقال أنس بن مالك : قال ﷺ : لا يستقيم إيمان العبد حتى يستقيم قلبه ، ولا يستقيم قلبه حتى يستقيم لسانه .

وقال عبد الله الثقفى : قلت يا رسول الله حدثنى بأمر أعتصم به .

فقال : قل ربّى الله ، ثم استقم .

قلت : يا رسول الله ، ما أخوف ما يخاف علىّ ؟ فأخذ لسانه وقال : هذا

وعن سعيد بن جبير قال : قال رسول الله ﷺ : إذا أصبح ابن آدم أصبحت الأعضاء كلها تذكر اللسان ؛ أى تقول . اتق الله فينا ، فإنك إن استقمت استقمنا ، و إن اعوججت اعوججنا .

وروى : أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، رأى أبا بكر الصديق رضى الله عنه ، وهو يمد لسانه بيده فقال له : ما تصنع يا خليفة رسول الله ؟

قال : هذا أوردنى الموارد ، إن رسول الله ﷺ قال : ليس شىء من الجسد إلا يشكو إلى الله ، اللسان على حدته .

وقال علىّ كرم الله وجهه : احسبوا كلامكم من أعمالكم ، وأقلوه إلاّ فى الخير .

وقال أيضاً : اللسان معيار أطاشه الجهل وأرجحه العقل .

وقال أحد الحكماء : اعقل لسانك إلا عن حق توضحه ، أو باطل تدحضه ، أو حكمة تنشرها ، أو نعمة تذكرها .

وقد قيل : إن اللسان سبع ، إن عقلته حرسك ، وإن أطلقته افترسك فانطق به على قدر ، وكن منه على حذر .

وفى الأمثال : سلامة الإنسان ، فى حفظ اللسان .

وقال لقمان لولده : يا بنى ، إذا افتخر الناس بحسن كلامهم ، فافتخر أنت بحسن صمتك .

وقال بعض البلغاء : احبس لسانك ، قبل أن يطيل حبسك ، أو يتلف نفسك .

وقال أحد الشعراء :

« لسانك احفظه وصن نطقه   واحذر على نفسك من عثرته »

« فالصمت زين ووقار وقد   يؤتى على الإنسان من لفظته »

« من لزم الصمت نجا سالما   لا يندم المرء على سكتته »

وقال صالح بن عبد القدوس :

« وزن الكلام إذا نطقت ولا تكن   ثرثارة فى كل ناد تخطب »

« واحفظ لسانك واحترز من لفظه   فالمرء يسلم باللسان ويعطب »

وقال ابن السكيت :

« يصاب الفتى من عثرة من لسانه   وليس يصاب المرء من عثرة الرجل »

« فعثرته بالقول تذهب رأسه   وعثرته بالرجل تبرا على مهل »

وقال آخر :

« جراحات السنان لها التئام   ولا يلتام ما جرح اللسان »

حكايات وأمثال فى حفظ اللسان

١ — اجتمع قس بن ساعدة وأكثم بن صيفى فقال أحدهما لصاحبه : كم وجدت فى ابن آدم من العيوب ؟

قال : هى أكثر من أن تحصر ، وقد وجدت خصلة واحدة إذا استعملها الإنسان سترت عيوبه .

قال : وما هى ؟ قال : حفظ اللسان .

٢ — أوصى بعض الحكماء ابنه فقال له : يا بنى ، إن من الكلام ، ما هو أشد من الحسام ، وأثقل من الصخر ، وأنفذ من وخز الإبر ، وأمرّ من الصبر ، فصن لسانك عن لغو الكلام

واعلم أن القلوب مزارع فازرع فيها طيب الأحاديث ، فإن لم ينبت فيها كله ، نبت بعضه ، وإن صمتاً تعقبه سلامة ، خير من نطق يسلب كرامة ، من قلّ كلامه ، قلت آثامه ، ومن كثر لغطه ، كثر غلطه ، وإن الرجل لا يزال مهيباً ما دام ساكتاً ، فإذا تكلم زادت مهابته ، أو سقطت رتبته .

٣ — يحكى أن لقمان الحكيم أعطاه سيده شاة ، وأمره أن يذبحها ويأتيه بأخبث ما فيها ، فأتاه بقلبها ولسانها .

ثم أعطاه شاةً أخرى وأمره أن يذبحها ويأتيه بأطيب ما فيها .

فذبحها وأتاه بقلبها ولسانها .

فسأله عن ذلك ، فقال : يا سيدى ، لا أخبث منهما إذا خبثا ، ولا أطيب منهما إذا طابا .

٤ — ذكر ابن خلكان : أن رجلاً كان يجالس الشعبى ، ويطيل الصمت ، فقال له الشعبي يوماً : ألا تتكلم ؟

فقال : أصمتُ فأسلم ، وأسمع فأعلم ، إن حظ المرء فى أذنه له ، وفى لسانه لغيره .

وهناك فى الجزء الأول من السمير حكايات كثيرة فى هذا الموضوع .

حسن المعاملة

الإنسان فى هذه الحياة لا يمكنه أن يقوم وحده بجميع حاجاته ، فهو مفتقر لإخوانه ، مضطر لمعاملتهم ومعاونتهم له ، كما قال الشاعر :

« الناس للناس من بدو ومن حضر   بعض لبعض وإن لم يشعروا خدم »

فمن أراد أن يعيش عيشة هادئة مطمئنة ، محبوباً عند إخوانه ، إذا افتقر مانوه ، وإذا احتاج ساعدوه ، لزمه أن يكون حسن المعاملة معهم ، وقد جاء فى الأثر : الدين المعاملة ، فعلى حسن المعاملة تتوقف حياة الإنسان ، وبمقدار حسن المعاملة يكون مقدار نفعه وفائدته من الغير .

وحسن المعاملة يدل على أخلاق الإنسان الكامنة فيه ، وعلى ذوقه وعواطفه وإحساناته ، كما يدل على الوسط الذى يعيش فيه ، وينتمى إليه .

فالرجل الذى يعامل غيره معاملة حسنة يحبه الناس ، ويلتفون حوله ، ويريدون نفعه ؛ بخلاف الرجل السيئ المعاملة فإنه تكرهه الناس وينفرون منه ، ولا يحبون فائدته ، انظر إلى تجارة بعض الناس تراها كاسدة لا يقبل عليها أحد مع قلة ثمنها وجودة نوعها ، وانظر إلى سلع البعض الآخر تراها رائجة يقبل عليها الناس مع ارتفاع ثمنها ، وربما كانت أقل جودةً من سابقتها ، فما السبب فى ذلك ؟

السبب فى ذلك ، أن الأول جهل طرق حسن المعاملة ، فساء خلقه ، وابتعدت الناس عن معاملته ، فما ربحت تجارته ، وساءت حالته .

أما الثانى فقد عرف كيف يحسن معاملته مع الناس ، فاستجلب مودتهم إليه ، وجذب قلوبهم نحوه ، بما يرونه من حسن أخلاقه ، وجليل صفاته ، يهش للناس ، ويبش فى وجوههم ، ويكرم وفادتهم ، مع لطف وسهولة فى المعاملة ، وأدب فى المجاملة .

فإذا أردت أن تكون محبوباً ، موفقاً فى هذه الحياة ، وجب عليك اتباع طرق حسن المعاملة الآتية :

١ — عامل الناس بالأدب الذى لا يكلفك شيئاً ، بل يكسبك رضاهم عنك ، ويسهل عليك نيل ما يصعب الوصول إليه بالدراهم .

٢ — عامل الناس بالرفق واللين والإخلاص ، فإن الرفق يريح القلوب بأكثر من الإحسان ، والإخلاص أجلّ قدراً من الدرهم ، والكلمة اللينة تكسب سروراً لا تأتيه الهدايا .

٣ — عامل الناس بالبشاشة والرأفة والمحبة ، ولا يكفى أن تحب من تعز بالقول ، ويجب أن تبرهن له على إخلاصك ، وأن تجتنب ما يفرط منك .

٤ — عامل الناس باللطف ، فاللطف فى المعاملة سبيل لنيل كثير من المقاصد ، وفى الواقع أن كثيراً ممن اغتنوا لم ينالوا الثروة إلاّ بحسن معاملتهم ، كما أن كثيراً لم ينجحوا بسبب سوء معاملتهم .

٥ — إن حسن المعاملة توجب عليك ألاّ تكون كثير الاعتكاف عن الناس ، وألا تكون كثير التودد إليهم ، وألا تخشى ظهور إحساساتك مظهراً أجلى البراهين على إخلاصك ، وأن تكون حرّ الفكر ، رقيق الإحساس ، صادق القول والفعل ، وأن تكون شفيقاً ذا قلب سريع التأثر .

٦ — لا تقتصر فى معاملة الناس على ما تريد أن يعاملوك به ، بل يجب أن يكون لك عليهم إحسان إذا أردت أن يحسنوا إليك ، وألاّ تقابل السيئة بمثلها ، بل بالحسنة ، فتحمد وتشكر .

٧ — ابذل جهدك فى استمالة قلوب الناس إليك بحسن معاملتك لهم ، فبالذوق السليم تنجح فى مقصودك ، وتنال باللطف ما لم تنله بالعنف ، كما أنك تنال بالابتسام والبشاشة ، ما لم تنله بالإرهاب والغطرسة .

٨ — اعمل على أن تكون محبوباً عند الناس ، وهذا لا يفقدك شيئاً بل يكسبك سروراً ينشرح به صدرك فى كل آن ، وإن صدقت رغبتك فى استجلاب محبة الناس نلت مقصدك لا محالة ، فإن لم تكن عندك تلك الرغبة ما كنت محبوباً أبداً .

٩ — أحسن الظن بالناس ، واذكر محاسنهم ، واترك مساويهم ، إن أردت أن تكون بعيداً عن انتقادهم عليك ، ومعاكستهم لك .

واعلم أن من الواجب الأدبى أن تتكلم عن الأحياء بالإحسان ، وألاّ تذكر من مات إلاّ بخير .

١٠ — لا تحتقر من دونك أو أحداً من إخوانك ، ولا تفخر بقوة عقلك ، أو بالثروة التى ورثتها من آبائك وأجدادك ، بل عليك أن تعرف قدر نفسك ، وقدر العالم ، فلا تعامل الدون بمعاملة الكفء ، ولا الكفء بمعاملة الأعلى ، وعامل كل إنسان بحسب درجته ومركزه .

١١ — اجتهد فى ألاّ يكون لك أعداء ، بل اجتهد فى إرضاء الناس ليحبوك محبةً خالصةً لوجه الله ، وخالطهم مخالطةً إن مت معها بكوا عليك ، وإن عشت حنوا إليك ، ولهجوا بالثناء عليك .

١٢ — اهتم بشؤون إخوانك ليهتموا بشأنك ، فإنك إن أظهرت لهم عدم اهتمامك لهم ، فكيف تنتظر منهم القيام بغير ما فعلت .

١٣ — الزم الاحترام والاعتبار لإخوانك ، فإنك إذا لم تعتبر أحداً من الناس ، ولم تحترمه ، فكيف ترجو أن يكون لك اعتبار أو احترام عند أحد ؟

١٤ — للإنسان على الإنسان حق المعاونة والمساعدة ، إنما لابد أن تكون وقتية لعذر طارئ ، ولكن من العبث أن يقوم شخص بحاجات شخص آخر ، فيعوده البطالة والكسل ، وعدم السعي على المعاش ، ومن العار على هذا الشخص أن يقبل مثل هذه المعيشة الاتكالية وألا يرضى بأى حرفة مهما كانت ، ليعيش من عرق جبينه ، وألا يكون عالةً على الناس .

حسن معاملة النبي عليه الصلاة والسلام

كان ﷺ كريم العشرة ، حسن المعاملة ، رءوفاً رحيما بأصحابه ، بهذا وصفه الله تعالى فى كتابه فقال : بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ .

كان يعطى كل واحد من جلسائه نصيبه ، لا يحسب جليسه أن أحداً أكرم عليه منه ، قد وسع الناس خلقه ، فصار لهم أباً ، وصاروا عنده فى الحق سواء .

وكان عليه الصلاة والسلام أشد الناس تواضعاً ، وأبعدهم من كبر ، يعود المساكين ، ويجالس الفقراء ، ويتفقد أحوالهم ، ويجلس بين أصحابه مختلطاً بهم ، حيثما انتهى به المجلس جلس .

روى : أنه خرج على أصحابه يوماً فقاموا له. فقال : لا تقوموا كما يقوم الأعاجم ، يعظم بعضهم بعضاً ، وقال : إنما أنا عبد آكل كما يأكل العبد ، وأجلس كما يجلس العبد .

ودخل عليه رجل فأصابته من هيبته رعدة ، فقال له :

هوّن عليك ، فإنى لست بملك ، إنما أنا ابن امرأة من قريش ، كانت تأكل القديد (اللحم المملوح المجفف فى الشمس)

وكان عليه الصلاة والسلام أوقر الناس فى مجلسه ، لا يتكلم فى غير حاجة ، و يعرض عمن يتكلم بغير جميل ، وكان ضحكه تبسماً ، وكلامه قصداً ، لا فضول ولا تقصير ، وكان ضحك أصحابه عنده التبسم ، توقيراً له ، واقتداء به ، مجلسه مجلس حلم وحياء ، وخير وأمانة ، لا ترفع فيه الأصوات ، ولا تنتهك فيه الحرم .

وصية الإمام على لابنه الحسن

فى حسن المعاملة

قال الإمام على رضى الله عنه لابنه الحسن : يابنى اجعل نفسك ميزاناً فيما بينك و بين غيرك ، فأحب لغيرك ما تحب لنفسك ، واكره له ما تكره لها ، ولا تظلم كما لا تحب أن تظلم ، وأحسن كما تحب أن يحسن إليك ، واستقبح من نفسك ما تستقبح من غيرك ، وارض من الناس بما ترضاه لهم من نفسك ، ولا تقل مالم تعلم وان قلّ ما تعلم ؛ ولا تقل مالا تحب أن يقال لك .

التعاون

وجد التعاون منـذ وجدت الجماعات الإنسانية ، وأحسّ الناس بحاجة بعضهم إلى بعض ، فـكم يميل الإنسان بطبعه إلى السعى لينال من شريكه مساعدة فى الحياة ، أو زميله فى العمل ، وليحصل على معاونة من الأقرباء والأصحاب ؛ وكم رأينا أفراد أسرة واحدة طرحوا جانباً مابينهم من بغضاء ، واتحدوا وتضامنو على الأخذ بيد الأسرة من وهدة كان يخشى السقوط فيها ، و يتقدمون جميعاً بقلب واحد بكل ماعندهم من قوة مادية كانت أو أدبية لتضحى فى سبيل سعادة الأسرة . وما العصبية الشديدة عند قبائل البدو ، وقبـائل العرب خصوصاً إلاّ نوع من التعاون والتآزر حول مبـدأ الدفاع عن كل فرد من أفراد القبيلة ، وعن القبيلة جميعها ؛ فالقبيلة كلها تهبّ لتأخذ بثأر أحد أفرادها ، والفرد يهبّ ليأخذ بناصر القبيلة كلهـا ، مهما تـكلف من عناء ، ومهما أنفق من كفاح ، وتعرض لأشد الأخطار .

التعاون غريزة فى الإنسان فطر عليها ، ونشأت مع نشوء الجماعات وكانت من سبل التغلب على متاعب الحياة ، وحصناً يقى الإنسان عاديات الزمان .

وليس التعاون غريزة فى الإنسان فحسب ، بل هو غريزة فى الحيوان أيضاً ، إذ نشاهد زرافات من الحيوانات ، وأسراباً من الطيور ، وجماعات من الحشرات ، تستعين على تحصيل الرزق ، ودفع الشر ، بالعمل متآزرة ، وبما أودع فيها من غريزة التعاون ، وتضامن قواها الصغيرة ، لتكون قوة كبيرة ، تتغلب بها على المشاق والأخطار .

إن الفيلة وهى من أكبر الحيوانات جسماً تعيش متضامنة، وتسير متعاونة، فالفيل يعيش بمساعدة المجموع من الفيلة ، وهذا المجموع فى حاجة إلى مساعدة كل واحد منها فتخرج الفيلة جماعات إلى موارد المياه وتعود غير متفرقة .

وكذلك أغلب الحيوانات والطيور والحشرات : القردة والذئاب ، الحمام والبط البرى ، النمل والنحل ، تعيش كلها متحدة متعاضدة فى كل حركة ، وفى كل وقت ، وفى كل مكان ، وكأن كل واحد منها يحيا و يموت على مبدأ الفرد للجماعة ، والجماعة للفرد .

والأمم تتعاون أفرادها فى أوقات الشدائد ، و يرى الإنسان حوله و يسمع كل يوم تضامن الأحياء فى مختلف الأمور .

وقد حثت جميع الأديان السماوية : الموسوية ، والمسيحية والمحمدية على فضيلة التعاون والتآزر ، ومساعدة الفقير ، ولم الشمل بين الأسر والجماعات .

ففضيلة التعاون أولى المبادىء الأخلاقية التى يلقنها الوالد لأولاده ، و يشير بها المعلم إلى تلاميذه ، و يرفع لواءها الزعيم لتلتف حوله الأمة .

و بالإجمال التعاون فضيلة تقوم عليها الحياة الهادئة المطمئنة ، وهى أساس النجاح ، ودعائم التقدم والفلاح ، وهى درع يحفظ الإنسان من السقوط والتدهور ، وهى عماد الحياة بين الناس فى المعاملات ، وفى تخفيف المصائب وويلات الزمان .

ذكر ما قيل فى التعاون

الآيات

قال الله تعالى : « وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ »

وقال عز وجل : « وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا »

وقال سبحانه وتعالى : « يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ »

الأحاديث

وقال رسول الله ﷺ : المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً .

وقال عليه الصلاة والسلام : يد الله على الجماعة .

وقال ﷺ : والله فى عون العبد ما كان العبد فى عون أخيه .

وقال عليه الصلاة والسلام : مثل المؤمنين فى تراحمهم وتوادّهم وتواصلهم كمثل الجسد إذا اشتكى عضو منه تداعى له سائر الجسد بالحمى والسهر .

وقال عليه الصلاة والسلام : من استطاع منكم أن ينفع أخاه فلينفعه .

وقال عليه الصلاة والسلام : انصر أخاك ظالماً أو مظلوماً .

قيل : كيف أنصره ظالماً ؟ قال : بحجزه عن الظلم فإن ذلك نصره .

أقوال الأدباء

قال المهلب بن أبى صفرة حينما جمع أولاده قبيل وفاته :

« كونوا جميعاً يابنى إذا اعترى خطب ولا تتفرقوا آحادا »

« تأبى الرماح إذا اجتمعن تكسّرا وإذا افترقن تكسرت أفرادا »

وقال أبو الفتح البستى :

« وكن على الدهر معوانا لذى أمل يرجو نداك فإن الحر معوان »

« واشدد يديك بحبل الله معتصما فإنه الركن إن خانتك أركان »

« من كان للخير مناعا فليس له   على الحقيقة إخوان وأخدان »

« من سالم الناس يسلم من غوائلهم   وعاش وهو قرير العين جذلان »

وجاء فى الأمثال : المرء قليل بنفسه كثير بإخوانه .

خطبة

فى حث الناس على إعانة قوم أصابهم حريق

لقد منّ الله على الناس إذ أوجد فى قلوبهم الشفقة لإخوانهم، و بنى جنسهم ومشاركيهم فى أوطانهم ، وأوجب على غنيهم مساعدة فقيرهم وعلى قويهم إعانة ضعيفهم ، وجعلهم كأسرة واحدة يتعاونون ، وفى هذه الحياة يشتركون ، حتى يعيشوا إخوانا وأحبابا ، ووعد السخى الكريم بالزيادة واليسر ، وأوعد البخيل الدنىء بالخسران والعسر .

قال تعالى : « فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَىٰ، وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَىٰ وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَىٰ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَىٰ » و إنا لنشكر أغنياء هذه الأمة ، وسراة هذا الوطن ، فإنهم بأعمالهم الحسنى ، وفعالهم الجميلة فى مواطن كثيرة ، أظهروا للناس كيف يؤدون الواجب ، و يفعلون الخير ، و يبرون بالأمة .

وقد جئنا اليوم نستعطفهم ، ونطلب المعونة منهم ، لتضاف هذه المكرمة إلى كثير من أمثالها مما قدموا ، ولهذه الأمة بذلوا .

أيها السادة أهل الشفقه والرحمة ، إن سكان (ميت غمر) أصابهم حادث مؤلم ، ونزلت بهم نازلة مروّعة ، فان النار (نعوذ بالله منها) قد شبّت فى بلدهم فأحرقت الدور والمساكن ، وأكلت الأقوات والأموال ، وذهبت بما ادّخروا وما جمعوا ، فأصبحوا يتوسدون الثرى ، ويستظلون بأديم السماء ، لا يجدون من الأكل ما يسد رمقهم ، سوى ما يساعدهم به أهل بلدهم وهو شىء فى ذاته جليـل عظيم ، ولـكنه بالنسبة لهم قليـل حقير ، لا يجديهم نفعاً ، ولا يغنى عنهم من الجوع شيئاً ، لـكثرة عددهم ، ووفرة جموعهم .

أيها الرحماء ، كيف يرى الواحـد منا نفسه ؟ لو سمع أن قوماً كانوا على الأرائك متكئين ، وفوق البسط والنمط جالسين ، وفى مساكنهم منعمين ، و ببلدهم آمنين ، ولإخوانهم جامعين ، وبحياتهم مسرورين ، ثم نظروا فإذاهم فوق الثرى أجساداً هامدة ، وتحت السماء جثثاً خامدة ، قد فقدوا أقواتهم وأموالهم وديارهم وحبوبهم ، أظنه يرى نفسه مضطربة متألمة من هول الأمر .

ياأهل الرأفة ، كيف يكون حال الواحد منا لو شاهد هؤلاء القوم ؟ أم ماذا يكون أمره لو كان منهم ؟ إنـكم بما يكون لعارفون .

فيجب على كل واحد منا مهما كان ، أن يساعد هؤلاء الناس ، ولا يتكل على غيره ، ولا يعتمد على سواه ، فإنا لهم مدينون ، وعلى إهمالهم محاسبون ، ونشـكر الله على أن جعلنا لهم معينين ، ولم يجعلنا فيهم مصابين ، لنشكر الله ببذل الأموال ، لنشكر الله بمعاونتهم بالأقوال والأعمال، حتى يخف مصابهم ،

ويقلّ ألمهم ، وحتى نكون قد فعلنا الواجب ، وحتى نرى عند الضيق فرجاً ، وعند الشدائد أعواناً .

وما من أحد فى هذه الحياة الدنيا بأصغر من أن يعين ، ولا بأكبر من أن يعان ، والله وحده ولىّ الأمر وهو المستعان .

« ثمار الإنشاء »

التعاون المالى

التعاون المالى ، هو اتفاق جماعة من الأفراد كموظفى البريد ، أو مزارعى بلد من البلاد ، أو التجار أو الصناع أو العمال تتفق مصالحهم على أن يكون لهم متجر خاص يشترى كل منهم ما يلزمه من الحاجات بأثمان معتدلة ويبيعها كذلك ، ويكون للشركاء نصيب فى الأرباح مناسب للمبلغ الذى أودعه فى الشركة .

ففى (انجلترا) فكر جماعة من صغار العمال فى إنشاء حانوت بقريتهم يأخذون منه كل حاجاتهم آمنين من الغش وطمع التجار ، فاستغنى كل منهم عن جزء يسير جداً من مرتبه الشهرى ، وجمعوا من ذلك مبلغاً صغيراً من المال جعلوه رأس مال التجارة ، وجلبوا فى التجارة جميع ما يحتاج إليه أهل القرية من مأكل ومشرب وملبس ومتاع ، وقدروا لهم أرباحاً مناسبة مع المصروفات ورأس المال ، فما هى إلاّ سنين قلائل حتى زاد رأس مال الشركة على بضعة

ملايين من الجنيهات ، وأقبل الناس على تعضيدها وتشجيعها ، واقتدت بهم (فرنسا وألمانيا) فأنشأوا نقابات التعاون .

وهذا التعاون المالى ، سر عظيم من أسرار النجاح والفوز ، وسبب من أسباب رقى الأمم وتقدمها ، وزيادة ثروتها وعظمتها .

ويقوم التعاون المالى بتأليف الشركات والمصارف .

والقطر المصرى حديث العهد بالتعاون ، إذ بدأ بالدعاية إليه المرحوم عمر لطفى برعاية المرحوم السلطان حسين كامل عام سنة ١٩١٠ ولكن الحركة لم تتم لظروف عدة ، منها قيام الحرب العظمى ، ولما هدأت الحالة نوعاً ، أصدرت الحكومة عام سنه ١٩٢٣ قانوناً للتعاون ؛ ولما وجدت به بعض العيوب عادت فأصدرت سنة ١٩٢٧ قانوناً منقحاً يلائم حالة البلاد ، فأنشأت وفقا لأحكامه ١٨٢ جمعية تعاونية تعمل فى التوريد والتسليف الزراعى ، عدا جمعيتين واحدة للتعاون المنزلى، وواحدة لزراعة الخضر ، مجملها إلى اليوم ١٨٥ جمعية يبلغ عدد أعضائها ١٥٠٠٠٠ عضو .

وتساعد الحكومة هذه الجمعيات ، وسيأتى الوقت (إن شاء الله) الذى تعد فيه الجمعيات التعاونية فى مصر بعشرات الآلاف كما هو الحال فى البلدان الأخرى.

وعندئذ يتجلى مبلغ الفائدة التى تجنيها البلاد من هذه النهضة المباركة .

وفى يوم السبت الأول من شهر يوليو من كل سنة يحتفل رجال التعاون فى العالم بعيدهم .

وقد بدأ قسم التعاون فى الاحتفاء بهذا اليوم .

وقد كتب بعض عظماء مصر ورجالها المشهورين آراء قيمة عن التعاون وهى المذكورة بعد .

التعاون

كلمـــات خالدة

١ — مزايا التعاون كثيرة ، وأفضلها فى نظرى حب كل فرد لمصلحة الآخر ، وعمله لخير الجميع . (عمر طوسون)

* * *

٢ — أعمال التعاون تنمى الشعور لدى الأفراد بحاجة بعضهم إلى بعض ، وتقوى روح الجماعة ، وتجعل من الأسر المختلفة أسرة واحدة تربطها المصلحة ، وإذا صادفها التوفيق بحسن اختيار الأخيار كانت من الوسائل النافعة فى تقويم الخلق ، ونشر الفضيلة ، ورغد العيش .

(محمد مصطفى المراغى) شيخ الجامع الأزهر

* * *

٣ — خير التعاون ما كان على البرّ والتقوى ، وأنفع الناس أنفعهم للناس ، وكمال الإيمان أن تحب لأخيك ما تحب لنفسك ، والله فى عون العبد ما كان العبد فى عون أخيه . (محمد بخيت)

مفتى الديار المصرية سابقاً

* * *

٤ — ليس التعاون غاية فى ذاته ، و إنما هو طريق لتعليم الناس وتهذيبهم ، وسبيل إلى نفع فقيرهم وغنيهم ، وربطهم فى مصالحهم برباط المحبة والصداقة ، وفى ذلك صلاح للنفس ، وسعادة وهناء للمجموع والأفراد .

(يؤنس) بطريرك الكرازة المرقسية

* * *

٥ — أرى من الخير كله نشر مبادئ التعاون فى مصر ؛ لأنها العامل الأول اجتماعياً فى تنظيم العمل ، واقتصادياً فى تدبير المال ، والعمل والمال هما مناط الرجاء فى حياة ورقى الأمم فى كل عصر . (عبد الحميد البكري)

شيخ السادة الصوفية

* * *

٦ — لاشك أن ماوصلت إليه البلاد الغربية من العظمة الصناعية والقوة المالية إنما كان بفضل التعاون ، وقد كان من أسباب تأخرنا فى الميادين الاقتصادية اعتمادنا على المجهود الفردى الذى فات أوان الاعتداد عليه منذ أصبحت الأنظمة العالمية مبنية على وفرة المال وضخامة القوة الآلية . وللتعاون مزية أخلاقية لا يستهان بها ، وهى توافر الثقة بين الناس مما يقوى الروابط ويكسب الأمة الاحترام . (اسماعيل صدقى)

* * *

٧ — التعاون الزراعى فى مصر ليس نظرية من النظريات ؛ ولـكنه عمل اجتماعى شاق ، يرمى إلى تعويد المزارعين فى دائرة جمعية معينة على ثقة الأعضاء بعضهم ببعض ، واعتبار منفعة الفرد منسجمة مع مصلحة المجموع ، ومصلحة المجموع متسقة مع أعظم ما يستطاع من مصالح الأفراد، فهو عمل مبنى على الثقة ، وتبادل المنافع ، وتناسق المصلحة الفردية مع مصلحة المجموع .

(محمد طلعت حرب)

* * *

٨ — كل أمة زراعية لا تؤمن بالتعاون ، وتنضوى تحت لوائه ، فهى مستباحة المرافق ، مغلوبة على أمرها فى ذلك المعترك الاقتصادى العالمى المحتوم .

(يوسف نحاس) سكرتير النقابة الزراعية العامة

الأهرام فى ٦ يوليو سنة ١٩٢٩

الشركات

الشركات هى اتفاق عدة أشخاص على القيام بعمل يعود بالخير على الناس، ويجلب الثروة للمشتركين فيه ، يقوم كل فرد بدفع حصة صغيرة من رأس المال ، ومن مجموع هذه الحصص المعروفة (بالأسهم) تأسست شركات كبيرة ، قامت بأعمال عظيمة ، لا يمكن للفرد الواحد القيام بها .

ففى القاهرة والاسكندرية شركة الترام التى سهلت للناس طرق المواصلات ، وقربت المسافات ، بأجور رخيصة ، وعادت على مؤسسيها بأرباح كثيرة .

وشركة النور (غاز الاستصباح والكهرباء) التى أضاءت منازل والطرق ، وساعدت على ازدياد الأمن والراحة ، ودرّت على مؤسسيها الخير العميم ، والربح العظيم .

وشركة المياه التى مدّت أنابيبها فى جميع الطرقات وسائر المنازل تحمل للناس ماء زلالاً نقياً ، فسهل عليهم أداء العبادات ، وقضاء الحاجات .

وأمثال ذلك كثير من الشركات التى ملأت البلاد وساعدت على الرقى والحضارة ، وسيأتى ذكرها ، ويوجد أيضاً شركات التعاون المنزلى ، والغرض منها الحصول على اللوازم المنزلية ، أى حاجات المعيشة .

وهى شركات كبيرة الفائدة ، كثيرة النفع ، خصوصاً إذا تسنى لها أن تشترى وتبيع بالكميات الوافرة من البضائع التى تستحضر من البلاد النائية ، فإنها تغنينا حينئذ عن الشراء من التجار الذين يبيعون بالتجزئة (بالقطاعى) كما أنها تغنينا كذلك عن تدخل الوسطاء بيننا و بين أر باب الحاصلات ، ومن ثم يكون فى استطاعتها جلب البضائع بالثمن الزهيد وبيعها بالثمن المناسب

ومن مزاياها أيضاً أنها لاتكون فى حاجة إلى بيع الردىء من الأصناف كما يقع أحياناً من بعض التجار الأصاغر إنماءً لأر باحهم وهو مايشاهد خصوصاً فى المدن والقرى الكبرى

ويوجد أيضاً شركات التعاون الزراعى المنتشرة فى أنحاء القطر المصرى ، وقد أصدرت الحكومة المصرية قانوناً برقم ٢٧ خاصاً بالتعاون الزراعى بعناية (جلالة الملك فؤاد) وقد أصبح بموجبه للزارع و كل من له علاقة بمهنة الزراعة الحق فى أن يؤسسوا شركة زراعية تعاونية للعمل على مافيه صلاحهم وترقية شؤونهم المادية والأدبية والدفاع عن حقوقهم الزراعية .

هـذا ومن أهم العوامل لنجاح شركات التعاون النظام والأمن وتوفر الثقة بين الأفراد إذ شاهدنا فى أيام الاضطرابات والثورات كيف تزعزعت النظم الاقتصادية وتأثرت من جراء ذلك .

انزع من العامل والصانع والتاجر أو أى إنسان أمنه على نفسه وماله وعلى عياله تجده قد شلت كل قواه وأقعد عن العمل .

انزع الثقة بين المتعاملين ، سواء أكانوا فى شركة أو جمعية أو تجارة تجد أن مايشتركان فيه من عمل انهار من أساسه

والعوامل التى توجد لنا الطمأنينة ، وتوفر الثقة بين الأفراد كثيرة ، أساسها العامل الأدبى أو الأخلاق الذى تحث عليه الأديان .

فالأديان على اختلافها أدت إلى العالم الإنسانى أجل خدمة ، تأمر الإنسان بفعل الخير ، وتنهاه عن الشر ، وأن يحب لأخيه مايحب لنفسه .

والدين الاسلامى يصدق ما سبقه من الأديان فى الحث على التمسك بالفضيله ، التى هى أساس المعاملات ، وأساس النهضه الاقتصادية ، والعمل على نشر روح الثقة بين الناس ، التى هى من أكبر أسس النجاح .

وهاك بيان أهم الشركات فى القطر المصرى :

بيان أهم الشركات فى مصر

١ — شركة مياه القاهرة

أسست هذه الشركة فى سنة ١٨٦٥ ومجلس ادارتها بالقاهرة ، وهى خاضعة لقوانين الحكومة المصرية ، وينتهى الامتياز الحالى المعطى لها من الحكومة فى سنة ١٩٦٩ .

٢ — شركة (غاز) القاهرة

هذه الشركة فرع من شركة الإنارة بالغاز الفرنسية المركزية (ليبون وشركاه) منحت هذه الشركة امتياز مدّ مواسير الغاز للمحلات العمومية والمنازل فى سنة ١٨٧٣ لمدة ٧٥ سنة .

٣ — شركة مياه الإسكندرية

أنشئت هذه الشركة فى سنة ١٨٧٩ واشترت من الحكومة المصرية (وابورات) مياه الإسكندرية وفى سنة ١٨٨٠ اشترت الشركة (وابورات) مياه ضاحية الرمل وعملت عقداً إضافياً مع الحكومة المصرية .

٤ — شركة (غاز) الإسكندرية

منحت الحكومة المصرية فى سنة ١٨١٥ الخواجات (ليبون وشركاه) امتياز إنارة مدينة الإسكندرية وضواحيها (بالغاز) وبمقتضى العقود التى وضعت فى سنتى ١٨٩٣ و ١٩٠٩ وقد عدلت الحكومة هذا الامتياز بمنح الشركة حق الإضاءة بالكهرباء .

٥ — شركة قناة السويس

مُنحت هذه القناة فى ١٧ نوفمبر سنة ١٨٦٩ . وتنتهى مدة امتياز الشركة فى سنة ١٩٦٩ وقد رفضت الجمعية العمومية فى اجتماعها سنة ١٩١٠ مشروع مدّ أجل امتيازها .

هذا و إن نصف أسهمهما تقريباً تملكه الحكومة الإنجليزية .

٦ — شركة السكة الحديد بالدلتا .

٧ — شركة السكة الحديد الضيقة بالفيوم .

٨ — شركة السكة الحديد الضيقة بالوجه البحرى .

٩ — شركة (الترام) بالقاهرة .

١٠ — شركة واحة عين شمس (هليو بوليس) أو مصر الجديدة .

١١ — شركة الأراضى والرهنيات المصرية بالإسكندرية ولندن .

١٢ — شركة الرهن العقارى المصرى بالقاهرة ولندن .

المصارف أو (البنوك)

المصرف هو المكان الذى يودع فيه الناس ما يزيد على حاجتهم من نقود ، ولهم أن يستردوها متى شاءوا ، وقد يأخذون ربحاً نظير استثمار المصرف لهذه الأموال .

ومن شأنه أيضاً أن يقرض الأموال للذين يكونون فى حاجة إلى الاقتراض ، بشرط أن يستوثق مقدماً من اقتدارهم على رد ما يقترضونه ، فإذا وثق من ذلك أعطاهم القرض وحسب عليه فائدة مقابلة انتفاعهم بالمال المقترض .

والغرض من إيداع الأموال فى المصرف هو حفظها فى مكان أمين لكيلا يتمكن اللصوص من سرقتها ؛ لأن المصرف فيه خزائن من الحديد محكمة الصنع ، ثقيلة الحمل ، بحيث لا يستطيع اللصوص كسرها ولا نقلها فضلاً عن وجود حراس من الشرط عليه فى كل وقت صباح مساء .

والمشاهد فى البلاد الأوربية أن معظم الأغنياء يضعون أموالهم كلها فى المصارف ؛ لأنهم وثقوا من أن هذه الواسطة تحول دون تبذير المال وتعريضه للضياع .

وللمصرف فائدة أخرى ، وهى سهولة توصيل النقود إلى الأماكن البعيدة جداً .

فلو أردت أن ترسل من مصر إلى صاحب لك فى (باريس) أو (لندن) أو (برلين) أو غيرها مائة جنيه مثلاً ؛ فإنك لا ترسلها فعلاً ، بل تودع المال المصرف ، وتأخذ إيصالاً نظير أجرة زهيدة ، وترسل الإيصال إلى صاحبك داخل مكتوب موصى عليه . فبعد تسلمه يصرف من المصرف المحول عليه . وقد يتفق أن يكون فى إحدى المدن من يريد أن يرسل لصاحبه أو قريبه فى مصر مبلغاً فيتبع معه هذه الطريقة دون أن يرسل المال ، وبذلك لم تتعرض الأموال لخطر النقل والسرقة فى الطريق .

وأهم ما يقوم به المصرف هو إقراض صاحب العمل كالتاجر والزارع والصانع ما يحتاج إليه من النقود على أن يردها إليه جملة فى أجل معين أو أقساطاً على آجال متقاربة على أن يقوم المقترض بدفع فائدة معلومة لا تزيد على ٩ ./. تقدر بنسبة المبلغ ومدة أجله.

ولا يخفى ما فى هذا العمل من تسهيل الأعمال والمعاملات ، وتداول الأموال بين الناس ، وقد قام جماعة من سراة الأمة ومفكريها بتأسيس (بنك مصر) وجعلوا جميع سهومه مصرية ، وليس للأجانب حق الاشتراك فى تأسيسه ، فأقبل المصريون على تشجيعه ، وأودعوا أموالهم فيه وعضدته الحكومة فأودعت فيه جزءاً كبيراً من مالها ، وأناطت به القيام بكثير من الأعمال اللازمة لتشجيع الصناعات الوطنية ، وواصل القائمون به عملهم بجد واهتمام ، فانتشرت فروعه فى جميع أنحاء البلاد تمد إلى أهلها يد المعونة وتساعدهم على العمل والنهوض ، حتى أصبح يفوق كثيراً من المصارف الكبيرة بهمة الأستاذ المالى الكبير (محمد طلعت حرب) وإليك الفوائد التى عادت على الأمة من بنك مصر.

(بنك مصر)

وفائدته

فائدة (بنك مصر) تشجيع المشروعات الاقتصادية المختلفة التى تعود عليه وعلى البلاد بالربح الجسيم.

فائدته الرحمة بالفلاحين عند الحاجة ، فإنه يعطيهم بفوائد معتدلة ومناسبة ، وهو مع ذلك يربح ولا يخسر .

فائدته أن يجعل لمصر صوتاً فى سوقها المالى ، ويدافع عن مصالحها كما تدافع (البنوك) عن مصالح بلادها .

فائدته هو ومشروع النقابات الزراعية ، ومشروع مستودعات التأمين أن تتحقق فى الوجود الكفاءة المالية التى هى الأساس المتين للرقى المطلوب .

وإن كانت النقطة الأساسية من إنشاء (بنك مصر) المساعدة ؛ ولكن لا تمنح إلا لمن هو أهل لها ، وجدير بها ، ليستوى فى ذلك الأشخاص والمشروعات .

ولم يكن الغرض من إنشائه محاربة (البنوك) الأجنبية الموجودة فى مصر ؛ لأن هذه (البنوك) قد أدت إلى البلاد من الخدمات الجليلة ما لا يصح نسيانه ، وإنما الغرض أن يعمل (البنك) على مشاكلة تلك (البنوك) فيستفيد من تجاربها وخبرة رجالها بالأمور المالية ، وطول ممارستهم العمل بها ، غير أنه يمتاز عنها بأمر واحد ، وهو أن هذه (البنوك) الأجنبية لا ترمى منذ أن تأسست إلا إلى غرض واحد ، هو مصلحة المساهمين ، غير ناظرة إلى مصلحة البلاد إلّا فيما يوافق مصلحتها فإن رأت مكسباً جرت وراءه ، وفتحت أبوابها لكل طالب ، وإن توهمت ضرراً مقبلاً سدت أبوابها عن كل طالب ، فهى

بذلك لا تنظر إلّا إلى مصلحة المساهمين ، لا تدخل غالباً مصلحة البلاد فى حسابها ولا تنظر إليها .

والغاية الأولى من (بنك مصر) هى نفع البلاد ، والتخفيف عن الفلاح وانتشاله من ظلم المرابين ، الذين يتمتعون بعرق جبينه ، وخيرات أرضه غنيمة باردة ، ويقرضونه بالربا الفاحش بثلاثين أو أربعين فى المائة ، وأزيد من ذلك فى أحيان كثيرة ، تكون أطيانه مرهونة (للبنك) إلى آجال محدودة ، حتى إذا ما حل الأجل واشتهت أنفسهم من ذلك الربا الحرام أجبروه على بيع أطيانه منهم بما حسن لديهم من الثمن والفلاح يجيبهم إلى ذلك مكرهاً ؛ لأن الربا قد أثقل كاهله وألقاه إلى الأرض وسد فى وجهه باب الرجاء .

وليست فائدة (بنك مصر) مقصورة على الاحتفاظ بتنمية الثروة الأهلية وبقائها فى البلاد ، وإنما هو أيضاً مدرسة تدرس السياسة الاقتصادية الأهلية الرشيدة التى تقوم على تقدير الحاجات القومية تقديراً علمياً صحيحاً مبنياً على المشاهدات والاستقراءات العديدة الصحيحة .

اشترك (بنك مصر) فى تأسيس مطبعة مصر ، وفى رأس المال الأوّلىّ للشركة المساهمة المصرية لتجارة وحليج الأقطان ، وهذه الشركة التى وجدت فى السنة الماضية (بوابور) حليج لها فى مغاغة ، وفى هذا العام (بوابور) حليج آخر فى المحلة الكبرى . وستلحق بأحد (الوابورين) معاصر الزيت

والصابون ، ويلحق بالآخر مصنع للقطن الصحى النظيف ، ويهتم مصرف مصر بدراسة وتحضير الأعمال التمهيديه لتأسيس شركة جديدة للغزل والنسج ، وفعلاً قد ظهرت ونجحت .

وقد أنشأ أيضاً شركة مصايد الأسماك التى يجلبها لمصر من السويس .

ويمكن للجماعات التعاونية أن يستفيدوا منه فوائد لا تقدر بواسطة السلف وأن يودعوا أموالهم فيه .

فواجب على كل مصرى يقدر الأموال قدرها أن يعمل ما استطاع على مساعدة (بنك مصر) بنشر الدعوة إلى معاملته ، والاكتتاب فى رأس ماله ومساعدته .

وقد قال فى شأنه الشاعر الأديب محمد افندى الهراوى :

« أنشأوا مصرف مصر	فهو ذخر للبـــلاد »
« فخذوا منه وأعطوا	لاكتساب ، واقتصاد »
« واحفظوا الأموال فيه	من ضياع ، ونفـــاد »
« كل مال هو فيه	فلصون ، وازدياد »
« وإليكم ، لو علمتم	كل ربح مستفاد »
« إنما الدنيـــا جهاد	وهو ميدان الجهاد »

بيان المصارف الشهيرة بالقطر المصرى

بنك الأنجلو اجبسيان لمتد أسس سنة ١٨٦٤ .

بنك الخصم الأهلى الباريزى أسس سنة ١٨٨٩ .

بنك الكريدى ليونيه أسس سنة ١٨٦٣ .

البنك العثمانى أسس سنة ١٨٦٣ .

البنك الأهلى : أسس بموجب أمر عال فى يونيه سنة ١٨٩٨ .

بنك مصر : أسس بموجب أمر عال فى ٣ ابريل سنة ١٩٢٠ .

بنك التسليف الزراعى .

البنك الزراعى المصرى — البنك العقارى المصرى .

بنك الأراضى المصرى بالإسكندرية — بنك روما .

البنك الشرقى الألمانى .

الأندية العلمية والأدبية

أصل الأندية وتاريخها والغرض منها

النادى هو المكان المخصص لاجتماع القوم وجلوسهم فيه للبحث والمناقشة فى أمورهم . يقال : جلس فلان فى نادى قومه ونديّهم ونَدْوَتهم ومنتداهم ، ولهم أندية وأنديات ، كما قال كُثير :

« لهم أنديات بالعشى وبالضحى بهاليل يرجُو الراغبون نوالها »

وأول نادٍ للعرب هو (نادى قريش) الذى جاء ذكره فى القرآن الكريم : « فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ » أى ليدع أهل ناديه ليخلصوه . أما لفظة (كلوب) بالإنجليزية فأصلها سكسونى ، ومعناها النصيب أو الحصة أو الجعل الذى يدفعه الشريك أو العضو فى النادى ، ثم أطلقت على نفس المجتمع أو المكان الذى يجتمع فيه أعضاء النادى .

الأندية الغربية

أول ناد تأسس فى الغرب كان ببلاد الإنجليز منذ نحو الجيلين ثم تلاه أندية أخرى كان من ضمن أعضائها (شكسبير الاجتماعى الكبير) .

وقد أسست النوادى لأغراض مختلفة : فمنها ما جعل لمجرد الرياضة واللهو، كالألعاب الرياضية ، وركوب الخيل ، وغيرها من الألعاب المعلومة عند جماعة الإنجليز .

ومنها ما أسس للآداب والفنون الجميلة ، ليجتمع فيه الكاتب والشاعر ، والموسيقى ، والممثل ، والمصور وغيرهم ممن تحلّوا بالآداب مثل (نادى الآداب) الذى أسس فى سنة ١٧٨٩ وقد أقيم له عيد فى القرن التاسع عشر بمناسبة مرور مائة عام على تأسيسه .

ومنها ما أسس للجماعات السياسية ، وكل من هذه الأندية خاص بحزب من أحزاب (البرلمان) الإنجليزى .

وقد اشتهرت الأندية بضخامة البناء ، فإنها قصور جميلة فسيحة مفروشة بأحسن الأثاث بها مكتبات (كتبخانات) جليلة عظيمة .

وقد انتشرت الأندية ببلاد الإنجليز انتشاراً عظيماً حتى صار لكل طائفة من الطوائف ناد خاص بهم ؛ فأهل العلم اختصوا بأندية لهم مثل (اكسفورد كُلُب) و (كامبردج كُلُب) ولرجال الجيش والبحرية أندية خاصة بهم .

ويختلف رسم الدخول فى هذه الأندية من ١٥ جنيهاً إلى ٤٠ جنيهاً انكليزياً ، وقيمة الاشتراك من ١٠ جنيهات إلى ٢٠ جنيهاً ، ويبلغ عدد المشتركين فيها من ٥٠ إلى ٢٠٠٠ نفس .

وهى بالإجمال ذات ثروة وقوة عظيمة فى البلاد الإنكليزية .

وقد قلد جماعة الفرنسيس الإنكليز فأسسوا أندية فى عصر (لويس السادس عشر) أى فى زمن الثورة الفرنسية ، ولذلك كان أغلبها مخصصاً لأغراض سياسية ، إلا أن الأندية الفرنسية سمح فيها للسيدات بالانتظام فى سلك أعضائها بخلاف الأندية الإنكليزية .

الأندية المصرية

لما دخلت المدنية الغربية البلاد المصرية وسكنتها الطوائف الغربية أسسوا أندية على شكل ونظام بلادهم فأسس الإنكليز (أكلبها الشرق) وأسس الفرنسيون (السركل فرانسيه) وغيرهم أندية أخرى .

وقد أسس الوطنيون والأجانب معاً (الكلوب الخديوى) .

على ان فكرة الاجتماع فى الأندية لم تكن مألوفة عند المصريين لأن لهم

أماكن خاصة باجتماعهم من قديم الزمان وهى (المنادر) ولكن تركت الشبيبة المصرية هذه العادة وأخذت تجتمع فى الأماكن العمومية مثل المقاهى ، وهذا الاجتماع لم يعوض مطلقاً اجتماعهم القديم (بالمنادر) لأنه كان مقصوداً على الأخصاء والأصدقاء وأفراد الناس الذين تربطهم رابطة واحدة ، فكان التاجر يجتمع بالتاجر ، والصانع بالصانع ، والأمير بالأمير ، والعالم بالعالم ، والكاتب بالكاتب ، والمدرس بالمدرس ، والطالب بالطالب ، وهكذا فأصبح من الضرورى لهذه الشبيبة أن تجتمع فى أماكن خاصة بها ، وبكل طائفة منها ، فلهذا أسسوا نادى الطلبة الذى سيأتى ذكره وتاريخ تأسيسه .

نادى طلبة المدارس العليا

رأى حضرة الدكتور الفاضل عبد العزيز نظمى صاحب مجلة الحكمة والطبيب الشهير بمضاء العزيمة وثاقب الرأى أن شبان المدارس العليا والتجهيزية فى حاجة كبرى إلى نادٍ يلم شعثهم ويجمع كلمتهم ، ويغنيهم عن التخلف إلى المقاهى العمومية التى كثيراً ما تكون علة غالب المصائب ، وسبباً لسقوط الكثيرين فى مهاوى الفساد التى تذهب بهم إلى حضيض الذلة والهوان ، فأخذ يستحث طلاب المدارس العالية على إنشاء نادٍ خاص بهم دون سواهم ، طوراً بنشر المقالات فى الجرائد ، وطوراً بلسانه فى المجتمعات ، حتى تولدت من ذلك حركة فكرية جعلت للمشروع أهمية كبرى وشأناً عظيماً .

فلما رأى أن هناك ميلاً كبيراً إلى إنشاء هذا النادى دعا طلبة المدارس العليا إلى اجتماع فلبى دعوته الكثيرون منهم ، وعقدوا فى اليوم العاشر من شهر سبتمبر سنة ١٩٠٥ أول اجتماع فى محل عيادته ، ثم أخذوا يعقدون مثل هذه الاجتماعات على التوالى ناشرين خلاصة أعمالهم على صفحات الجرائد السيارة .

وكان الغرض الأول من تلك الاجتماعات الاهتمام لجمع النقود اللازمة لإنشاء النادى وسن قانون نظامى له ، لأن عملاً كبيراً مثل هذا النادى يستلزم ولا شك مالاً وفيراً ليكون فى مأمن من عوادى الدهر وفى حرز أمين من السقوط العاجل .

ولما توطد الأمل بإنشاء النادى ، وجمع من التبرعات ما يكفى لإظهاره ، عقدت جمعية عمومية فى قاعة مدرسة الطب لانتخاب إدارة جديدة له فكان من حسن الحظ أن وقع الانتخاب على خيرة رجال القطر من أولى الفضل ، فتألف المجلس من أعضاء كرام إذا ذكر الواحد منهم كان عنواناً للفضل ، ومثالاً للأدب ومكارم الأخلاق ، نخص بالذكر منهم :

المرحوم عبد الخالق ثروت ، المرحوم على أبو الفتوح ، المرحوم على حسنى ، المرحوم عمر لطفى ، محمد على دلاور ، الدكتور عبد العظيم نظمى (صاحب المشروع) حافظ عفيفى (وزير الخارجية سابقاً) .

ولما تم انتخاب المجلس المذكور أخذ يوالى اجتماعاته حتى تمكن فى وقت قريب من اختيار المحل المناسب للنادى ثم عين لجنة فرعية لتنقيح القانون وندب أخرى للاهتمام بشراء ما يلزم للنادى من المفروشات والأثاث .

ولما تسلم المرحوم عمر لطفى زمام هذا النادى رأى أنه من الواجب على أعضائه ومؤسسيه أن يعتمدوا على أنفسهم بأنفسهم ، وأن ينشئوا هذا العمل الوطنى المجيد الذى هو الأول من نوعه بعالمهم دون الاحتياج إلى معونة أحد .

وعلى ذلك جمع سعادته فى أيام قليلة مبلغاً عظيماً أصدر به ألفى سهم وجعل قيمة السهم الواحد جنيهاً .

ثم وزعت هذه الأسهم على حضرات الأعضاء ، وبذلك توصل إلى أن يجعل هذا النادى من أحسن النوادى نظاماً ، وأجملها ترتيباً ، بل تمكن من افتتاحه رسمياً فى اليوم الخامس من أبريل سنة ١٩٠٦ فى حفلة سامية زاهرة حضرها المرحوم فخرى ناظر المعارف وقتئذ ، يعقوب أرتين وكيلها ، ونظار المدارس وكثيرون من كبار الأمة وأعيانها .

ولما انتظم عقد حفلة الافتتاح وقف حضرة الرئيس المفضال وألقى الخطبة الآتية :

« يا عطوفة الناظر ، أيها السادة :

بكل سرور أتقدم بالنيابة عن أعضاء هـذا النادى معلناً افتتاحه اليوم ، سائلاً له العمر الطويل ، والنفع الجزيل . إن حاجة الشبيبة المصرية الراقية لا تحتاج اليوم إلى إقامة الدليل ، فإن جميع الأمم الحية أسست أمثال هذا النادى لأغراض مختلفة ، أهمها ترقية المدارك بالمباحث العلمية والأدبية والفنية ، وبكل ما تنقضى به ساعات الراحة فى رياض العقل والروح ، مع التباعد عن الملاهى الحاطة بكرامة النفس ، المضعفة لمكارم الأخلاق .

وإننا معشر أعضاء هذا النادى لسنا فى الحقيقة إلا أفراداً جمعتنا رابطة الإخاء الشريف العالى (رابطة العلم) ولهذا أرى أن اجتماعنا لا بد منه .

وإننا لا نرتاب فى أن أول من يسر بوجود هذا النادى هم رجال معارفنا الذين يعود عليهم فخر العمل .

هذا وإنى أرفع شكرى لحضرات كبار رجال نظارة المعارف ، وجميع من تكرم بمساعدتنا مادياً وأدبياً ، وإنى أعد نفسى مقصراً إذا لم أبدأ اليوم بشكر حضرة الدكتور البارع (عبد العزيز نظمى) مبتكر هـذا المشروع الجليل ، وأول الساعين فى إيجاده ، إذ يغنيه عن الشكر سروره بتحقيق أمنيته .

ولا شك أنكم ترون مثلى أن هذا اليوم هو من أسعد أيام حياتنا لأنى فيه أعلن افتتاح أول نادٍ للشبيبة المصرية » .

وما كاد هذا النادى تفتح أبوبه لقاصديه حتى تقدمت طلبات الاشتراك بكثرة متوالية إلى حد جعل مجلس الإدارة يفكر فى نقل النادى من محله إلى مكان آخر مساحته ضعف مساحة المكان الحالى ليكون ذا متسع كاف لحضور جميع المشتركين .

ولقد أظهرت الحكومة ميلاً كبيراً لتعضيد هذا النادى منذ افتتاحة بحضور السادة ناظر المعارف ووكيلها ومستشارها ووكيل المالية .

ولم تكتف بهذه المظاهرة الأدبية فقط بل رضيت منح النادى قطعة أرض فضاء فى الجزيرة لتكون مسبقاً لأعضائه فى الألعاب الرياضية .

« عن مجلة المجلات العربية »

« السنة السادسة »

بعد نادى المدارس العليا أنشئت أندية كثيرة نذكر أهمها وأشهرها :

١ — نادى التجارة العليا : تأسس بالقاهرة سنة ١٩١٨ . وغرضه تكوين رابطة بين أعضائه أساسها الإخاء والتضامن وترقية حالتهم علمياً وأدبياً ومالياً .

٢ — نادى الحقوق بالقاهرة : تأسس سنة ١٣٤٢ هـ ـ ١٩٢٤ م وغرضه تكوين رابطة بين رجال القانون أساسها الإخاء والتعاون على ترقية حالتهم الأدبية والاجتماعية .

ووسائلها تسهيل الاجتماع فى مكان لائق ، والقاء المحاضرات العلمية والأدبية ونشرها ، و بالجملة العمل على كل مافيه نفعهم .

٣ — نادى خريجى مدرسة المحاسبة والتجارة المتوسطة .

٤ — النادى الزراعى .

٥ — نادى دار العلوم .

٦ — النادى الشرقى .

٧ — نادى الموسيقى الشرقى .

٨ — نادى الألعاب .

٩ — النادى الأهلى للرياضه البدنية .

١٠ — نادى محمد على ، وهو مؤسس من قديم ، وخاص بالعظماء والأمراء وكبار رجال الدولة المصرية .

١١ — النادى المصرى (بلندن)

النادى المصرى فى لندن من أجل الأندية يؤمه عدد عظيم من المصريين ويساعد كثيراً فى حفظ سمعة مصر الأدبية فى الخارج .

وقد كلف تأسيس النادى وفرشه وتوفير أسباب الراحة فيه أموالاً طائلة لكنها أموال أنفقت فى سبيل إعلاء شأن المصريين فى الخارج وإظهار الشبيبة المصرية مرفوعة الرأس ، موفورة الكرامة ، أمام شبان البلدان الأخرى

ويوجد به غرفة للمطالعة ، وضعت فيها الموائد والمقاعد فى اليسار ، وفى الجهة اليمنى منها جزء من مكتبة النادى التى تحتوى على الكتب والمؤلفات المفيدة عن مصر والبلدان الخارجية ، ويقضى أعضاء النادى أكثر أوقاتهم فى هذه الغرفة لمطالعة أخبار الوطن العزيز والوقوف على سير الأحوال فيه . ويصل إلى النادى معظم الصحف والمجلات المصرية والخارجية

وقد فرش النادى على الطراز الحديث وبدا فى حلة جميلة ويعدونه من أفخر الأندية فى (لندن)
« المصور رقم ١٠٦ »
« فى ٢٢ - ١٠ - ١٩٢٦ »

---

١٢ — نادى اتحاد الطلبة العام

إن فريقاً كبيراً من طلبة المدارس الثانوية والخصوصية والعليا فكروا بمعاونة جماعة من الأساتذة فى تكوين نادٍ لهم بعنوان « نادى اتحاد الطلبة العام »

وجهته أدبية محضة ، فلا يتعرض للسياسة ، ولا يشتغل بها : وقد خصصت شعبة منه للأدب والتأليف ، وتسمى لجنة الـكتاب ، وأخرى للتمثيل والموسيقى وتسمى لجنة الفنون الجميلة ، وثالثة للتعاون ومهمتها معاونة الطلبة الذين لا تمكنهم ظروفهم من مواصلة الدراسة

فأنعم بأغراض هذا النادى ، ووفق الله أعضاءه لمـا فيه النجاح والفلاح .

« الاهرام »

فى أول مارس سنة ١٩٢٩

واجبات المرء نحو الإنسانية

المواساة

المواساة ، هى أن تخفف كرب الصديق وغيره بالتسلية والتعزية والنصح والهداية إلى وسائل الراحة والسرور :

« ولا بد من شـكوى إلى ذى مروءة

يواسيك أو يسليـك أو يتوجع »

وذلك يقضى على المرء أن يجامل صديقه فى ضرائه قبل سرائه ، وأن يصحبه فى شقائه كما يصحبه فى سعادته ، وأن يسعى جهده بمجاملة البائسين الذين هم دونه فى أوقات شدتهم ومحنهم وغمهم ، وأن يظهر شعوره بمصيبة كل من يحيط به .

وبذلك يخفف عنهم بعض همومهم ومصابهم وبكلمة طيبة منه وسداد

نصحه وحكمة إرشاده يزيل ما بقى عندهم من ألم وهم .

فاذا رأيت معسراً فساعدته بمالك ، أو مظلوماً فنصرته بجاهك ، أو مكروباً فنفست كربته ، أو فقيراً فأحسنت إليه ، أو يتيماً فأحسنت تربيته كنت من أهل المؤاساة ، وصرت محبباً إلى قومك ، معظماً فيهم ، منشرح الصدر ، مستريح الفؤاد ، لتأدية الواجب الإنسانى ، وإرضاء رب العباد .

فمن قام بواجب المؤاساة نال الثناء الجميل ، والأجر الجزيل ، فضلاً عن إرتياح نفسه ، وسرور قلبه ، وزوال ألمه النفسانى ، عند شعوره بشقاء غيره ، ومواساته له .

ولما كان أحسن الأعمال ما كان خالصاً لوجه الله الكريم ، خالياً عن كل غرض كبير أو صغير ، وأقدس الأمور ما كان فى صالح الإنسانية بصفة عامة ، بتخفيف ويلاتها ، أو تفريج كربها ، ومساعدة المحتاجين والأرامل من أبنائها ، وتعليم الفقراء النجباء ، وإيواء الأيتام ، وحماية المتشردين من الأحداث المهملين الذين أحاطت بهم عوامل الفساد ، والذين إن تركوا جعلتهم الظروف شراً ووبالاً على البلاد ، وخطراً جسيماً على العباد ، قامت فى مصر جمعية برياسة المغفور له حضرة صاحب الفضيلة الأستاذ عبد العزيز چاويش بك وتأسست فى ٤ ذى القعدة سنة ١٣٢٦ هـ ٢٨ نوفمبر سنة ١٩٠٨ م بعنوان (جمعية المؤاساة الإسلامية العامة) .

تلك طائفة من أعمال الجمعية المذكورة التى أوجدها الله منذ عشرين

عاماً تسعى فى خير الإنسانية ، وتدأب على إزالة شرورها ، وتقليل مصابها ما استطاعت عاملة على إيجاد رابطة التعاطف والتراحم بين الفقراء والأغنياء ، وقد تولى رياستها حضرة صاحب الفضيلة السيد محمد على الببلاوى نقيب الأشراف بالديار المصرية والآن سيادة عبد الحميد سليمان .

وقد تولى رعايتها مليك البلاد المحبوب (فؤاد الأول) رحمه الله .

ذكر ما قيل فى المؤاساة

الآيات

قال الله تعالى : « وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَلِأَنْفُسِكُمْ » .

وقال تعالى : « مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ »

وقال تعالى : « وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ »

وقال تعالى : « وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا »

الأحاديث

قال عليه الصلاة والسلام : اتخذوا لدى الفقراء أيادى فان لهم دولة عند الله يوم القيامة .

وقال صلى الله عليه وسلم : إن حقاً على المؤمنين أن يتوجع بعضهم لبعض كما يألم الجسد للرأس .

أقوال الحكماء والأدباء

قال عمر بن الخطاب رضى الله عنه : لا تصغرن هممكم فانى لم أر أقعد عن المكرمات من صغر الهمم .

وقال ابن عائشة القرشى : لولا أن المروءة صعب محملها لما ترك أصحاب اللؤم منها شيئاً .

وسئل الأحنف بن قيس عن المروءة ، فقال : صدق اللسان ، ومؤاساة الإخوان ، وذكر الله فى كل مكان .

وقال بعض الحكماء : من المروءة أن يبذل الانسان لك ماله عند الحاجة ، ونفسه عند النكبة ، و يحفظك عند المغيب .

وقال بعض الشعراء :

« وأسعد العالم عند الله من ساعد الناس بفضل الجاه »

« ومن أغاث البائس الملهوفا أغاثه الله إذا أخيفا »

قصيدة فى مدح المؤاساة

ألقاها فى حفلة جمعية المؤاساة الاسلامية بدار (الأوبرا) الملكية فى ٣ رمضان سنة ١٣٤١هـ — ١١ ابريل سنة ١٩٢٢ م الحاج محمد الهراوى افندى رئيس الحسابات والمستخدمين بدار الكتب المصرية .

« يابنى مصر وما أدعو سوى ... أمة فى المجـــد تمضى دأبا »
« إن للبرّ عليكم حقه ... مثل ما للمجد حق وجبا »
« هل أتاكم نبأ عن بائس ... لم يزل يطوى الليالى سغبا »
« وعزيز ذل من بعد الغنى ... عزه الميسور مهما طلبا »
« ويتيم فاته كافله ... فقد الأم صغيراً والأبا »
« وأب مذ ضاق بالعيش يداً ... ضاقت الدنيا عليه مذهبا »
« وعجوز ثكلت واحدها ... فالتوى السعى بها واضطربا »
« وحَصَان فى الخبا محجوبة ... هتك البؤس عليها الحجبا »
« ولقيط أنكرته أمه ... لا لعار بل لعيش نضبا »
« وطريد لايعى مما به ... حين يمشى أأتى أم ذهبا »
« ومعنّى تحت أعباء الضنا ... قد تخلى الناس عنه هربا »
« وصريع غاله صرف الردى ... لم يجد فى الموت جحراً خربا »
« هذه طائفة من بينكم ... يابنى مصر تذوق العطبا »

« أيهـا يامكرمى أضيافـكم ... لم تنل منـكم نصيب الغربا »
« أى عار يحمـل النيل إذا ... هان قوم وهو يجرى ذهبـا »
« الحاج محمد الهراوى »

أمثال فى المؤاساة

١ — كان سيدنا عمر بن الخطاب رضى الله عنه معروفاً باللين والرحمة والعطف ، يواسى الفقراء ، ويقضى حوائجهم ، وكان يطوف بنفسه بالليل والناس نيام علّه يجد مظلوماً فينصره ، أو ضالاً فيرشده ، أو جائعاً فيطعمه ، أو يتيماً فيؤويه .

ومما يؤثر عنه : أنه خرج ذات ليلة مع صاحبه أسلم ، يطوف أنحاء المدينه كعادته ، فرأيا ناراً على بعد ، فقصدا إليها ، فوجدا امرأة جالسة توقد ناراً تحت قدرها وحولها صبية يبكون .

فسألها عمر عن سبب بكائهم ، فقالت : الجوع .

قال : وماذا فى القدر ؟ قالت : ماء أعللهم به حتى يناموا .

فخرج من عندها وذهب إلى بيته فحمل دقيقاً وسمناً ، وسار حتى وصل إليهم ، فوضع الدقيق والسمن فى القدر ، وصار ينفخ عليها النار والدخان يتخلل لحيتـه حتى نضج الطعام ، فوضع لهم وجلس يؤاكلهم ويلاطفهم حتى شبعوا وضحكوا وناموا .

٢ — مات عامل فقير ذو أسرة كبيرة ، وليس فيها من يعولها ، فحملت الرأفة والرحمة جاره ، فكان ينفق على هذه الأسرة كما ينفق على أسرته ويراعى أطفالها كما يراعى أطفاله ، حتى بلغوا أشدهم وقدروا على الكسب ، فقاموا بواجبهم ، وشكروا لجارهم رأفته ومؤاساته لهم

٣ — اشتعلت النار فى بيت بإحدى القرى ، وسدت المسالك على من فيه ، فلم يتيسر لهم الخروج منه ، فصعدوا على سطحه ، وأخذ الأطفال يبكون ، والنساء يصحن ، يطلبن النجدة والغوث ، والناس يحاولون إطفاء النار ولا يجرؤون على الدنو من البيت لانقاذ من فيه .

فألهبت الرحمة صدر أحد الأغنياء الرحماء، فتبرع بمائة دينار لمن ينقذ هذه الأسرة البائسة المسكينة، فانبرى لذلك شجاع باسل وخاطر بنفسه حتى أنقذها : فشكره الناس على عمله ، ونقده ذلك المحسن مائة دينار ، فأبى أخذها وقال : كلانا فعل الواجب عليه ، أعطها هؤلاء الناس فتخفف آلامهم وتهون مصابهم ففعل واستحق الاثنان من الناس الثناء الجميل ، ومن الله الأجر الجزيل .

الرحمة والعطف

الرحمة سر من الأسرار الإلهية أودعه الله فى قلوب عباده يدفعهم به إلى عمل الخير والبر ، وينهاهم عن الغلظة والقسوة .

الرحمة هي الشعور بمصائب الغير، والميل إلى مساعدته و إسعافه ، وهي من الصفات الجليلة التي حثّ الله عليها وأوجبها الشرع ، وجميل الطبع ، حتى إن الله سبحانه وتعالى وصف بها نفسه فقال :

« إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ »

وقال تعالى : « كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ »

ووصف بها نبيه عليه أفضل الصلاة والسلام فقال :

« لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ (أعنتم) حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ »

وقال ﷺ : من لا يرحم لا يرحم . ارحموا ترحموا . واغفروا يغفر لكم . لاتنزع الرحمة إلاّ من قلب شقي .

وقال عليه الصلاة والسلام : خاب عبد وخسر ، لم يجعل الله تعالى في قلبه رحمة للبشر .

وقال عليه الصلاه والسلام : لا يدخل الجنة إلاّ الرحيم .

وقال عليه الصلاة والسلام : الراحمون يرحمهم الرحمن ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء .

أما العطف أو العاطفة ، فهي الشفقة التي تحرك الإنسان لفعل الخير وتبعده عن ارتكاب الشر والأذى ، سواء للانسان أو للحيوان .

مثال من عطف سيدنا عمر ورحمته بالضعفاء المحتاجين

خرج سيدنا عمر بن الخطاب فى سواد الليل فرآه طلحة ، فذهب عمر فدخل بيتاً ، ثم خرج،ودخل بيتاً آخر فلما أصبح طلحة ذهب إلى ذلك البيت، فإذا به عجوز عمياء مقعدة فقال لها : ما بال هذا الرجل يأتيك ؟ قالت : إنه يتعاهدنى منذ كذا وكذا ، يأتينى بما يصلحنى ويخرج عنى الأذى ، فقال طلحة : ثكلتك أمك ياطلحة ، أعثرات عمر تتبع .

فانظروا رحمكم الله كيف كان سيدنا عمر ، أمير المؤمنين رضى الله عنه ، يقوم بمصالح هذه المرأة العجوز وخدمتها ، ويحضر لها ماتحتاج إليه رحمة وشفقة بها ، فجزاه الله خير الجزاء .

مثال آخر

روى أن عبد الرحمن بن عوف بينما هو يصلى فى بيته ليلاً إذ جاءه عمر ابن الخطاب رضى الله عنه ، فقال له عبد الرحمن : ما جاء بك يا أمير المؤمنين فى هذه الساعة ؟

فقال عمر : إن رفقة نزلوا فى ناحية السوق خشيت عليهم سرقة المدينة ، فانطلق لنحرسهم ، فخرج معه عبد الرحمن حتى أتيا السوق ، فجلسا على حجر هناك يتحدثان ، ويحرسان القوم المسافرين .

فانظروا رحمكم الله إلى عطف سيدنا عمر حتى بالأجانب المسافرين فى بلده .

مثال من الشفقة بالإنسان

حكاية صلاح الدين مع المرأة التى خُطف ولدها

فى زمن صلاح الدين الأيوبى كان للمسلمين لصوص يدخلون إلى خيام العدوّ فيسرقون منهم الرجال ، وكان من قصتهم أنهم أخذوا ذات ليلة طفلا رضيعاً له ثلاثة أشهر وساروا به حتى أتوا إلى خيمة السلطان وعرضوه عليه ، وكان كل ما يأخذونه يعرضونه عليه و يعطيهم ما أخذوه .

ولما فقدته أمه باتت حزينةً كئيبةً ، مستغيثة بالويل والثبور طول الليل حتى وصل خبرها إلى ملوكهم . فقالوا : إن صلاح الدين رحيم القلب ، وقد أذنّا لك فى الخروج، فاخرجى واطلبيه منه ، فإنه يرده عليك فخرجت تستغيث إلى اليزك (الحرس) فأخبرتهم بمسألتها فأطلقوها وأنفذوها إلى السلطان ، فلقيته وهو راكب ، وفى خدمته خلق عظيم فبكت بكاءً شديداً ، ومرغت وجهها فى التراب فسأل عن قصتها فأخبروه فرق لها قلبه ، ودمعت عينه وأمر بإحضار الرضيع ، فوجدوه قد بيع فى السوق ، فأمر برده ودفع ثمنه إلى المشترى ، وأخذه منه ، ولم يزل واقفاً حتى أُحضر الطفل وسُلم إليها ، فأخذته و بكت بكاءً شديداً وضمته إلى صدرها ، والناس ينظرون إليها و يبكون ، فأرضعته ساعة .

ثم أمر بها فحملت على فرس وألحقت بمعسكرهم مع طفلها .

فهذا مثل من شفقة صلاح الدين ورحمته ، وشهادة الأعداء له .

الولد الشفيق

كان صبي حديث السن سائراً فى بعض الأيام إلى المدرسة وقت الصباح بجد ونشاط وسرعة ، لأن المعلم أوصاه بالحضور فى الوقت المعين للدراسة ، وكان منزله بعيداً عن المدرسة ، فحافظ على عدم مخالفة معلمه .

و بينما هو سائر إذ رأى رجلاً فى الطريق ، تظهر عليه علامات الفقر وسوء الحال ، فوقف عنده برهةً قليلةً ، فطلب هذا المسكين منه إحساناً لأنه كان جائعاً جوعاً شديداً حيث لم يتناول شيئاً من الطعام منذ يومين فرق له قلب هذا الشاب النشيط الحسن الخلق وأعطاه رغيفاً كان اشتراه لنفسه . ثم جدّ فى السير نحو المدرسة بعد أن حرم نفسه من الطعام لأجل هذا الفقير الذى أضرّ به الجوع ، فدخل مكتبه ووجهه يلوح عليه الفرح والسرور بما فعله من الإحسان ، وأدى دروس ذلك اليوم بنشاط لم يعهد فيه فى سابق أيامه .

ولما رجع وقت المساء إلى المنزل قص على والدته ما فعله فضمته إليها وعانقته وشكرته على جميل فعله ، وقالت له : إن الولد الشفيق ، الرحيم القلب يودّه الناس ، و يحبونه حباً شديداً ، ومن اجتهد فى العمل الصالح يُسعد فى الدنيا والآخرة .

مثال من رحمة الحيوان بالحيوان

وليست الرحمة بخاصة ببنى الإنسان ، فإن الحيوانات أيضا تتراحم و يواسى بعضها بعضاً .

فقد روى أن طائفة من علماء الأزهر كانوا يفطرون فى مساء رمضان على سطح بعض أروقة الجامع ، فغشيهم هرّ ، فكانوا يلقون إليه من طعامهم المرة بعد المرة ، وهو فى كل مرة يغيب ، ثم لايلبث أن يعود ، فرابهم أمره ، وتبعوه ، و إذا به يلقى ما يأخذ من الطعام بين يدى سنّور كبير أعمى فى بعض الخرابات ، فوقفوا حيارى ، ومجّدوا الرب تعالى الذى رحم العالمين بإيجاد عاطفة الرحمة فى نفوسهم ، ولولاها لأصبح الكون خراباً ، ولكانت الحياة فيه عذاباً .

الرفق بالضعيف

الرفق هو معاملة جميع الناس بالرأفة ولين الجانب ، والابتعاد عن القسوة والغلظة ، والعطف على البؤساء والضعفاء ، واستعمال الشفقة والرحمة مع جميع المخلوقات ، لافرق بين إنسان وحيوان ، وهو من دواعى الألفة والتواصل ، وسبب إلى السلام والوئام ، وعماد السعادة ، وأس النظام ، ولذا قال الله تعالى لنبيه ﷺ : (وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ) .

وقال رسول الله ﷺ : إنّ الله يحبّ الرفق فى الأمر كلّه .

وقال عليه الصلاة والسلام : من أوتى حظه من الرفق فقد أوتى حظه من الدنيا والآخرة .

وروى عنه عليه الصلاة والسلام أنه قال : ما كان الرفق فى شىء إلّا زانه ، ولا نزع من شىء إلّا شانه .

وعن عائشة رضى الله عنها أن رسول لله ﷺ قال : إن الله رفيق يحب الرفق ، و يعطى على الرفق مالا يعطى على العنف ، ومالا يعطى على سواه .

وقال أيضاً : إذا أحب الله أهل بيت أوصل إليهم الرفق .

وقال أيضاً : من يحرم الرفق يحرم الخير كله .

وقال بعض الحكماء : يدرك بالرفق واللطف مالا يدرك بالعنف ، ألا ترى أن الماء على لينه يقطع الحجر على شدته .

وقال بعض العقلاء : يد الرفق تجنى ثمرة السلامة ، ويد الخرق تغرس شجرة الندامة .

وقال أبو الفتح البستى :

« ورافق الرفق فى كل الأمور فلم   يندم رفيق ولم يذممه إنسان »

« ولا يغرنك حظ جرّه خَرَق   فالخرق هدم ورفق المرء بنيان »

وقال النابغة الذبيانى :

« الرفق يمْن ، والأناة سعادة   فاستأن فى رفق تلاق نجاحاً »

فاذا مررت فى طريقك بأعمى أوعاجز أو كبير السن فساعده حتى يصل سالماً إلى المكان الذى ينشده .

وإذا رأيت ضعيفاً فقيراً فواسه ، وارفق به ، وساعده بمالك .

واعلم أن الإنسان فى حياته عرضة لمصائب الزمن ، وتقلبات المحن ، فقد يصاب فى جسمه ، أو فى ماله ، أو فى قوته ، فيصبح محتاجاً إلى من يعطف عليه ، ويرفق به .

حكاية فى فضل الرفق

حكى : أن رجلاً يدعى عامراً ، وكان والياً من قبل عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، دخل عليه فوجده مستلقياً على ظهره وصبيانه يلعبون على بطنه ، فأنكر عليه ذلك .

فقال عمر رضى الله عنه : كيف أنت مع أهلك؟

قال : إذا دخلت سكت الناطق .

فقال له عمر : اعتزل ، فإنك لا ترفق بأهلك فكيف بأمة محمد ﷺ .

حقوق الحيوان وواجب الرفق به

الشعور بالرفق مع الغير لاينحصر بين الإنسان والإنسان فقط ؛ بل علينا حقوق وواجبات نحو الحيوان غير الناطق الذى لايستطيع التذمر والشكوى من صرامة معاملتنا له ؛ ولكنه يشعر بالآلام والأوجاع مثلنا ، والرفق به واجب ، ودليل بلوغ الإنسانية فينا شأناً راقياً .

وإذا كان من واجب الإنسان الشعور بالرفق مع من هو أقدر منه كان أحرى به الشعور به مع الضعفاء الذين لا يتمكنون من الدفاع عن كيانهم ، فإن الرفق بالضعيف دليل جمال النفس وشهامتها .

وبما أن الحيوان الأعجم أضعف منا فمن واجبنا الاهتمام والرفق به .

وبما أن الإنسان قد فضل على سائر الحيوان بما خص به من مزية العقل الذى يتصرف به فى جميع الأشياء ، فسخر الله له الحيوان ليخدمه فى منافعه وقضاء لوازمه وركوبه ، وأوجده ليتخذ قوته من ألبانه ولحومه ، ويصنع من أصوافه وأوباره ملابسه وأغطيته وفرشه .

ومن حيث إننا نرى بأبصارنا أننا نجنى منه كل هذه الفوائد العظيمة والمنافع الكثيرة ، فمن الواجب علينا أن نرفق به ونشفق عليه ،فلا نحمله مالا يطيق ، ولا نعذبه بالضرب أو الجوع أو العطش ، وألّا نمثل بخلقته ، فلا نقطع أذنابه أو آذانه ، أوأى عضو من أعضائه ، لأن ذلك قد حرمه علينا الدين ونهانا عنه سيد المرسلين ، حيث قال عليه الصلاة والسلام :

من مثّل بحيوان (أى غيَّر خلقه) فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين .

وقال عليه الصلاة والسلام : من رحم ولو ذبيحة عصفور رحمه الله يوم القيامة .

وقال عليه الصلاة والسلام : اتقوا الله فى البهائم المعجمة ، فاركبوها صالحة وكلوها صالحة ، (اركبوها صالحةً) أى اعلفوها وأريحوها حتى إذا ركبتموها وجدتموها صالحة للركوب ، وجديرة أن توصلكم إلى حيث تقصدون .

وقوله : (وكلوها صالحةً) أى أحسنوا خدمتها وتعهدها بالعلف والرى وخصب المرعى فتسمن وتصلح للأكل .

وقال أيضاً : إذا ركبتم الدواب فأعطوها حقها من المنازل ولا تكونوا عليها شياطين .

أى انزلوا عنها وأريحوها فى الطريق المرة بعد المرة ، ولا تلزموا ظهورها حتى تتعبوها وتنهكوا قواها ، فتكونوا شياطين ، وكل مؤذ شيطان .

وأبلغ ماقيل فى الحض على الرفق بالحيونات ، وعرفان قيمتها ، وشكر الله على الإنعام بها قوله تعالى :

«وَالأَنْعَامَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَافِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ . وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَى بَلَدٍ لَمْ تَكُونُوا بَالِغِيهِ إِلَّا بِشِقِّ الأَنْفُسِ إِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ .

وَٱلْخَيْلَ وَٱلْبِغَالَ وَٱلْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً وَيَخْلُقُ مَالَا تَعْلَمُونَ »

فيجب علينا أن نتبع أمر الله ورسوله ، وما يطلبه منا من العدل والرأفة فنشفق عليه ، ونعطيه مايحتاج إليه ، من المآكل والمشارب ، حتى نحفظ ذلك الجميل ، ونقضى عليه مصالحنا .

فضلاً عن أن معاملتنا الحيوان بالرفق تزيد انتفاعنا منها ، فالحلاب من الحيوان يزداد بالرفق حليبه ، والخيل والبغال والحمير والإبل يزداد نشاطها ، والجاموس والبقر والمعز والغنم تزداد لحومها وينمو صوفها ووبرها .

والقانون المصرى يحمى أنواع الحيوان ولا يعتبرها مجرد آلات بدليل أنه يحظر على الفلاح أن يقسو على دوابه .

منشأ جمعية الرفق بالحيوان

حدثنا التاريخ عن أمير المؤمنين (المعتصم) أحد خلفاء الدولة العباسية أنه رأى ذات يوم وهو على جواده كلباً مكسور الساقين يلهث من شدة العطش ، فدفعه الرفق بالحيوان إلى النزول عن جواده فنزل وصار يغترف بيديه من النهر ويسقيه ، حتى حرك الحيوان ذنبه شكراً له على برِّه بعد أن أروى ظمأه .

ولما عاد إلى عاصمة ملكه جمع الأمراء والأغنياء وأنف تحت رعايته (جمعية الرفق بالحيوان) لأول مرة فى التاريخ .

وقد تأسست بمصر من عهد طويل جمعية الرفق بالحيوان ولها عربات خاصة لنقل الحيوان المصاب لعلاجه بالمستشفى المعدّ لهذا الغرض ، وهى الآتى ذكرها :

جمعية الرفق بالحيوانات بالقطر المصرى

ابتدأت هذه الجمعية فى سنة ١٨٩٤ وسارت فى أعمالها حسب قرار وزارة الداخلية الذى حرّر لصالحها كى تتغلب على مسئلة القسوة نحو الحيوانات بالقطر المصرى .

وقبل سريان هذا القرار كان فقراء الأهالى وجهّالهم لا يشعرون بأن للحيوانات حقوقاً من العناية ، وزيادة الرفق بها .

وكانت الحيوانات إذ ذاك عرضة للتعذيب ، وسوء المعاملة الدائمين ، وكان من المستحيل إحداث أى تحسين لحالها نظراً لخلو القانون من مثل هذه المسائل .

وكان غرض الجمعية من عهد نشأتها – اتكالا على محبى الحيوانات – السعى فى تعليم كيفية العناية والرفق بالحيوانات .

والغرض الأصلى للجمعية هو تخليص الحيوانات البكماء التى تُرى غالباً فى شوارع القاهرة بحالة تألُّم . ثم إن سبب هذه الآلام هو على الأكثر جهل

المالك أو السواق ؛ إلاّ أن الجمعية تجتهد فى الأحوال التى من هذا النوع حال مباشرتها فى معالجة الحيوانات بإعطاء المالك أو السواق التعليمات اللازمة بزيادة المراعاة والرفق فى المستقبل .

وإذا كان الألم مسبباً عن تعذيب الحيوانات بغير موجب بواسطة السواق أو المالك، فالجمعية تباشر معالجة الحيوان ، وتعاقب السواق أو المالك بحسب قدر الجريمة .

حكايات وأمثلة فى الرفق بالحيوانات

١ — قيل : كان رسول الله ﷺ ذات يوم جالساً مع بعض أصحابه فجاءت حمامة ترفرف فوق رأسه منزعجة خائفة ، فقال لأصحابه : من آذى هذه الحمامة ؟

فقال أحدهم : أنا أخذت بيضها .

فأمره الرسول برده إلى مكانه شفقة عليها .

٢ — ورأى مرة قطة عطشى ، فأمال إليها الإناء بيده الشريفة حتى شربت وانصرفت .

٣ — وروى أن عائشة أم المؤمنين رضى الله عنها كانت فى سفر مع رسول الله ﷺ فركبت بعيراً وفيه صعوبة ، فجعلت تردده وتأمر بضربه، فقال لها رسول الله : ياعائشة عليك بالرفق .

٤ — وربط الزمخشرى (أحد كبار العلماء) وهو صغير ، رجل عصفور بخيط طويل ، وأخذ يلعب به حتى قطع رجله ؛ فلما كبر سافر إلى بعض البلاد الباردة فأصاب رجله برد شديد فتلفت وقطعت ، فقال بذلك سوء معاملته للعصفور .

مثال من الرفق بالحيوان

بلغ الإمام أحمد بن حنبل أن رجلاً وراء النهر يروى أحاديث ثلاثية فرحل الإمام أحمد إليه ، فلما ورد عليه وجده يطعم كلباً ، فسلم عليه الإمام أحمد رضى الله عنه ، فرد عليه السلام ، ثم اشتغل بإطعام الكلب ولم يقبل على الإمام ، فوجد الإمام أحمد فى نفسه شيئاً إذ أقبل الرجل على الكلب ولم يلتفت إليه

فلما فرغ الرجل من إطعام الكلب التفت إلى الإمام وقال : لعلك وجدت فى نفسك شيئاً إذ أقبلت على الكلب ولم أقبل عليك ؟ قال : نعم .

فقال : حدثنى أبو الزناد عن الأعرج عن أبى هريرة رضى الله عنه أن النبى ﷺ قال : من قطع رجاء من ارتجاه قطع الله رجاءه يوم القيامة فلن يلج الجنة .

ثم قال الرجل : أرضنا هذه ليست بها كلاب ، وقد قصدنى هذا الكلب فخفت أن أقطع رجاءه .

فقال الإمام أحمد يكفينى هذا الحديث ثم رجع .

يستخلص من هذه الحكاية مقدار الرفق بالحيوان ، وأنه إذا قصد حيوان إنسانا ، فعليه أن يعطيه شيئا ولا يؤذيه .

الشفقة بالحيوان

رأى المغفور له ابراهيم (باشا) خديوى مصر سابقا يوماً حمّاراً يأكل وإلى جانبه حماره ، وعلى ظهر الحمار حمل ثقيل .

فقال ابراهيم (باشا) للحمار : كم يأكل حمارك كل يوم ؟ قال : ثلاث أقات شعير .

فأمر ، فأتى بالشعير ووضع فى معلف الحمار ؛ ثم قال لمن حوله : ضعوا هذا الحمل على ظهر صاحبه . ففعلوا ، فأخذ الحمّار يستغيث من ثقل ذلك الحمل .

فقال له ابراهيم (باشا) : لأ تركنك فى هذه الحال حتى ينتهى الحمار من أكله ، فإنك كما جازيت تجازى .

فالواجب الرفق بالحيوان .

اذا أردت أن لا تؤذى فلا تفعل الأذى

كان صبي شرير ، قاسى القلب ، من عادته أن يخرج الطيور من أعشاشها ، ويفقأ عيون بعضها ، فرحاً مسروراً ، وكانت أمه كثيراً ما تنهاه عن ذلك وتوبخه قائلة له :

أيها الولد الشقى ، اسمع نصيحتى واعمل بها ، وهى أن تبتعد عن هذه الشقاوة ، ولا تؤذ الطيور فى أوكارها وتب إلى الله وإلا حاقت بك عقوبته فكان الصبي الشقى يضحك سرّا من إنذار والدته الصالحة ويزداد قساوة .

ففي يوم من الأيام انطلق إلى الغابة ، وصعد على شجرة عالية كبيرة جداً ، وأخذ يبحث فيها عن عش فيه طيور صغيرة ، وخطف من العش فرخاً وألقاه إلى الأرض بعنف وشدة .

فلما أراد أن يأخذ الطيور الصغيرة الأخرى ، وإذا بأبيها وأمها اللذين كانا من الطيور الجارحة المخيفة هجما عليه ، وفقآ عينيه بمنقاريهما فسقط على الأرض مغشياً عليه ، ومات غير مأسوف عليه .

ولقد صدق من قال : إذا أردت أن لا تؤذى ، فلا تفعل الأذى .

عبد الله والعصفور

خرج عبد الله يوماً للتنزه فى حديقة بيته ، فرأى عُشّاً على رأس شجرة عالية وفيه عصافير صغيرة تشقشق . ولما سمع صوتها أراد أن يأخذ واحداً منها ، فصعد فى سلم على الشجرة حتى وصل إلى العش ومدّ يده إليها فصاحت العصافير خوفاً وفزعاً ، ولكن قلبه ما رقّ لحالها ، بل أخذ منها واحداً ونزل به وهو يسمع صراخ العصافير الأخرى كأنها تبكى على فراقه ، وأخذ يقلبه ويلعب به ، ولم يعلم ما يقاسيه من الألم والحزن على فراق أهله ، بل صار مسرعاً والعصفور بين يديه يصيح ويتلوى ويضرب بجناحيه ولا مغيث يغيثه .

قابل عبد الله أباه فى البيت وأراه العصفور ، فأخذه الرجل فى يده وقال : هذا عصفور جميل ياعبد الله من أين جئت به ؟

فقال الولد : وجدته فى عش فى الحديقة مع أهله فصعدت على الشجرة وأخذته .

فقال الأب : كيف تكون حالك لو خطفك رجل من البيت وذهب بك إلى حيث شاء ؟

قال الولد : أكون فى غاية الحزن والألم من فراق أهلى فلا يهنأ لى عيش ما دمت بعيداً عنهم .

فقال الوالد : وما بالك خطفت العصفور من بين أهله ، هل بلغت هذا الحد من الظلم والقساوة ؟

فأدرك الولد أنه صنع شراً وأمر الخادم أن يرد العصفور إلى أهله .

لا تُسىء معاملة الحيوان

إن صبياً كان ذا حماقة يفرح بإساءته إلى إوز المنزل ، وكثيراً ما سأله الناس عن سبب ضربه وإساءته لهذه الطيور من غير جناية صدرت منها فيقول : لأنها أحمق الحيوانات ، حيث تصرخ وتضطرب لأقل حركة .

فاتفق ذات ليلة أن تسوّر بعض اللصوص حائط المنزل وقتلوا الكلب الذى كان يخفر المنزل لئلا ينبحهم ، وأخذ اللصوص فى كسر الأقفال ولم يشعر أحد من أهل البيت بهذا الخطر الملم بهم ، حيث كانوا غارقين فى بحار النوم ،

فأحسّ الإوز بفعل اللصوص لخفة سمعه ، فصرخ ورفرف بأجنحته ، فاستيقظ أهل المنزل ، وفرّ اللصوص ، ونجوا بأنفسهم ولم يتمكنوا من أخذ شيء من متاع البيت .

فلما استيقظ الصبي في الصباح قيل له : انظر إلى سوء اعتقادك في حماقة الإوز ، حيث قلت : إنه يفزع ويضطرب لأقل حركة ، فلو لم يفعل بالأمس ما فعل ، لحاق بنا الخطر ، ووقعنا في المكروه والضرر ، فخجل الصبي وعاد على نفسه باللائمة وقال : سأستبدل تأديب الإوز بتأديب نفسي ، فلا أسيء إلى الحيوانات الداجنة ما دمت حيًّا .

لا تؤذ الهرّ فإنه نافع وغير مضرّ

كان لطفل هرّ وكان يؤذيه كثيراً ، فتارةً يربطه بخيط غليظ ويدليه من أعلى البيت ، وتارةً يعذبه بسحبه على الأرض ، وكان من [illegible] الهرّ أن ينام بقرب فراش الطفل .

ففي إحدى الليالي رأى الهرّ ثعباناً يزحف بجانب الفراش ، فوثب عليه وجعل ينهشه بأسنانه وأظفاره ، فتنبه الولد على فحيح الأفعى وحركة الهر فصاح منزعجاً ، فحضر والداه وهدآ روعه ، وقالا له : انظر فائدة الهرّ الذي تؤذيه كيف منع عنك شر هذا الثعبان الخبيث ؟

فسرّ الطفل من الهرّ ، وصار يحبه ويكرمه ويرفق به ، ويبحث عنه إذا لم يره في المنزل .

الغـــلام والقط

دخل غلام غرفةً فتبعه قط ، فلما رآه بادر إلى الباب وأغلقه ، وأخذ يعدو وراء القط بالعصا والقط يموء ويقفز قفزات عظيمة حتى كسر بعض أدوات الغرفة من آنية وغيرها .

فاهتاج الغلام واغتاظ ، وغضب وزمجر ، وجعل يضرب القط بلا رحمة ولا شفقة ، فتألم القط كثيراً ولم يجد مفراً ، فاستجمع قوته ووثب على الغلام بشدة ففقأ إحدى عينيه وجرح وجهه جروحاً بالغة .

فأسرع الغلام إلى الباب وفتحه مستغيثاً ؛ ففر القط ونجا ، وبقى الغلام قبيح المنظر ، مشوّه الوجه طول حياته ، وعرف أن الظلم يجلب لصاحبه البلاء ، ويوقعه فى البؤس والشقاء ، حمانا الله وإياكم منه .

الحذر من تعذيب الحيوانات الخرس

كان لرجل سبعة أولاد بُكْمٌ لا يتكلمون ، فكان يحزن كثيراً لما يرى كل الناس تتكلم إلاّ بنيه ، وأحياناً كان يتذمر ويقول : لماذا يا إلهى خلقتهم بُكْماً ؟ ! ألك فى ذلك حكمة .

فجاء مرة مع أولاده إلى دار رجل (سويسرى) عنده كثير من اللبن

والجبن ، وأراد أن يشترى قليلاً من الحليب ، فلما رأى الرجل (السويسرى) الأولاد السبعة بصحة كاملة كالغزلان ؛ ولكنهم خرس أسف كثيراً ، وقال لوالدهم : إنى أعرفك يا صاحبى من الصغر ، وأتذكر أنك كنت تمسك العصافير وتقطع ألسنتها وتتركها تطير ، وكم مرة نهيتك عن هذا الفعل القبيح ، وأنت لم تقبل نصيحتى ، فالله أرسل لك سبع بنين بُكْماً جزاء خطيئتك ، إذ عذبت تلك الحيوانات الصغار بدون شفقة ، فطارت العصافير ، وشكت أمرها إلى الله ، فكان الجزاء من جنس العمل ، أى أنك لما حرمت العصافير أن تنطق وتسبح خالقها حرم الله أولادك نعمة النطق ، فلا تسمع من أفواههم كلمة (يا أبى) فالحذر الحذر من تعذيب الحيوانات الخرس .

أنجت كلباً من الغرق فنجاها الله من الموت

كانت سيدة يوماً تتنزه على نهر صغير ، فرأت هناك زمرةً من الأولاد الأشقياء يجرون كلباً صغيراً لطرحه فى الماء وإغراقه ، فحنت عليه ورأفت به ، واشترته منهم ، وأخذته إلى قصرها ، فألف الكلب صاحبته ولم يتركها دقيقة واحدة .

ففى ذات ليلة ، حينما دخلت السيدة فى غرفتها لتنام وتستريح ، أتى الكلب ليرقد تحت السرير ، فطفق يعوى ، فأخذت السيدة المصباح وتطلعت

إلى ما تحت السرير ، فأبصرت رجلاً ذا هيئة وحشية ، وكان لصاً كبيراً قد اختفى ليقتلها ويسرقها ، فعند رؤيتها هذا المنظر البشع صرخت المسكينة صراخاً شديداً لتستغيث ، فأسرع جميع السكان إليها ، وقبضوا على اللص وأسلموه إلى الحكومة . وقد اعترف بجريمته ، بأنه كان فى نيته أن يقتل السيدة وينهب القصر ، فحكمت عليه حكماً قاسياً ، فتضرعت السيدة إلى الله بالحمد والشكر على نجاتها .

وقالت : إن الله نجانى من الموت بسبب هذا الكلب الذى نجيته من الغرق .

فالواجب الرفق بالحيوان ، لأنه مفيد للإنسان .

الملاجئ

الملاجئ هى أماكن فسيحة صحية أقامها الموسرون وأولو البر والإحسان فى بلادهم ، ليأوى إليها المعدمون والعجزة وأبناء السبيل ، حيث يجدون فيها ما يطفئ حرارة جوعهم ، وما يقيهم لفح الشمس ونفح البرد ، فضلاً عن القيام بعمل يناسب كلاً منهم ، ينسى به همومه ، ويقضى به زمنه ، ويبتعد عن وصمة العطلة والبطالة .

فقد أصبح الإنسان أينما مرّ بطريق أو شارع ووجّه نظره رأى بائساً أو

عاطلا ، و إذا جلس بقهوة أو حانوت أو ركب مركبة أو (تراماً) مرت به أسراب المعوزين والسائلين ، وهؤلاء كلهم أعضاء فى جسم الأمة .

فالواجب الإنسانى يقضى على كل إنسان ألاّ يترك هذه الأعضاء يصيبها الشلل ، و يقعد بها إلى الضعف عن أداء وظيفتها فى الهيئة الاجتماعية ، بل تجب العناية بهم ، وتشييد الملاجئ التى تؤويهم ، وتقوم بتعليمهم ما ينفعهم من العلوم والحرف ، حتى يستطيعوا أن ينفعوا أنفسهم وأمتهم عوضاً عن أن يكونوا عالة وخطراً يهدد سلامتها .

فقد يبلغ بهؤلاء المعوزين الجوع ، وتضطرهم الحاجة إلى الإخلال بالأمن العام ، وارتكاب الجرائم والسرقات .

ولا وسيلة لنفعهم وردّ أخطارهم سوى إقامة الملاجئ والعمل على انتشارها ، و إليك أسماء بعض الملاجئ التى أسست بمصر وذكر كلمة عن بعضها :

١ — الملاجئ التابعة لوزارة الأوقاف

لوزارة الأوقاف ملجأ طره ، وملجأ القبارى ، لإيواء الفقراء العاجزين عن التكسب وليس لهم من يعولهم .

و (تكية) الكلشنى بشارع تحت الربع ، و (تكية) محمد بك أبى الذهب بحى الأزهر ، وهما معدتان لسكنى طلبة العلم من الغرباء و يتعاطى بعضهم مرتبات لسد عوزهم .

و (تكية) مكة المكرمة ، و (تكية) المدينة المنورة وهاتان (التكيتان) يقدمان الأطعمة للفقراء فى هاتين البلدتين و يتضاعف عملهما فى موسم الحج

٣ — جمعية الملاجىء العباسية

بمدينة الاسكندرية

تأسست جمعية الملاجىء العباسية ومكارم الأخلاق الإسلامية فى ٢١ رمضان سنة ١٣٢٣ وانتظم فى سلكها نخبة من أعيان الثغر وكثير من وجوه القطر بعد ما عرفوا أن صاحب الدعوة فى هذا العمل الحميد هو رجل المروءة والهمة ورب الأيادى الطولى فى المشروعات الخيرية ألا وهو سعادة الفضال الهمام خليل حماده

والغرض من تأسيس هذه الجمعية أمران : الأول ، إنشاء الملاجىء فى عواصم القطر للعجزة من أبناء البلاد وللأطفال المشردين من اليتم فى كل وادٍ. والثانى ، تعميم الوعظ والإرشاد واختيار الأكفاء الذين يعرفون كيف يأمرون الناس بالمعروف وينهونهم عن المنكر ، ويعلمون كيف يقومون بهذه المهمة الدينية فى القرى والعواصم ، حتى تكون الفائدة عامة ، والهداية منهم تامة

خطبة لتلميذ يتيم تدل على فوائد الملجأ

هذه هى الخطبة التى ألقاها أحد تلاميذ الملجأ العباسى فى ليلة ٢٢ رمضان سنة ١٣٢٣ فى الحفلة التى أقيمت بدار الصناعة لأبناء (شيالى الجمارك) وكان عن يمينه يتيمان أحدهما أصغر من الآخر فقال :

ولدت أنا وأخواى هذان من أبوين فقيرين ، وكان أبى رحمه الله حمالاً فى تفريغ الفحوم ، ومات بثغر بور سعيد ، ولم يكن ربحه يتجاوز الستة قروش تنفق على خمسة أنفس فكأن الدهر لم يكتف باصابتنا بهذا الفقر المدقع حتى اختطف الموت أبانا .

فتكفلت بنا المسكينة أمنا ولم يمض علينا إلّا ثلاثة أشهر حتى فقدنا أمنا التى قضى عليها الحزن والمشقة من القيام بشئوننا ، فأصبحنا ولا مأوى لنا ولا معين ، نتوجع من الجوع واليتم ، ونذوق علقم الفقر على حالة أعيذ أولادكم منها ، فكفلتنا خالة لنا ، حفظها الله مع أولادها الأربعة وكانت حرفة زوجها وكسبه كحرفة المرحوم أبى (شيال فحم) فلما سمت خالتنا ، كافأها الله ، بأمر الملجأ العباسى ، عرضت أمرنا على إدارته ، فقبلتنا وأنقذتنا من سيىء حالنا .

ومن المصائب التى تهدد اليتيم المسكين - ومصائبه جمة - ماأصابنى بعد وفاة والدتنا ، ذلك أنى دخلت بمنزل جارة لخالتنا وكانت واضعة قدراً فيها

ماء يغلى على تنور ، فعثرت به ، ووقعت على القدر بذراعى فاختلط جلده بعظمه ، وصار كالشواء ، فانتشلونى فاقد الإحساس والشعور وضمد جرحى على فساد ، واشتبك لحم الذراع بالساعد ، وصار ذراعى هكذا معطلاً عن الحركة ، فلما دخلت الملجأ رأت إدارته أنى صرت عاجزاً فاستشارت الأطباء عما إذا كان يمكن إصلاح ذراعى بعملية جراحية فقالوا بإمكان ذلك ، فأرسلتنى الإداراة إلى المستشفى وعملت لى العملية فنجحت والحمد لله ، وأصبح ذراعى كما كان ، وها هى آثار تلك الحادثة المحزنة التى كادت أن تفضى إلى عجزى لم تزل حاضرة ، وهأنذا فرح مسرور بإنقاذى من العجز ، وهاهى أعمالى وصناعتى أتشرف بعرضها على حضراتكم ، وقد عوفيت والحمد لله من العجز ووجدت سداً من عوز واستعضت بشفقة الأبوين حنان ولىّ النعم ورحمته بالتجائى إلى هذا الملجأ » « المؤيد فى ٢٥ نوفمبر سنة ١٩٠٥ »

المستشفيات

إن الفقراء لعاجزون عن القيام بنفقات الأطباء ، و إن قدروا عليها فهم لا يقدرون على اتخاذ الوسائل التى يرشدونهم إليها ، من إحضار الأدوية وسكنى الأماكن الطلقة الهواء ، الخالية من الروائح الكريهة ، وغيرها مما يؤلم الجسم و يضعفه .

لذلك كان من أكبر النعم عليهم وعلى الأمة وجود المستشفيات التى ترشد ضالهم ، وتدل حائرهم ، وتداوى مرضاهم ، مع القيام بكل مايحتاجون إليه من أكل وشرب ولباس وسكنى ، حتى يتمكنوا من مزاولة أعمالهم بكل نشاط وسرور .

وقد تحدث الحوادث فجأة كمداهمة قطار أو (ترام) أو سيارة ، أو سقوط حائط قديم أو اعتلال صحة ، أو غير ذلك من الحوادث التى تضر بصحة الإنسان فيكون الملجأ والقصد هو المستشفيات الخيرية التى يسرع عمالها باتخاذ الإسعافات الناجعة ، والوسائل النافعة .

و إن ذلك لمن أجل الفوائد التى تقدمها المستشفيات للأمة .

وكما أن الفقير محتاج إليها ، فالغنى كذلك ؛ لأن النظام التام ، واختيار الأماكن الصحية ، ووجود المعدات اللازمة مع العناية والاهتمام ، كل ذلك لا يتيسر إلا فى المستشفيات ، فإن أطباء المستشفيات ، يعودون المريض كثيراً ، وهم أطباء مهرة عارفون بالحقوق والواجبات التى يؤدونها للمريض و يقدمونها نحوه ، بخلاف غيرهم فإنهم يطلبون باهظ الأجر لرؤية المريض مرة أو مرتين ، وإذا ذهب المريض إليهم فنقله لايخلو من صعوبة ، ور بما زاد مرضه من ذلك أو استعصى شفاؤه .

و بعض الأطباء أعد للمرضى أماكن فى محل عيادته ليتمكن من مباشرتهم ورؤيتهم ، ولكن ذلك لا يعادل المستشفيات الخيرية ، فإن بها بدل الطبيب

الأطباء ، وبدل المرض (التمورجى) عدداً ليس بالقليل ونفقاتها لا تكاد تذكر لزهادتها ، والفقير لا يكلف بها لأنه يعالج مجاناً .

وبعد هذا وذاك ، فإن العمال الذين يقومون بأمر المستشفيات من كبيرهم إلى صغيرهم ينتفعون بما ينقدون من مرتباتهم فيفيدون ويستفيدون لذلك كله عنى أغنياء الأمم وسراتها بالتبرع بجزء من أموالهم لإقامة المستشفيات الخيرية لما لها من جليل النفع وعظيم الفائدة .

والمستشفيات عماد الأمة فى زمن الحرب ، واعتمادها عليها وقت الضراب والقتال ، فكم من جريح آوته وأسعفته ، وكم من مصاب أغاثته وشفته ، ثم عاد إلى القتال ، والضرب والنضال ، فهى الساعد الأكبر فى السلم والحرب ، جزى الله القائمين بها خيراً .

هذا وإنه ليسرنا أن حضرة صاحب الجلالة مليك البلاد الملك فؤاد الأول — رحمه الله — مهتم جد الاهتمام بإنشاء المستشفيات ونشرها فى أنحاء القطر المصرى ، وهذا مما يسجل له التاريخ به الفخر ويعود على أمته بالخير والسعادة .

وإليك أسماء المستشفيات التى أقامتها الحكومة وغيرها من المستشفيات الخيرية التى شيدها أولو البر والإحسان

١ — المستشفيات الأميرية التابعة لمصلحة الصحة العمومية

١ — مستشفى قصر العيني (القريب من منيل الروضة) تعالج فيه الأمراض الجراحية والباطنية والرمدية لمرضى الوطنيين ولفقراء الأجانب ، ويمكن للمرضى أن يحضروا العيادة الخارجية في كل يوم الساعة ٨ صباحاً ما عدا أيام الجمع والأعياد ، يفرض على من يعالجون داخل المستشفى رسوم حسب اقتدارهم ، أما الذين يعالجون خارجه فعليهم أن يحضروا معهم الزجاجات وغيرها للدواء الذي يوصف لهم .

٢ — مستشفى الحميات — العفنة — المعدية يوجد بالعباسية ويقبل فيه المرضى بناء على كل طلب يقدم إلى مصلحة الصحة ، وعند الطلب ترسل مصلحة الصحة نقالات لنقل المرضى مجاناً إلى المستشفى المذكور .

٣ — مستشفى المجاذيب في العباسية — لمعالجة الأمراض العقلية — ويقبل المرضى الوطنيين بشرط تقديم شهادات وافية من طبيبين ، ورسوم المعالجة تختلف من ٤ قروش إلى أربعين قرشاً صاغاً يومياً حسب الدرجة التي يراد إقامة المريض بها .

وكذلك يقبل المستشفى عدداً معيناً من مرضى الأجانب بشرط أن يقدموا شهادات مخصوصة مصدقاً عليها من القنصل الذي ينتسبون إليه ، وصور الشهادات للوطنيين والأجانب تطلب من مصلحة الصحة العمومية .

ويوجد أيضاً مستشفى آخر بجهة (الخانكة) التابعة لمديرية القليوبية وهى تبعد عن القاهرة بنحو ١٥ ميلاً .

٤ ـ مستشفيات دائمة للرمد بطنطا والمنصورة وأسيوط . وهى نتيجة التبرعات التى جاد بها الأعيان الوطنيون .

٥ ـ مستشفيات متنقلة خاصة بالرمد ، ومستشفى بقليوب أنشىء على نفقة المرحوم الشواربى (باشا) .

٦ ـ مستشفيات بالقاهرة والاسكندرية وطنطا والمنصورة وقليوب عدا أحد عشر مستشفى متنقلاً لمعالجة مرضى الانكيلوستاما (والبلهارسيا) البول الدموى الكثيرى الانتشار فى القطر المصرى وخصوصاً بين أهل الطبقه الفقيرة من السكان . والمرضى يعالجون بهؤلاء المستشفيات مجاناً كمرضى لعيادة خارجية . ويوجد بها أسرّة لراحة المرضى بعد تناول الأدوية إذا استدعت حالتهم ذلك .

مستشفى الأميرة فوقية الرمدى

بروض الفرج

فى يوم ٤ مايو سنة ١٩٢٩ تفضل حضرة صاحب الجلالة فؤاد الأول (ملك مصر) بزيارة مستشفى الرمد بروض الفرج وافتتح أعماله رسمياً وقد تعطف جلالته بأن قبل أن يدعى هذا المستشفى (مستشفى الأميرة فوقية الرمدى الأميرى) .

وهذا المستشفى أكبر مستشفى رمدى فى القطر أنشأته مصلحة الصحة فى حى روض الفرج بالقاهرة ، إذ أنه يحتوى على مائة وستة أسرة . وقد استوفيت فيه كافة وسائل العلاج والفحص بأحدث الأجهزة الرمدية فضلاً عن اشتماله على قسم كبير خاص بعلاج المرضى المترددين على عيادته الخارجية .

وهذا المستشفى كغيره من مستشفيات الرمد يقوم بمعالجة الفقراء مجاناً .

مستشفيات وزارة الأوقاف

لوزارة الأوقاف عدة مستشفيات منها :

١ ـ مستشفى الملك ، ويعالج به جميع الأمراض ، وفيه قسم خاص بالتوليد وإسعاف الحاملات بالخارج .

٢ ـ مستشفى قلاوون ـ وهو خاص بأمراض العيون وبه قسم داخلى .

٣ ـ مستشفى الأزهر .

٤ ـ مستشفى فؤاد .

مستشفى قلاوون

إن مستشفى قلاوون فى القاهرة المعروف عند الوطنيين باسم (بيمارستان) قد شيّده (منصور قلاوون) أول سلطان لأسرة البحارة المماليك .

وقلاوون هذا أسس حسب التقاليد التى كانت مرعية فى ذلك الوقت ـ الجامع المسمى باسمه والمدرسة وقبره ، وهذا المستشفى يوجد فى حارة بين القصرين ، و يلقب اليوم بشارع النحاسين . وقد كان نذره نذراً فى شبابه بعد ما أصيب بمرض خطير . وقد بُدِئ فى بناء هذا المستشفى فى سنة ١٢٨٤ وتم فى سنة ١٢٨٥ و بعد افتتاحه بأيام قليلة أعلن أنه يقبل فيه كل إنسان ذكراً كان أو أنثى مصاب بأى نوع من الأمراض ، ولقلة الطرق الفنية فى المعالجة كانوا يعنون بإرضاء أولئك المساكين بحسن المعاملة ، وكانوا يعلنون صلاة الصبح بجامع المستشفى المذكور قبل جوامع القاهرة بساعتين ، وذلك ليتعزى المصابون بمرض الأرق بحلول الصبح مبكراً ؛ لكن رئيس أطباء غزوة بونابرت على مصر المسمى (واجنييت) ذكر فى بيان قدمه إلى ديوان العلماء فى مصر عن حال هذا المستشفى الذى يرثى لها ، و بعد ما برح الفرنسيون مصر كان هذا المستشفى قد قصر عنايته فى عهد المماليك أيضاً على المصابين بالرمد والجنون إلى أن تولى إسماعيل (باشا) الأريكة الخديوية فأبعد عنه المجاذيب إلى بولاق أولاً ثم إلى العباسية بعد ذلك .

ومن وقتها تخصص هذا المستشفى للمصابين بداء الرمد .

كلمة

على المستشفيات الخيرية

إن رجل الخير يذكره الناس بالخير ، والعمل النافع يذكر بكل عمل مفيد نافـع .

فإذا ذكرنا المدارس والملاجىء وسواها من أعمال البر والإحسان فإنّا نذكر المستشفيات لتكون لنا بها العبرة ، وليكون هـذا الحاضر دليلاً على المستقبل الزاهر

في سنة ١٩٠٦ أنشأ المرحوم الشواربي (باشا) مستشفاه في قليوب وبعد أن بناه وأثثه وقف عليه دخلاً في السنة ١٤٠٠ جنيه ، وفي هذا المستشفى ٥٩ سريراً ونفقاته في السـنة ٣٧٠٠ جنيـه ، فالحكومة تديره وتدفع عجز النفقـة .

وفي سنة ١٩٢٣ سلمت (شركة كوك) داراً في الأقصر للمستشفى يسع ٢٦ سريراً وتنفق عليه الحكومة في العام ٢٢٠٠ جنيه وفي سنة ١٩٢٤ تبرع أهالي مركز (طهطا) ببناء المستشفى وتأثيثه وهو يسع ١٥ سريراً وينفق عليه في السنة ألفا جنيه .

وفي سنة ١٩٢٥ سلم صالح لملوم (باشا) مستشفى في (مغاغة) لمصلحة الصحة وهي تنفق عليه في السنة ١٨٠٠ جنيه

وفى سنة ١٩٢٦ سلم أهالى (ملوى) ومجلس المديرية للصحة مستشفى يسع ١٦ سريراً ونفقته فى السنة ١٦٠٠ جنيه :

وفى سنة ١٩٢٦ سلم الشوربجى (بك) لمصلحة الصحة مستشفى فى (بريم) يسع ٣١ سريراً ونفقته فى السنة ١٥٠٠ جنيه .

وفى سنة ١٩٢٧ أنشأ أهالى (ميت غمر) بمساعدة مجلس المديرية مستشفى يسع ٣٢ سريراً ونفقته فى السنة ٣٠٠٠ جنيه :

وفى سنة ١٩٢٨ أنشأ مجلس المديرية فى (الفكرية) مستشفى يسع ٢٤ سريراً .

واليوم يقوم بدراوى عاشور وينشىء مستشفى فى بلدته (درين) يسع ٢٤ سريراً . وقد وعد بتسليمه قريباً لمصلحة الصحة :

وقد أنشأت الست نبيهة هانم كريمة المرحوم عبد الله عزت (باشا) وحرم المغفور له محمود حمدى (باشا) الأرناؤوطى مستشفى ببلدة (التوفيقية) مركز إيتاى البارود ووقفت عليه مائتى فدان .

فأنت ترى من هذا الاحصاء البسيط ، ومن تاريخ إنشاء هذه المستشفيات أنه لا يمر عام دون أن تتسلم مصلحة الصحة مستشفى يقوم به فرد أو يقوم بإنشائه جماعة . أفلا ترى أن هذا المستشفى الكبير الذى وضع أمس حجر أساسه وهو مستشفى المحسن الكبير عبد الرحيم (باشا) الدمرداش جاء متوجاً لجميع الأعمال التى تقدمته ؟

« الأهرام فى يوم الاحد ٢٥ نوفمبر سنة ١٩٢٨ »

كلمة حضرة (صاحب الدولة) رئيس الوزراء فى وضع أساس مستشفى الدمرداش

يافخامة اللورد ، ياحضرات السادة والسيدات :

يسرنى كل السرور أن أضع باسم الله الرحمن الرحيم حجر الأساس فى هذا البناء الذى تعده أريحية حضرة المحسن الكبير السيد عبد الرحيم الدمرداش لجميع المعوزين والمرضى من أى جنس كانوا ومن أى دين ؛ لأن الجميع من بنى الإنسان

هذا البناء الخيرى الذى جادت به أريحية حضرة صاحب السعاده المحسن الكبير السيد عبد الرحيم الدمرداش (باشا) سيكون إن شاء الله بمثابة رحمة للمعافين من الناس ، يذكرون السيد الدمرداش وآلاءه كلما خلصوا من آلامهم ، وبرئوا من أسقامهم وأمراضهم ، ويسألون الله أن يعطيه من الصحة بقدر ما أسدى لهم من الخير وتخفيف الآلام .

وأنت أيها السيد الجليل نسأل لك الصحة وسرعة العمل فى بناء هذا المستشفى الخيرى حتى تشهد افتتاحه فى وقت قريب .

وإن الأمة حكومةً وشعباً لتذكر لك ولحضرة حرمك وحضرة كريمتك هذا العمل المجيد بكل فخر مقرون بالحمد والثناء ، جزاكم الله الجزاء الأوفى ، وألهمنا جميعاً كل ما فيه حسن العمل النافع فى ظل حضرة صاحب الجلالة الملك أيده الله ، هذا وقد تم بناء المستشفى وفتحت أبوابه للقاصدين من

المرضى ، ودفن بجواره صاحبه رحمه الله .

« الأهرام فى يوم الأحد »

٢٥ نوفمبر سنة ١٩٢٨

الجمعيات الخيرية وفوائدها

من عهد أن أخذت مصر تستعيد غابر مجدها على يد رجلها الخالد (محمد على باشا الكبير) رأس العائلة المالكة لقى الأجانب من ولاتها على التوالى — خلال فترة قصيرة — تشجيعاً على القدوم إليها فأقبلوا يتوافدون عليها زرافات ووحدانا ، إذ وجدوا بلداً أميناً ، ومثوى كريماً فاتخذوها وطناً ثانياً ، وشمروا عن ساعد الجد يستثمرون جهودهم وأموالهم فيها . وبطبيعة الحال لم يكن جميعهم بمفلحين ، بل ساءت حال البعض منهم ، فالتف ذوو البأساء على مواطنيهم أولجأوا إلى رؤساء دياناتهم فرأى أصحاب المكانة من هؤلاء أن من المتعين عليهم إغاثة الملهوفين من إخوانهم والأخذ بناصرهم ، تدفعهم النخوة الانسانية والنعرة الوطنية أوالعاطفة الدينية ، ومن هنا نشأت فكرة تأسيس الجمعيات الخيرية ثم اقتدى بهم سائر الطوائف والهيئات الأخر فألفوا جمعيات على هذا النحو يعضدهم أولو البر والتقوى منهم .

ولهذا ترى جمعية خيرية لكل طائفة ، ولكل جالية تقريباً فى القطر

المصرى ، وهاك أسماء الجمعيات الخيرية الشهيرة بمصر :

« الجمعيه الخيرية الإسلامية — جمعية العروة الوثقى بالإسكندرية — جمعية المساعى المشكورة بشبين الكوم — جمعية التوفيق القبطية — الجمعية الخيرية بمصر — جمعية الروم الأرثذوكس — جمعية المساعى الخيرية المارونية — جمعية المؤاساة الإسلامية — جمعية مكارم الأخلاق الإسلامية — جمعية الهلال الأحمر المصرية — جمعية أمهات المستقبل — جمعية حماية الأطفال — جمعية الإسعاف العمومية — جمعية الرفق بالحيوانات »

فالجمعيات الخيرية هى إذن إحدى ظاهرات الرقى البشرى ، لأنها الدليل المحسوس على عاطفة نبيلة ألا وهى التضحية يبعثها نكران الذات وحب الخير للغير .

وهى جديرة بكل تقدير وتشجيع ، لأنها تمثل الإحسان فى أحسن صورة من حيث إنها تضع الندى فى موضعه ، وبالتالى فهى الإحسان المنظم مجسماً .

تألفت الجمعيات الخيرية من وطنية وأجنبية لغاية واحدة هى : الأخذ بيد من غلب على أمره فى ميدان الحياة على تنوع فى تنفيذ تلك الغاية ، فكم أنشأت من مدرسة ، ومشغل ، وملجأ ، ومستوصف ، ومستشفى ، وكم وزعت من إعانات نقدية وعينية مما يفوق الوصف ، وكم استفاد منها الألوف ، ولولا تلك المساعدات لعادوا عالة على إخوانهم بل خطراً على الأمن العام ذاته .

ولاعجب فقديماً قيل : إن الفقر أس الرذائل .

وقد رأت الحكومة السنية الساهرة على الأمن العام والنفع العام مجهود الجمعيات الخيرية ومآثرها الغراء ، فوجدت فيها أداة نافعة تقوم بخدمة اجتماعية من حيث انها تخفف من ويلات الفقر والبطالة فهى بذلك تتفق وأغراض الحكومة من حيث تنظيم الإحسان وتوطيد الأمن العام ، وقد رأت الحكومة أيضا فى الجمعيات الخيرية هيئات محترمة خليقة بالتعضيد فشجعتها على المضى فى سبيلها ومساعيها المشكورة وبذل المزيد من همة أفرادها ، وذلك بأن منحت بعضها إعانات سنوية ، وخولت للبعض الآخر إصدار أوراق (يانصيب) باسمها تديره بشروط معينة وتصرف غلته فى أوجه البر التى تتولاها . فسارت هذه الجمعيات فى حياتها المفيدة سيراً حثيثاً وازداد عدد المنتفعين بخيراتها ومبراتها ، جزى الله الحكومة والقائمين بأمر هذه الجمعيات خير الجزاء ، إنه السميع المجيب .

نبذة صغيرة فى سير بعض العظماء

١ — عمر بن عبد العزيز بن مروان بن الحكم

هو أبو حفص ، حفيد عاصم بن عمر بن الخطاب ، وسابع خلفاء بنى أمية وُلد سنة ٦٠ هـ بمصر وأبوه وال عليها . ولما ترعرع أرسل من مصر إلى المدينة ليتأدب فيها على العلامة عبد الله بن عبيد الله ، فلم يزل معه حتى صار إليه المنتهى فى جميع علوم عصره .

ولما تولى ابن عمه سليمان بن عبد الملك سنة ٩٦ هـ طلبه إليه واتخذه وزيراً له وأطلق يده فى أمور الخلافة فقام بها خير قيام .

ثم لما مات سليمان سنة ٩٨ خلفه هو بعهد منه فصعد المنبر وقال : « أيها الناس والله ماطلبت هذا الأمر قط فى سرّ ولا علانية ، وإنى خلعت ما فى أعناقكم من بيعتى فمن كان كارهاً لشىء مما وليته فالآن ... (فصاح الناس صيحةً واحدةً : قد اخترناك ورضيناك أميراً لنا) فلما سكتوا قال : أوصيكم بتقوى الله ، فان تقوى الله خلف من كل شىء ، وليس من تقوى الله خلف ، فاعملوا لآخرتكم ، فإن من عمل لآخرته كفاه الله أمر دنياه وآخرته ، وأصلحوا سرائركم يصلح الله علانيتكم . أيها الناس من أطاع الله وجبت طاعته ، ومن عصى الله فلا طاعة له ، فأطيعونى ما أطعت الله فيكم ، فإن عصيته فلا طاعة لى عليكم » .

ثم أخذ يدير حركة الخلافة على محور العدل ، فرد المظالم ونشر المكارم ، وأبطل سب الإمام عليّ على المنابر وبدّله بهذه الآية .

« إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَاءِ وَٱلْمُنْكَرِ وَٱلْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ » .

فلما بلغت الخوارج سيرته اجتمعوا وقالوا : ما ينبغي لنا أن نتعب هذا الرجل الصالح ، فسكتوا .

ثم إن يزيد بن عبد الملك رأى أن عهده سيطول على هذا العقل والعدل والاستقامة فجعل لخادم الخليفة ألف دينار على أن يسمه ، فقتله وكان ذلك سنة ١٠١ هـ .

وكان عمر بن عبد العزيز كثيراً ما يتمثل بهذه الأبيات :

« نهارك يامغرور سهو وغفـــلة ... وليلك نوم والردى لك لازم »

« يغرك ما يفنى وتفـــرح بالمنى ... كما غُرَّ باللذات فى النوم حالم »

« وشغلك فيما سوف تـكره غبّه ... كذلك فى الدنيا تعيش البهائم »

ومات عن اثنى عشر غلاماً لم يترك لهم شيئاً . ولما حضرته الوفاة جمعهم وجعل يصوب نظره فيهم ويصعده ، حتى اغرورقت عيناه بالدموع ثم قال :

بنفسى فتية تركتهم ولا مال لهم ، يابنى إنى خيرت نفسى بين أن تفتقروا إلى آخر الأبد وبين أن يدخل أبوكم النار فاخترت الأول .

يا بنى عصمكم الله ورزقكم ، وكلت أمركم إلى الله الذى نزّل الكتاب وهو يتولى الصالحين .

وكان عنده وقتئذ مسلمة بن عبد الملك فوهبه أربعين ألفا ليفرقها على أولاده وقال له : عن طيب نفس فعلت ؟ .

فقال له مسلمة : لقد جمعت علينا قلوبا متفرقة وجعلت لنا فى الصالحين ذكراً .

وهو أول من فرض لأبناء السبيل ، ولم يكن خليفة للمسلمين فقط بل هو فيلسوف عظيم ، وفقية كبير ، اجتمعت فيه الصفات العالية ، والخلال المجيدة ، فكان القدوة الحسنة لمن وليه من الخلفاء ، ومثال الاستقامة والزهد ، حكم أمته بالعدل ، ونهج منهجاً قويماً ، فصار نموذجاً للعالمين .

عرف هذا الملك العادل كيف يدير ملكه ، وكيف يسير به فى طريق الإصلاح والرقى ، استفتح ولايته ببيع ما كان يملكه سليمان من ملابس وغيرها ، حتى اجتمع لديه من ذلك مبلغ عظيم ، ثم وضع الثمن فى بيت المال كما وضع فيه ثوب زوجته بنت عبد الملك علماً منه أن ما أنفق عليه إنما كان من بيت مال المسلمين .

---

٢ ـ هارون الرشيد بن المهدى

هو هارون الرشيد بن محمد المهدى بن المنصور بن محمد بن على بن عبد الله بن العباس ، بويع بالخلافة يوم وفاة أخيه موسى الهادى ، وكان عمره حين ولى اثنتين وعشرين سنة ، ولما مات الهادي جاء إليه يحيى بن خالد البرمكى وهو نائم فى فراشه فقال له : قم ياأمير المؤمنين . فقال له الرشيد : كم تروعنى إعجاباً منك بخلافتى ؟ فكيف يكون حالى مع الهادى إذا بلغه هذا ؟ فأعلمه بموته وأعطاه خاتمه ، وبينما يحيى بن خالد يبشر الرشيد بالخلافة إذ دخل عليهما مبشر بمولود للرشيد فسماه عبد الله وهو المأمون ففى ليلة واحدة مات خليفة ، وتولى خليفة ، وولد خليفة . وفى هذه السنة ولد محمد الأمين بن الرشيد أيضاً فكان المأمون أكبر منه .

وفى سنة ١٧٠ هـ استوزر الرشيد يحيى بن خالد وقلده أمر الرعية وأعطاه خاتمه ، وفى ذلك قال ابراهيم الموصلى :

« ألم تر أن الشمس كانت سقيمة فلما ولى هارون أشرق نورها »
« بيمن أمين الله هارون ذى الندى فهارون واليها ويحيى وزيرها »

ويقصر الواصفون عن وصف مناقب هذا الخليفة الذى أقل ما يقال فيه إنه جعل الخلافة علماً هو مسماها ، فكان أنيساً وديعاً إلى الغاية ، شديد الرغبة فى قضاء حاجات الناس ، محافظاً على راحة رعاياه . وذكروا أنه كان يطوف فى

أ كثر الليالى متخفياً فى أسواق بغداد وشوارعها ليقف على أحول الناس ، فاذا رأى أحداً منهم مظلوماً أعانه وأنصفه .

وكان يحب المديح ، لا سيما من شاعر فصيح ، و يرغب فى العلم والعلماء ، و يبذل لهم العطاء ، حتى قيل إنه لم ير خليفة قبله أعطى منه للمال ، وكان لا يضيع عنده إحسان محسن .

قيل : صنع مرة وليمةً عظيمةً ، وزخرف مجالسه ، وأحضر أبا العتاهية الشاعر وقال له : صف لنا ما نحن فيه من نعيم هذه الدنيا .

فقال أبو العتاهية :

« عش ما بـــــدالك سالمـاً
في ظـــل شاهقــــــة القصور »

فقال : أحسنت ، ثم ماذا . فقال :

« يسعى إليك بما اشتهيـ ـت لدى الرواح وفى البكور »

فقال : أحسنت ، ثم ماذا . فقال :

« فاذا النفوس تقعقعت فى ظل حشرجة الصدور »

« فهناك تعــلم موقناً ما كنت إلا فى غرور »

فبكى الرشيد ، فقال الفضل بن يحيى : بعث إليك أمير المؤمنين تسره فأحزنته ، فقال : دَعه ، فإنه رآنا فى عمى فكره أن يزيدنا منه .

« تاريخ دول الإسلام »

وكان الرشيد من أفاضل الخلفاء وفصحائهم وعلمائهم وكرمائهم .

كان يحج سنة ، ويغزو سنة كذلك، مدة خلافته إلا سنين قليلة .

قالوا : وكان يصلى فى كل يوم مائة ركعة ، وحج ماشياً ، ولم يحج خليفة ماشياً غيره ، وكان إذا حج حج معه مائة من الفقهاء وأبناؤهم ، واذا لم يحج أحج ثلاثمائة رجل بالنفقة السابغة والكسوة الظاهرة الفاخرة ، وكان يتصدق من ماله الخاص كل يوم بألف دينار .

وكان عالى الهمة ، موصوفاً بالحلم وحسن التدبير ، يميل لأهل العلم ويعظم حرمات الإسلام .

ولما جلس على كرسى الخلافة اشترك معه يحيى وزيره فى تدبير شؤونها فبلغت من السعادة والكمال مالم تنله من قبل ، وسطعت فى خلافته شمس المعارف والآداب ، وكتبت الكتب التاريخية والأدبية وترجمت المؤلفات الفلسفية والعلمية من اللغة اليونانية إلى العربية واتسعت دائرة التجارة ، وامتدت الفتوحات .

وقد أضاء فى زمنه كوكب سعد البرامكة ، الذين هم من الفرس وحرضوه على إحياء الفنون والتجارات والصنائع ، ثم وشى بهم إليه فى السنة السابعة عشرة من حكمه ، فقتل أعظم وزرائه: الفضل وجعفر البرمكى مع جميع أسرته .

ويقال : ان هارون انتصر فى ثمان حروب حضرها بنفسه أعظمها غزوة (هرقلة) لأن الروم خلعت الملكة (ايرينى) التى كانت تعظم الرشيد

وتبجله ، وولوا (تيقيفور) فلما تمكن من ملكه كتب إلى الرشيد أنه عازم على التجول فى بلاده والهجوم على أمصاره ؛ فلما بلغ الرشيد ذلك جمع جيشاً جراراً فيه قواد بواسل ، وتوغل بهم فى بلاد الروم وجد فى السير ، وجعل يقتل ويغنم ويسبى ، ويخرب الحصون ، حتى أناخ على (هرقلة) وهى من أوثق حصون الروم ، وأعزها جانباً ، وأمنعها ركناً ، فحاصر أهلها وضايقهم ، ففتحوا له الأبواب مستأمنين .

ولما رأى ذلك (تيقيفور) ضاقت عليه الأرض بما رحبت ، وفر هارباً ، ثم رجع الرشيد إلى بغداد .

وفى مدة خلافته كان على مملكة فرنسا (كارلوس) الأكبر المعروف (بشرلمان) وكان بينهما مودة زائدة ، وكان الرشيد كثيراً ما يهدى إليه ، ومن جملة ما أهداه إليه شطرنج ثمين ، وساعة شمسية دقاقة من مخترعات بلاده ، وأرسل له مفاتيح كنيسة القدس مع أمر لنوابه أن يعاملوا الزوار الذين يأتون لزيارة الأراضى المقدسة أحسن معاملة .

ولما بلغه عصيان عامله على (سمرقند) وهو (رافع بن الليث) سار إليه فمرض بالطريق ، وأقام (بطوس) إلى أن مات فيها ودفن بها سنة ١٩٣ هـ وكانت خلافته ٢٣ سنة وعمره ٤٧ سنة

« البهجة العباسية »
فى تاريخ مصر والأمة العربية

عبد الله المأمون بن هارون الرشيد

لما انقضى عهد الأمين بويع للمأمون البيعة العامة فى بغداد .

وكان هذا الخليفة من أعظم رجال العصر همةً وذكاءً وعدلاً وحباً للتمدن والعلوم ، ونشر المعارف والصنائع ، وكل ما يوصل لعمارة البلاد ، فربط العلائق التجارية بين الأقاليم المختلفة ، ونشر سائر العلوم والصنائع حينما رأى ميلاً إليه ذلك من عرب الممالك الشرقية ، الذين أخذوا يعرفون التمدن وفوائده ، وصار يحرض الناس على استعمال أذهانهم فى الأمور النافعة ، حتى وصلوا فى أقرب وقت إلى درجة عظيمة من التمدن وتقدموا على اليونان فى التجارة والصنائع والفنون الأدبية وغيرها ، التى ظن اليونان ألاّ سابق لهم فيها .

وكان مجلسه مشحونا بالعلماء والأدباء ، يتناظرون ويتباحثون - اتسعت دائرة الأفكار ، وجعل بغداد مركزاً للعلم ، وكاتب ملوك الروم ، وسألهم صلته بما لديهم من كتب الفلسفة ، فبعثوا إليه ماطاب لهم منها ، فكلف بترجمتها أمهر التراجمة ، وانما كلفهم بذلك لأنه كان يعلم أن أعظم شىء لسعادة الأمة وسلامتها فى المعارف ، فأقبل على طلب العلوم وأكثر من فتح المدارس وتأسيس دور الكتب ، واستحضر الكتب النفيسة من جميع الأقطار حتى تقدمت العلوم تقدماً زائداً ، وبنوا الرصد خانة ووضعوا فيها الآلات العظيمة وتقدم علم الطب والتاريخ والفلك ، الذى كان هو معدوداً

من رجاله ، والرياضات والصناعات خصوصاً الآلات الميكانيكية .

وبالجملة لم تبلغ الأمة العربية أعلى درجات المجد والشرف والرفعة أكثر مما بلغته فى مدة هذا الخليفة .

ثم مات فى سنة ٢١٨ هـ بعد أن حكم ٢٠ سنة وعمره ٤٩ سنة ودفن (بطرسوس)

« كتاب البهجة العباسية »
« فى تاريخ مصر والأمة العربية »

صلاح الدين بن أيوب

بعد موت الخليفة الفاطمى سنة ٥٦٧ هـ استولى صلاح الدين بن أيوب على قصر الخلافة وعلى جميع مافيه من الأمتعة الثمينة والتحف الغالية ، وتبوأ تخت الحكومة ، وليصفو له الجو أخذ يستأصل شيعة الفاطميين . فإنه لما نمى إليه أن طائفة منهم تواطأوا على أن يستدعوا الأفرنج من (صقلية) وسواحل الشام ليخذلوه ويعيدوا الدولة الفاطمية وأرسلوا الرسل سراً بذلك ، قبض على هذه الطائفة وأمر بصلبهم .

ولما وصلت الرسل إلى الأفرنج (بصقلية) تجهزوا وبعثوا سفنهم مائتى أسطول للمقاتلة ، فيها خمسون ألف راجل ، وألفان وخمسمائة فارس ، وثلاثين مركباً للخيل ، وستة مراكب لآلة الحرب ، وأربعين للأزواد ، ووصلوا إلى

ساحل الإسكندرية سنة ٥٧٠ هـ وقاتلوا أهلها، ونصبوا المجانيق عليها وطار الخبر إلى صلاح الدين بالقاهرة، فجاء على جناح السرعة آخر النهار واهتاج قومه إلى الحرب، فخرجوا عند اختلاط الظلام، وفاجأوا الأفرنج فى خيامهم، فبادروا إلى ركوب البحر، فماتوا بين قتل وغرق، ولم ينج منهم إلا القليل، ولما أصبحوا أقلعوا بأساطيلهم راجعين .

ولما مات (نور الدين محمود بن زنكى) ملك الشام سنة ٥٦٩ هـ وورث الملك عنه ابنه الصغير، ورأوا أنه لايقوى على دفع الأفرنج الذين كثر غزوهم للبلاد أرسلوا إلى صلاح الدين ليملكوه عليهم، فجاء سنة ٥٧٠ هـ وشرع فى الاستيلاء على الشام بحجة أنه يدافع عن حقوق الوارث، ويحفظ ملكه إلى أن يبلغ أشده، فأخذ دمشق وحمص وحماه، وهو لا يظهر إلا الطاعة للملك القاصر، لكن ظهر مأربه بحصاره لمدينة (حلب) التى كان فيها الملك نفسه، وبقى محاصراً للمدينة إلى أن بلغه أن الأفرنج نزلوا (حمص) فرحل إليها وأجلاهم عنها، ثم صار إلى (بعلبك) فملكها .

وفى سنة ٥٧١ هـ هزم صلاح الدين سيف الدين غازى صاحب الموصل وغنم أثقال عسكره .

وفى آخر هذه السنة حاصر قلعة (إعزاز) حتى أخذها ثم نازل (حلب) وحاصرها حتى سألوه الصلح فأجابهم إليه ورحل عن المدينة سنه ٥٧٢ هـ .

ولما جاء إلى مصر فى هذه السنة أمر ببناء سور يحيط بمصر والقاهرة وقلعة

المقطم التي بناها وزيره (بهاء الدين قراقوش) وأنشأ بها القصر الملكي الذي محله الآن جامع محمد على (بالقلعة) .

وفي سنة ٥٧٣ سار صلاح الدين وجنده إلى ساحل الشام لغزو بلاد الأفرنج فانتهى إلى (عسقلان) ولم يروا للأفرنج خبراً فساحوا في البلاد واغتنموها وانقلبوا إلى (الرملة) فما راعهم إلا الأفرنج مقبلين في جموعهم وابطالهم فاشتد القتال وآل الأمر إلى هزيمة صلاح الدين مع فل قليل إلى مصر .

وفي المحرم سنة ٥٧٨ هـ خرج صلاح الدين من مصر قاصداً الشام فدارت أرحاء الحروب بينه و بين معارضيه والأفرنج عدة سنين في وقائع كثيرة استولى فيها على مدائنهم وحصونهم وأموالهم . ومن أشهر هذه الوقائع واقعة (حِطِّين) سنة ٥٨٣ هـ فإنه لما فتح (طبرية) عنوة واعتصم أهلها بالقلعة تهيج الأفرنج وأتوا لرد صلاح الدين وجنوده عند تل (حِطين) فاشتعلت نار الحرب بين الفريقين وحمى الوطيس ودارت الدائرة على الأفرنج فإنه لم يبق من ألوفهم المؤلفة إلا نحو ١٥٠ من خلاصة زعمائهم وقد أسروا مع مليكهم والبرنس (ارناط) صاحب (الكرك) وقد أكرم صلاح الدين مثواهم إلا أنه قتل البرنس جزاء غدره ونقضه العهود السابقة .

و بعد هذه الواقعة فتح عدة مدائن بلا عناء ولا تعب إلى أن نازل القدس و به من الأفرنج عدد يفوق الحصر فطلبوا الأمان فأمنهم على شرط أن يدفع كل رجل عشرة دنانير وكل امرأة خمسة وكل طفل دينارين ، ومن عجز عن

الأداء كان أسيراً، فأجيب إلى ماطلب وسلمت إليه المدينة فى رجب من هذه السنة.

ولما وصل نبأ هذه الحادثه إلى أوروبا أتت الأساطيل الأفرنجية إلى السواحل الشامية ليستردوا بيت المقدس فلم يتمكنوا إلا من فتح (عكا) وعقدوا صلحاً وثيقاً مع صلاح الدين ورجعوا إلى بلادهم سنة ٥٨٨ هـ .

ومات السلطان صلاح الدين بدمشق سنة ٥٨٩ فتكون مدة حكمه ٢٢ سنة كلها غزو وجهاد وفتوح للبلاد وكان عادلاً فاضلاً حكيماً حليماً ذا سياسة ودهاء «تاريخ مصر القديم والحديث»

محمد على (باشا) رأس الأسرة المالكة

وُلد هذا الرجل الهمام بمدينة (قوله) التابعة لولاية (سلانيك) فكان أبوه يسمى (ابراهيم أغا) أحد الضباط بهذه المدينة وله تاريخ طويل قبل تولية الأريكة الخديوية يدل على علو نفسه وشدة بأسه .

ولما صدرت الإرادة السنية (بفرمان) يأذن له بتولية الديار المصرية فى أواخر شعبان سنة ١٢٢١ هـ أخذ فى استعمال الوسائل اللازمة لراحة البلاد تارةً باللطف ، وتارةً بالعنف ، حتى أذعن له أمراء المماليك فأقطعهم البلدان والأقاليم فاستتب الأمن بسبب ذلك ، والتفت لإصلاح الأحول

الداخلية ، فنشر الزراعة والتجارة ، وأدخل بمصر زراعات مختلفة أهمها زراعة القطن ، وأكثر من غرس الأشجار لترطيب الجو ، وحفر ترعة المحموديه التى توصل مياه النيل إلى الاسكندرية لتحمل عليها التجارة من هذه المدينة و إليها ، وأنشأ جملة معامل لانتشار الصناعة ، وأسّس مدرسة الطب ومدارس لتعليم الشبان المصريين ، ومدرسة عسكرية ومدرسة المدفعية (للطوبجية) و بنى فى الإسكندرية (ترسخانة) لعمارة السفن ، وقسم القطر إلى مديريات ، على كل مديرية منها حاكم يعرف بالمدير ، والمديريات إلى أقسام وأخطاط ، على كل منها مأمور أو حاكم .

ومن أعماله المهة تشييد (القناطر الخيرية) و إنشاء معامل (فابريكات) الغزل ، ونسج قطن ، والحرير ، والكتان ، والصوف .

و بالجملة فقد دخلت مصر فى أيامه فى دور جديد ، وأخذت فى الأهمية التى لامزيد عليها ، وله خدمات جليلة للعالم الإسلامى عموماً والسلطنة السنية خصوصاً ، أخصها فتح طريق الحجاز لحجاج بيت الله الحرام وتخليصه من أيدى الوهابية ، وضبط مفتاح الكعبة المشرفة من يد زعيمهم و إرساله للآستانة العلية ، حتى كان لهذا الأمر وقع عظيم لدى السلطان ، فجعله موضع ثقته فى كل مهمة ، ومحل اعتماده فى حل كل مشكلة ؛ ولكن كبر ذلك على ذوى الدسائس فأخذوا يسعون بالفساد ، حتى كان ما كان من الحروب التى حصلت فى الشام .

وفى سنة ١٢٥٦ صدر (الفرمان الشاهانى) بتخويل (محمد على باشا) وأسرته وراثة الحكومة المصريه والأقاليم السودانية .

وبعد خمسة شهور صدر (فرمان) آخر مثبت لهذه الورثة بشرط أن من يتولى منهم لا بدّ له من (فرمان) جديد .

ثم اشتغل (محمد على باشا) فى السنوات الأخيرة من ولايته بتحسين إدارة البلاد وترتيب مصالحها الداخلية ، والتفت بالخصوص لإصلاح أحوال الزراعة والتجارة والصناعة التفاتاً كبيراً ؛ إلا أنه فى هذه المدة قد كبر وضعفت قواه العقلية ، فوكل ادارة الأمور إلى ولده (ابراهيم باشا) واعتزل فى سراى رأس التين بالإسكندرية حتى توفى بها سنة ١٢٦٦ هـ فى عهد ولاية حفيده (عباس باشا) وقد حملت جثته إلى القاهرة فدفنت بالقلعة فى مسجده الذى بناه فى جزء من موضع السراى التى كانت لصلاح الدين ، عليه سحائب الرضوان وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم والحمد لله أولا وآخراً .

فهرس

تم ولله الحمد طبع الجزء الرابع من كتاب السمير والصلاة والسلام على سيدنا محمد فى البدء والختام

تربية البنين

كتاب صغير يهدى النشء الى واجباتهم المدرسية ، والمنزلية، والاجتماعية ، فيشبون من صغرهم على مكارم الأخلاق ، ومحاسن الخصال وجليل الأعمال ، التى يكونون بها رجالا فى المستقبل ، نافعين لأنفسهم ووطنهم ، وأسرتهم .

تربية البنات

كتاب جليل لتربية البنات تربية اسلامية حقة فى أدوار حياتهن المنزلية والمدرسية ، والاجتماعية ، ويشمل كثيراً من الحكايات التهذيبية والأناشيد الأدبية ، والحكم والأمثال الوعظية ، لتكون بها سيدة مهذبة ، ومدبرة عاقلة ، وامرأة صالحة ، نافعة لأمتها وأسرتها .



لواضعه

السيد

علي فكري

الأمين الأول لدار الكتب المصرية سابقاً

هذا الكتاب يقع في خمسة أجزاء :

فالجزء الأول والثاني يشملان مختصر قصص الأنبياء كما ذكرت في القرآن الكريم .

والثالث يشمل مختصر سير الخلفاء الراشدين

والرابع يشمل مختصر أئمة الدين والصالحين

والخامس يشمل مختصر سير أمهات المسلمين و بعض الشهيرات من النساء المسلمات . وقد توخى فيه واضعه ، سهولة العبارة ، وحسن الأسلوب ، ليكون سهل الفهم ، مناسباً لمدارك الطلاب .


Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)



السمير المهذب

سلسلة قصصية اسلامية هادفة

من اربعة اجزاء

يطلب من

دار الكتب العلمية

بيروت - لبنان